الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

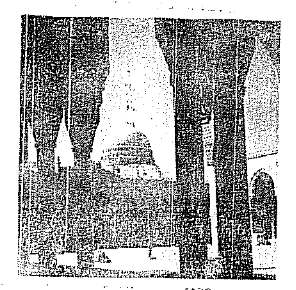
العدد السابع والثلاثون — السنة الرابعة — غرة محرم ١٣٨٨ هـ — مارس ١٩٦٨ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بعد أن أدى صلاة عيد الاضحى المبارك في جامع السوق الكبير ، يلتف حوله عدد من المصلين .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسجد النبوى من الداخل ويبدو فيه ايوان المحراب بعقوده واعمدته الجميلة وتعلوه القبة الخضراء بينما يبدو فى مقدمة الصورة صحن المسجد الواسع واعمدة البناء الجديد .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والثلاثون

— السنة الرابعة —

غرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

مارس سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

مع العام الهجري الجديد

للأستاذ: عبدالرحمن عبدالله المجحم
وكيل الوزارة

ان لكل امة فى ماضيها حوادث بارزة ، ومواقف حاسمة ، تملى على تلك الامة لونا من السلوك ، يتمم ما بدأته الاجيال السابقة ، وينسج على منوالها ، وهذه ناحية مشتركة فى الامم ، ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر ، بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقه ، أو عماوته وظلامه ، وتاخذ منه ايحاءات العزة والمجد ، أو تتوارى من سوء ما زخر به من انحطاط وتخلف .

وأمتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا ، وتعى ذاكرتها أكبر نسبة عرفها التاريخ من الصفحات المشرقة المفعمة بالمجد والسؤدد . ويظهر ذلك بصورة أكمل فى الرعيل الاول الذى عاش ولادة النهضة ، وكان وقودها وشعلة ضيائها الذى انتشر فى ربوع المعمورة ..

وان اروع تلك المواقف الفذة فى تاريخ أمتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها النبى عليه السلام والفئات الاولى من أصحابه نجاة بدينهم من الاضطهاد والايذاء وبحثا عن التربة الصالحة لغرسة الاسلام ، واسعادا بهديه الامم التى تقدره وتتطلع اليه ، وذلك ما حدث لمجتمع المدينة دار الهجرة والنصرة .

ومع كل عام هجرى يتجدد ، تتوارد ذكريات الهجرة ، لتلقى عظاتها الحسية ، وتقوم بدورها فى الامة وارثة المهاجرين والانصار ، فتذكى فى الافئدة ادراك موضع هذا الدين من الحياة للتمسك بمبادئه واللواذ بها من عواصف الاهواء ، ونعرات الضلال والارتجال .

وان عامنا هذا الذى نستقبله قد ألقيت علينا فيه أعباء من العام الذى نودعه تاركا لنا ما هو أقوى من الذكريات وأبقى من الخواطر / وقائع حية عشناها كشبه الخيال ، وكان من حصادها / خسارة معركة مقدسة ، وضياع

بقاع طاهرة وسيول من المشردين ، فقدوا المأوى ومورد العيش بعد حملة التهجير التى سلطت عليهم .. والى جانب هذا نجد الصيحات الصادقة التى تهيب بامتنا للتامل والنظر فى اسباب نكبة العام الماضى ، وتدبر وسائل الخلاص ، والتداعى الى واجب الغوث ، ونجدة أولئك الذين ضرستهم الحرب ، ونصرة المشردين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم بالعدوان والتهجير .

ففى هذه الظروف نولى وجوهنا شطر الماضى المشرق وذكرياته — وخاصة حادثة الهجرة — فناخذ من وحيها / ان صلاح هذه الامة لا يكون الا بالتفافها حول دعوة الاسلام ، واعداد البيئة الصالحة لانتعاشها والمجتمع الذى يعرف قدرها وان تلك الكبوات فى حياتنا لا يسوغ أن تمر دون أخذ العبر منها ، ومضاعفة الاندفاع للنهوض ، بعد استجماع القوى ونفض غبار الخيبة ، والانفكاك من اسباب النكبة .

وقد اوجز لنا الذكر الحكيم هذه الحقيقة الابدية ، وهذا المبدا الكونى حين قرر ان لاصلاح لاحوال الامم الا بتغيير ما بالنفوس من الاسباب التى أحدثت الاضطراب والخلل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .. فما احرانا ان نتمثل هذا المبدأ ليكون منارا لنا فيما نامله فى عامنا الجديد ..

واخيرا / فان حادثة الهجرة تعتبر ثالثة الحوادث الكبرى العظيمة فى فجر تاريخ الامة الاسلامية ، بل فى تاريخ الانسانية عامة ، والتى كان اولاها ولادة النبى حامل الدعوة والمثل الكامل ، وثانيها نزول القرآن دستور الحياة الخالد ، ثم كانت الهجرة النبوية التى حصل بها تكوين المجتمع الاسلامى فى المدينة ، وانطلق منها نور الاسلام يملأ الآفاق ...



فى سبيل الحرية ، ومن اجلها ، كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم نعم ، كانت الهجرة من اجل الحرية ، ولا شيء غير الحرية ..
وهل هناك فى الدنيا كلها شيء اثمن من الحرية ، واعز منها ؟..
الأوكسجين شيء لا بد منه للحياة على هذه الأرض .. حياة كل شيء ..
والحرية كالأوكسجين للانسان ..

اذا فقد الأوكسجين تلف جسمه ، واذا فقد الحرية تلفت روحه . او ماتت فيه انسانيته ..
وهل يسمى بعد ذلك انسانا ؟
لا ..
هل يسمى حيوانا ؟
لا ..
وليته كالحيوان لا يدرك معنى الحرية الا فى الانطلاق والجزى والاكل والشرب .
اذن لكان الأمر سهلا ..

ولكنه انسان يكابد .. فيه روح ، وعقل ، وفكر وله عقيدة .. وكل ذلك غذاؤه الحرية ، فكيف اذن يعيش وهو الانسان بدون روح ، وعقل ، وفكر ، وعقيدة ؟
هذا هو الشقاء ..
كيف يكون عند الانسان فكرة لا يستطيع أن يتحدث عنها ؟
كيف يكون له عقيدة لا يتمكن من اعلانها ؟..
كيف يضرب اذا جهر بالحق ، وتكلم بالصدق ؟
واهل الباطل يمرحون ، ويسيطرون . .يروجون لباطلهم ، ويصفقون لأخطائهم ..
بل ويطلبون من الجماهير أن تصفق لهم ، وتشترك معهم فى اضطهاد كلمة الحق ومن يمثلونها !!
واذا كان على اهل الحق أن يصبروا ، ويتحملوا .. فالى متى ؟
واذا كانت اشخاصهم واموالهم هينة عليهم ، فان الفكرة التى يحملونها ، ويمثلونها . ليست بهينة .
اذا ضحوا باشخاصهم ومصالحهم ، فانهم لا يستطيعون التفريط فى فكرتهم ..
انها عندهم اغلى واعز من ذواتهم ، ومن كل مصالحهم ..
وانهم ليتحملون العذاب والتنكيل باجسامهم وبمصالحهم ، ولكنهم لا يطيقون ، ولا يصبرون أن يروا فكرتهم مضطهدة ، وحريتهم فيها مكبلة .

ولقد صبر الرسول والمؤمنون على العذاب والاضطهاد سنين . فما حولهم العذاب عن فكرتهم ، ولا ثناهم عن عزمهم ، ولقد كان من الممكن ان يصبروا أكثر مما صبروا ، ولكن .. ليس هذا هو الهدف ..

أنهم يصبرون من أجل عقيدة ملكت عليهم نفوسهم ، أملا فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الضيق .

لقد مر عليها ثلاثة عشر عاما ولا يزال أتباعها محدودين .. فماذا يكون مستقبلها لو مر عليها مثل هذه المدة ، وهى تعيش فى هذا الجو الخانق ، وتحت وطأة الاضطهاد والكبت ؟

ان اهل الباطل كانوا يزدادون كل يوم عتوا ، يثيرهم ثبات المؤمنيـــن ، ويغريهم بالمزيد من أساليب الاضطهاد لهم ، والتفنن فى تعذيبهم ، وهم يظنون واهمين أنهم بأسلوب القوة والقهر ، وتحت وطأة السياط وحرارة الشمس ، يستطيعون أن يذيبوا الايمان فى نفوس المؤمنين ، وفاتهم أن الايمان شـــقيق الروح ، لا ينزع ولا يسلب حتى تنزع الروح ، وأن الايمان كالمعدن ، كلما كان اصيلا ، ازداد على النار لمعانا وصفاء .. ولكن القوة التى كانوا يملكونها ــ ولا يملكون غيرها ــ زينت لهم ما كانوا يقترفون .

فلم يعد هناك ــ اذن ــ أمل أى أمل فى انحسار هذه الموجة الطاغية ، فى هذه البلدة التى تحجرت على معبوداتها وتقاليدها ، ورأى زعماؤها فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على سلطانهم ، وايذانا بزوال نفوذهم وسيطرتهم ..

والانسان المستبد الظالم أشد ما يكون ضراوة ، وايغالا فى الشر ، حين يمس سلطانه ، أو يكاد يفلت منـــه نفوذه ، ويتخيل رحى الحق تطحنـــه فى دورانهـــا ..

لم يعد ــ اذن ــ امل فى هذه البلدة ..

فالى أين ؟ ..

الى الحبشة ؟ ..

فليكن . فان فيها ملكا لا يستهجن مثل هذه الدعوة ، ولا يظلم أصحابها .. وليهاجر أولئك الذين يستطيعون الهجرة اليها ، حتى يجدوا حريتهم فى الجهر بعقيدتهم هناك .

وخرج الرجال والنساء الى بلاد لا يعرفونها ، وتحملوا المشقات والأهوال وركبوا البحر فى سبيل الوصول اليها ، ومن أجل الحرية .. ووجدوا فيها لأول مرة حريتهم وتحدث مهاجر منهم يقول « وقدمنا الى أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار . أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه » وكان هذا هو الهدف .. الحرية .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قـــد اراد ادخار هؤلاء النفر الصالحين ، وتنمية عقيدتهم وتثبيتها فى جو آخر غيـــر الجو الكئيب المستعر الذى يعيشون فيه بمكة ..

وماذا بعد ذلك ؟

أن الاضطهاد لا يزال يشتد ، والعتو يزداد ، والكبت على الحرية تضيق حلقاته على أنفاس المؤمنين الباقين فى مكـــة حول الرسول ، حتى لتكاد هذه الحلقات تخنقهم ، لا تخنقهم عن الكلام فحسب ، بل عن نسائم الحياة كذلك !!

والى متى ؟
الى متى يصبر الرسول والفئة القليلة حوله على هذا الاضطهاد ؟
والى متى يظل هؤلاء المؤمنون المغتربون بعيدين عن بلادهم ، ولا يجدون متنفسا لحريتهم الا عبر البحار .. هناك فى الحبشة ؟

الى متى يظل الرسول وتابعـــوه القليلون مشتتيـــن موزعين بين مكـــة والحبشة ؟!

والزمن يمر .. والدعوة تكاد تتوقف او تتجمد .. وكانها تشق طريقها فى صخر عنيف عنيد ؟!
لا بد — اذن — من متنفس جديد قريب ، وعلى أرض العرب .
فى الطائـــف ؟

قد يكون .. فبين اهلها وبين مكة عداء قديم قد يحملهم على حسن استقبال الرسول ، واحتضان دعوته التى غالى أهل مكة فى حربها .

وشق الرسول طريقه الى الطائف ، وسار فى حر النهار ، وظلمة الليل ، مسافة طويلة لعلها مائة كيلومتر ، يحدوه الأمل فى هؤلاء ويخفف عنه المتاعب والمصاعب .

ولكن — مع الأسف — تحكم فى هؤلاء عداؤهم للدين الجديـــد أكثر من عداوتهم للمكيين ، فاضاعوا الأمل فيهم ، وأضاعوا على انفسهم وعلى بلادهـــم الجميل فرصة الحياة والخلود ، وكانوا اشـــد من اهل مكة عتوا وفســـادا ، ومطاردة لكلمة الحق ، وللرسول الذى يمثلها .. وسجلوا بعتوهم وانغـــلاق افكارهم أقسى فترة مرت بالرسول ، حتى أطلقت منه أول شكوى وآخرهـــا وامرها ايضا توجه بها لربه ((اللهم أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ..))

وتتوتر أعصاب أهل مكة ، لأن محمدا ذهب يتلمس فى أعدائهم عونا له عليهم ، ويزيد فى اغرائهم به عدم نجاح خطته ، فيسدون عليه منافذ مكـــة ، ويتربصون به لينقضوا عليه ، ويحرموه حق الحياة فى بلده .. ويسلبوه حتى بقايا الحرية التى كان يتمتع بها قبل ذهابه الى الطائف !! فلم يستطع الرجوع الى منزله آمنا الا فى حماية عربى مشرك ، دفعته نخوته الى حمايته !!

فهل فى مثل هذا الجو تطيب حياة ، أو تنمو دعوة ؟
لا بد من مواصلة البحث عن متنفس آخر ..
والوطن ؟ .. اليس عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن ما قيمة الوطن اذا فقد الانسان فيه حريته ، وفقد مع ذلك امنه وطمانينته ، وعاش مروعا مهددا فى ليله ونهاره ؟ .

أليست الحرية أغلى عند الحر ، صاحب المبدأ والفـــكرة من حفنات التراب ، وذكريات الصبا والشباب ؟! وكل مكان ينبت العزطيب .
ولكن الدار والمال والمصالح ؟.. اليس ذلك كله عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن الحرية اعز واغلى . وما قيمة الدار والمال والمصالح والرفاق اذا عاش الانسان مع ذلك كله ذليلا مهينا ، مسلوب الارادة والحرية . لا يريدون له ان ينطق الا بما يشاءون ، ولا يستحسن الا الأصنام التي يعبدون ؟!!

وهل على مثل هذا التعسف والضغط والتنكيل يقيم انسان ؟

ولا يقيم على ضيم يراد بــــه الا الأذلان : عير الحى والوتد

وهل فى مثل هذا الجو تنمو دعوة الحق ، أو تترعرع القيم الصالحة ؟

لا .. ((ومن يهاجر فى سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة))

فكانت الهجرة الثالثة .. الهجرة الى المدينة .. من أجل الحرية والأمن .

وفى جو الحرية الجديد ، تفتحت الدعوة ، كما تتفتح الأزهار فى الشمس والهواء ، وسرى عبيرها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، وكان نصر الله والفتح .. وكانت بعد ذلك الامبراطورية الاسلامية ، والحضارة الاسلامية .. وكان كل هذا المجد الذى نعيش فى رحابه ..

نعم .. من أجل الحرية هاجر الرسول والمؤمنون وبذلوا ما بذلــوا ..

ومن اجل الحرية ، لم يعترف الرسول باسلام من اسلم اذا آثر ان يعيش فى جو الكبت بمكة ، مسلوب الحرية والارادة ، ولم يهاجر الى بلد الحريـــة ـــ المدينة ـــ لينعم بحريته ، ويجهر بعقيدته ..

حتى اذا فتح الله للرسول مكة ، وسرى جو الحرية فى ارجائها من جديد ، رد الرسول اليها اعتبارها ، واعلن للنـــاس الا هجرة منها بعد الفتـــح ، ولكن جهاد ونيـــة ..

من أجل الحرية ـــ اذن ـــ كانت الهجرة ، وبالهجرة عز الاســـلام وانتصر وانتشر ..

ومن أجل الحرية .. كان الجهاد بعد الفتح بدلا من الهجرة ، دفاعا عن الحرية ، وصونا لها ، لتتنفس الدعوة الصالحة فى جوها ، وتترعرع القيـــم العليا فى أرضها ، وتتكون وتقوى الشخصية الاسلامية على غذائها ..

نعم .. ومن أجل الحرية أبى الله أن يعبده انســـان عن طريـــق الضغط والاكراه .

وفى أرض الحرية وجوها نما الاسلام وازدهر وأثمر .

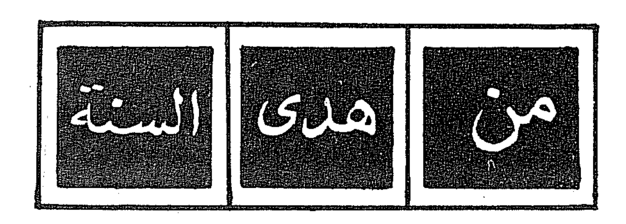
وفى أرض الحرية وجوها كذلك ، تنبت كل دعوة صالحة ، وتنمو كل فكرة خيرة ، ويزدهر كل علم نافع ، ويتكون الرجال الصالحون .

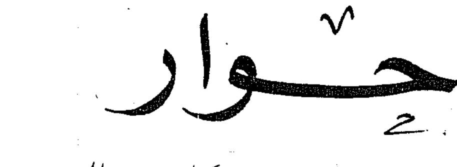
وفى جو الحرية يختنـــق الضلال ، ويهوى البـــاطل ، ويتبدد الخبيث ، وينكشف كل غش وتدليس .

الا ما اعذب الحرية ، وما أعظم قيمتها عند الله وعند الناس .. وما اسعد الذين يعيشون فى ظلها ، ويتمتعون بخيراتها ، أو يموتون فى سبيلها ، ومـــا اشقى الذين يعيشون محرومين من نسماتها ، وأشـــد منهم شقاء فى الدنيـــا والآخرة ، أولئك الذين يسلبون الناس أثمن ما أعطاهم الله .. الحرية ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشـــاد





للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن حذيفة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتنة (١) الرجل فى أهله (٢) وماله (٣) وولده (٤) وجاره (٥) تكفرها الصلاة والصوم ، والصدقة ، والامر ، والنهى » (رواه البخارى) .

التقيا على غير ميعاد ، وتبادلا التحيات والبسمات ، وعلقت يد أحدهما بيد الآخر وسارا متجاورين يشقان طريقهما وسط الجماهير المتدافعة كالموج ، وكانا يتحدثان كأنهما يتصايحان وأحيانا يتهامسان خوفا على حديثهما أن يحمله النسيم الى أسماع لا يحبان أن يصل اليها ، ثم اخترقا الجموع الصاخبة اللجبة ، وحملتهما أقدامهما الى ركن هادىء فى حديقة ذات ماض عريق ضارب فى القدم ،

---

(١) أصل الفتنة فى اللغة : الابتلاء والاختبار ، ثم أطلقت عرفا شرعيا على كل ما يكشفه الامتحان من سوء ، وقد تطلق أحيانا على الكفر ، والبلية ، والعذاب ، والتحول من الحسن الى القبيح . وأحيانا على الميل الى الشىء والاعجاب به وقد يكون ذلك فى الخير والشر قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

(٢) فى أهله : فقد يتجاوز الحد فى حبهم فيعميه ذلك عن فعل الخيرات ، أو يفرط فى رعايتهم فتسوء حالهم ، وفى كلا الحالين هو مسئول عنهم لانه راعيهم وكل راع مسئول عن رعيته كما ورد فى حديث شريف .

(٣) وماله : بان يحاول تنميته بطريقة لا يقرها الشرع كالربا مثلا ، أو يبذره ولا يوجهه حيث أمر الله سبحانه .

(٤) وولده : أفرده صلى الله عليه وسلم بالذكر مع أنه داخل فى الاهل غالبا ــ لانه كالمال ــ زينة الحياة الدنيا والأب مغرم دائما بابنائه وكثيرا ما يؤدى به ذلك الى الغفلة عن حقوق الله تعالى .

(٥) وجاره : فان كان الجار غنيا فقد يتمنى جاره الفقير زوال نعمته لشدة حقده عليه ، أو قد يهمل ذلك الغنى عون جاره الفقير ، وكلاهما ان فعل ، فهو بعيد عن أداء الحقوق التى وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقوم الى جوار حى من أحياء مدينة دعيت ولا زالت تدعى (**مدينة النور**) (٦) . ولهذه الحديقة قصة فى تسميتها وفى وجودها المستمر ، **طـــــالما تلاقى تحت** أشجارها الوارفة الظلال ، وحول بحيرتها الجميلة الساكنة ــ **عشاق ومحبون** ؛ للعشق والمحبة الوان ومعان يطول شرحها ، **ولا أعنى هنا العشق الفانى** ؛ وانما أقصد المتيمين بالبقاء الذين أحبوا الحقيقة **وجاءوا هنـــا يبحثون عنها** ــ بين هذه الاخلاط العجيبة من البشر ــ على أيدى علماء **أفذاذ عباقرة** .

وقصارى القول : جلس القرينان الخيران ، **ودار بينهما حـــــوار ليس** عجيبا وان كان لا يخلو من عجب .

قال أحدهما : ان أمر الحياة والناس أمر يذهل العقول ، **أيام تمر وتنقضى** ؛ وأخرى تلاحقها ثم تتابع نفس المصير ، **وهذا عام من أعوام الهجرة الشريفـــة** جديد ، وقد سبقته أعوام تلاشت ثم فنيت وسيدركه **ما ادركهـــا من التلاشى** والفناء ، والناس هم الناس **منذ ان هبط ابواهم الارض ، تســـــيرهم أهواء** وتحكمهم رغبات ، وترفعهم أو تخفضهم شهوات ، **منهم من أعمل فكره ، فتأمل** وبحث وعقل ودرس ، ومن الدارسين من أنتج **للانســــانية ما أفادها ، ومن** الباحثين من مضى بالحياة قدما ، ومنهم من **اضاء حنادس زمانه ولا زال يسرى** على ضوء هداه المدلجون ، وعلى النقيض من **هؤلاء من هوى وانزوى ولم يشعر** الوجود بوجوده ، بل منهم من وجمت يوم نجم أمه ، **ومضى حيوانا مكرر الهيولى** لا يعدل سائمة ولا يزن قارضة ، ولا يباع ولا يشرى بدرهم ، **فلم تدر به الليالى** ولم تدرك عبوره لحظات عبوره .

وهنا قاطعه الثانى : على رسلك يا أخى ماذا **تريد من الحياة وتلك سنة** الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، ولن تجد لها **تحويلا كما نص القـــــرآن** الكريم فى محكم آياته البينات .

قال الاول : ألق الى سمعك وانت شـــهيد ، وعش معى **لحظـــات بعقلك** وقالبك لأبثك شجونى ، وأفضى اليك بذات نفسى ، **فقد بلغ السيل الزبى وجاوز** الحزام الطبيين ، ولم نعد نجد ملجأ أو مغارات أو طريقا نسلكه لنتوارى عن لوم اللائمين تارة ، وشماتة الحاقدين اخرى ، فنحن ورثة مجد ، **وخلفاء من احسنوا** قيادة العالم ردحا من الزمان ، وملأوا رحابه **علما ومعرفة وأصـــــالة رأى** ، وحملوا مشاعل الحضارة حقبا طويلة ، ولنا من التراث الباقى ما يبلى الزمان ولا يبلى ارجه العطر ولا يختفى نوره الوضاء ــ **وأعلم قبل أن تعترض أن هـــذا** لا يجدى فى واقعنا الماثل فتيلا ، (فان الفتى من يقول ها أنذا) « **ولكن سأسوق** القول مقتبسا من مجلس من مجالس رسول الله **صلى الله عليه وسلم قد يبدو** لك ــ لأول وهلة ــ أنه قصى عن مجرى حديثنا **ولكن متى تأملت وفكرت الفيت** كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه **يصلح قاعدة وأساسا لنهضة عامة شاملة** ومحركا قويا للهمم الوانية ، والعزائم الخائرة فى يسر **ولطف وايناس ، وتوجيه** حكيم ، وتدبير قويم . واليك قول حبيب رب العالمين : « **فتنة الرجل فى أهله** وماله . . الخ الحديث الشريف » .

أليس اهل الرجل همه الذى يهمه ، يعنيه أمرهم ، ويسعى فى الحيـــاة

---

(٦) هى مدينة (باريس) ولهذه التسمية أصل وسبب خاصان حدثنا بهما عالم كبير من علمائها الافرنسيين الأجلاء وان كنت أرى أن مدنا أخرى كانت ولا تزال تستحق المشاركة فى هذا الوصف الكريم ، وان صار علما عليها منذ آن بعيد .

جاهدا من اجلهم ، يستصرخهم فى الملمات ، ويستعين بهم فى النائبات ، ويفخر بعددهم وعديدهم فى الرخاء والسلام ، فقل لى بربك : أليس اذا أحسن القوامة على أمورهم ، وسلك بهم المسالك الرشيدة التى شرعها الله ، ونأى بهم عن المهالك ، وجنبهم المزالق التى تغضب الحق ، فقوم معوجهم ، وهدى ضالهم — كون بذلك جماعة متماسكة مؤمنة بحقها فى الحياة ، حريصة على حق غيرها لا يعتدى ولا تقبل الاعتداء عليها .

والمال : وما أدراك ما المال ؟! عصب الحياة ، ومهوى الافئدة ، يحقق الشىء ونقيضه ، فيدفع البعض الى الجبروت والعدوان ويوردهم موارد الرذيلة والفساد ، ويرفع من يحسن ادارته ، ويقدره قدره الى مصاف القادة والسابقين فى كل مناحى الحياة ، فبقوته وسيولته تشاد المصانع على اختلافها وتبنى دور العلم ، وتعد القوة المستطاعة ، وتجنى المعرفة الحقة ، وتنمو الحضارة ، وتزدهر دروب الامم ويقوى كيانها ، وذلك اذا وضع فى موضعه وصين عن المباذل ، والضد بالضد (وبضدها تتميز الاشياء) ، ثم ألم تقم باسمه مبادىء وحضارات ، كما أبيدت باسمه أيضا مبادىء أخرى وحضارات ، ولن يزال هدف المعارك والمناوشات .

وهلم يا أخى متأملا الولد : والولد اما عبء واما عون ، وما الافراد الا أولاد الآباء ، أو آباء الاولاد ، فلو سلك كل رجل مسلك الهداية الالهية ، وحافظ على هذا الكنز العظيم ، والطاقة التى لا حد لها من القوة الانسانية الكامنة فى الولد (ذكرا كان أو أنثى) وأفرغ خبرته فى حسن توجيههم ، فأماط الاذى عن طريقهم ، وشرع لهم نهجا قويما مستمدا من توجيه السماء ثم من خبرة عقلاء الانسانية وهم كثر — انه لو فعل — لصنع لبنة وأية لبنة ، وكون فردا وأى فرد — انه لو فعل — لأخرج لقومه قوة تبنى وتصنع المجد ، وتحارب الانحراف ، وتمضى لما أمر الله فى غير لين ولا هوادة ، لا تقبل الوقوف فى المؤخرة ، بل تأتى فى المقدمة دائما (١) .

ثم الجار : وما الناس الا جار ومجاور جار ، ولا يوجد من عاش فذا وحيدا بلا جار ، ولو ضرب خباءه فى قنن النيق أو وسط الصحارى أو سكن سفينة فى عرض المحيطات ، فجاره هو أول من ينتهى خطه اليه ، فلا عزلة فى الحياة عن جار ولا انقطاع عن جوار ، وتأمل ثم احكم .

وأمر الجار فى الاسلام ، فى التقييم الاجتماعى ، فى البناء الانسانى أمر عظيم ، فلا تقترب من جارك بحجر أو مدر ، وانما بقلبك وروحك ، ولو أن

---

(١) لقيته رجلا فرنسيا من المحاربين القدماء يقيم فى مدينة تورا (TOURS) احدى مدن فرنسا الكبيرة يعمل أستاذا فى معهدها وجامعتها وقد جاوز السبعين عاما ، حدثنى أنه حضر الحربين العالميتين الاولى والثانية (١٩١٤ ثم ١٩٣٩) جنرالا وله أربعة أولاد وبنتان ، كلهم اما طبيب أو قائد فى الجيش أو مهندس أو أستاذ فى جامعة فأطريت نبوغهم فقال : كم من نبوغ وأراه التراب حين لم يجد راعيا ، ولكن أنا الذ وجهت وجهدت حتى وصلوا . ولا يخلو قول الرجل الكبير من صدق ووعى حقيقيين جديرين بالاعتبار ، وليت كل الآباء يفعلون فعله .

الوصايا طبقت كما وردت ، ولو أن الانسانية فقهت أن جبريل ما زال يوصى سيد الخلق صلوات الله عليه بالجار وشؤون الجار حتى ظن عليه السلام أنه سيورثه لتضامت وتجمعت وتقويت والتأم أمرها وما تفرق شملها ، ولا فت فى عضدها ، والجار الذى لا يستل سخيمة نفس جاره بمواساته بالمال ان كان ممولا ، وبالجاه ان ضاق جاره بالحياة او ضاقت الحياة به ، وبالمروءة وطلاقة الوجه ، والعون بمختلف ضروب العون ، لا يكون مؤمنا ولا ذا أثر فعال فى تكوين مجتمع متحاب متواد ، لانه فصم المروءة ، وهدم البناء ، وخان الحق ، واتبع الهوى ومن اضل ممن اتخذ الهه هواه .

الا ترى يا أخى بعد ما سقت اليك من الايضاح أن هذا الحديث الشريف يضع يد العاقل على موطن الداء ثم ها هو ذا يصف العلاج فيدعو الى الارتباط بقيوم السماوات والارض حق الارتباط ويدل على الدواء الناجع ، فالصلاة تذكر بالله وبالتالى تحمل المرء على رأب الصدع ، وجبر الكسر ، ثم الصوم ولعلك وعيت ما قيل عن الصوم وما أكثر ما تحدث عن هذا الركن من أركان الاسلام ، انه يذكر الصائم الواجد بأخيه المعدم ، ويضع يده على تيمة المال ، ويهديه الى الهدف السامى لصرفه وانطلاقه ، **ثم الصدقة :** انها لذات اثر فعال فى تقوية حبال المودة ، وليس المراد بها هنا الزكاة المفروضة ابدا فتلك أمر محتوم لا فكاك منه ولا مفر عنه لمن آمن بالله واليوم الآخر ، وانما المراد هنا ما تعطيه يمينك حتى لا تعلم شمالك ما تنفقه ، هى ما ورد ذكرها فى الكتاب العزيز « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . . » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » (١) .

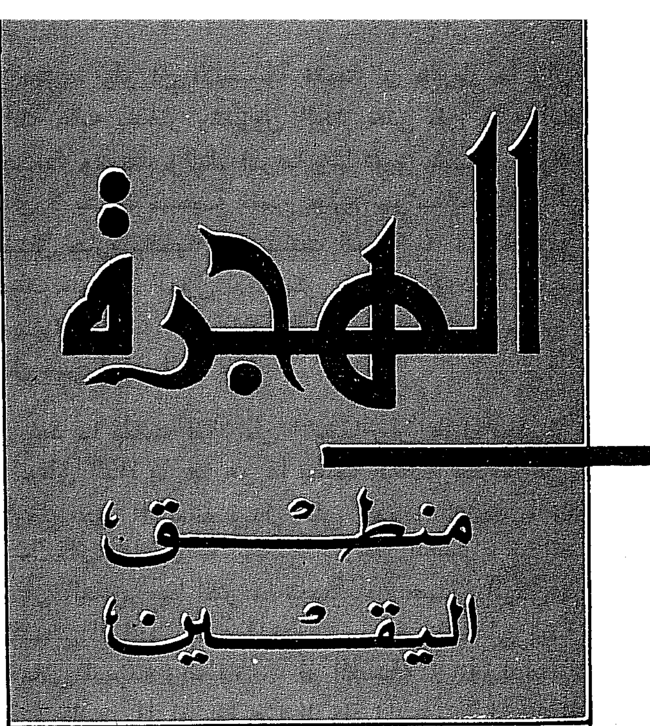
والامر والنهى : وتلك مهمة شاقة لا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم ، ولا يزال يوجد من يقوم بها ويؤديها (٢) والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

وهنا : تنفس الثانى الصعداء وعقب على حديث صاحبه قائلا : صدقت وما عدوت الحقيقة والواقع ونرجو ولا ينقطع لنا فى الله رجاء أن يفطن المسلمون لوحى السماء فان مع العسر يسرا ثم ان مع العسر يسرا ثم انفض مجلسهما على أن يلتقيا دائما فى رحاب الله وعلى مائدة رسوله خاتم الانبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . فتلك هى الباقيات الصالحات وهى خير ثوابا وخير املا .

---

(١) أما الزكاة المفروضة فيكاد ينعقد الاجماع على وجوب اظهارها ليقتدى الاغنياء بعضهم ببعض فى اخراجها وليعلم الناس أن هذا الركن العظيم من أركان الاسلام لم يهدم بعد ، وان كان قد ورد ذكرها فى القرآن العظيم باسم الصدقات أحيانا مثل قوله تعالى (انما الصدقا ت.. الخ)

(٢) فى عدد سابق من هذه المجلة الواعية الغراء أفردت لهذا الموضوع بحثا كاملا فليرجع اليه من أراد تفصيلا .



للشيخ : محمد الغزالى

نحن فى عالم يسوده المنطق المادى ، ويعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لا وجود وراءه .. !

وجمهرة البشر اخذت تستكين لهذا التفكير ، وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !

نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة ، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ..

بيد أن لغوب الناس على ظهر الأرض ، وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته — أما الدار الآخرة وما يمهد لها ، فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد .. !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل ، فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الأواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى اقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، أو مشاهد الجزاء الأخروى ، أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ، ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى اقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المأنوس لنا ، أى ما ننبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !

ان النصر على الأعداء غيب ، خصوصا اذا وهنت الوسيلة ، وقل العون ، وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله وحده جل شأنه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضي في طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الأخيرة . . !

ان غيره يستبعدها ، أو يرتاب فيها . . أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر . .

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » والرزق — مثل النصر — غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — لما ادخر له صبرا من طعام :

« أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا » .

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من أنفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجح عند المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان . . !

ولذلك جاز فى الحديث « افضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم : « ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون انصبة وافرة من الايمان بالمستقبل . يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وأن ضعف اليوم حملته — ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم ، راجون ما عنده .

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العام ، وكفالة الأولاد ، وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق ، وأشواق الدنيا ، ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى أنصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أولياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فأسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر ، وتذر دارك ، وأرضك ، وسماءك ؟ فعصاه فهاجر . .

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال ، فتقاتل ، فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال .

فعصاه فجاهد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة .
وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .
هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته .

والواقع أن ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لا يخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها !

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والأرض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة أو من قارة الى أخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هذه القمة الراسخة ، فان اصحابه ينتصرون بمبادئهم حتما وناشروها فى الحياة نشرا لا يدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون امامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزاين احدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى ارض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعند الله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل ، وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها وكل ما عناهم أن ينهضوا بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وان يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن .

من اجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر ان يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال .
ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه او نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التى تواضع الناس على الاحتفال بها ..

أما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ، ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة ، بل ان الطيور فى الأجواء ، والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة .

لكن الهجرة التى علت بها اقدار ، وخلد بها اقوام تلك التى قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بهـــا أو الموت دونها .

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين ان رســــالتهم ستستقر ، ورايتهم ستعلو ، وأن الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا أنه تملق أفئدتهم بالمســـتقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا . فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال . وهذا جائز ، بل كثير الوقوع . لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه أن يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء وتشق طريقها الى مستقبل وطيد .

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من أهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا .

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هــــذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » .
والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعجال المصير فى هذه الدنيا ، وألا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه .

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل . . !

وفى أعقاب احد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم . . »

فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عنــــدما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين .

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء .

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرســـــهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك .

ولن يخامرهم قنوطه لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده .
ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى . وان يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه .

دروس حول الهجرة

للدكتور: محمد محمد خليفة

المفتش بالازهر

من الخير للمسلمين حين يذكرون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وحين يعيشون مع هذه الذكرى بخواطرهم ومشاعرهم ان يتخذوا منها دروسا لحاضر أمتهم الكبيرة ومستقبلها .

وما اكثر الدروس التي تدور حول الهجرة من اسباب ونتائج ، وخوارق وتدبير ، وقصص وتضحيات ، وصبر وقوة احتمال .

وما أكثر الآثار التي خلفتها وراءها من تربية النفوس ، وبناء المجتمع الاسلامي ، ومن كسب غير مجرى التاريخ العربي ، بل اثر في التاريخ الانساني حقبا من الزمان .

وحسبنا أن نقدم جانبا من تلك الدروس ، لعل اشراقات من فيضها تهدى عالمنا الحائر الى الخير الذي ينشده كل غيور على بناء هذه الأمة الذي يوشك ان يتداعى .

« الدرس الأول »
« الصبر والتضحية في سبيل العقيدة »

لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله ضروبا من العنت وصروف الأيذاء ، فقد كذبه قومه ، وهو الذي عرف بينهم قبل بعثته بالصدق والأمانة ، وحين ضاقت نفسه بذلك التكذيب نزل عليه الوحي يسليه « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » وقد عذبوه ونال منه رجالهم ونساؤهم ، فهز الأسى قلبه ، وسرعان ما أمره ربه بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وأوذى أصحابه المؤمنون وعذبوا فبين لهم أن من كان قبلهم كان يمشط بمشاط من الحديد ما يثنيهم ذلك عن دينهم » .

وقد مر بآل ياسر وهم يعذبون على الرمضاء ، والسياط تأكل جسومهم ، والصبيان يعبثون بهم فقال لهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » . ولو أن الدعوة على الرغم من كل هذا لقيت بعض النجاح لهان على نفس الرسول ونفوس أصحابه كل ما يلقون من القرشيين ، ولكن قريشا لم تدخر جهدا في محاربة الدعوة ، والوقوف في وجهها بكل ما تملك ، حتى يخيل أن قريشا جمدت الدعوة داخل مكة ، فعاشت في قلوب من كانوا أسلموا في الأعوام الأولى من المكيين ، وبين قلة قليلة من أبناء

القبائل الذين وقفوا على أمرهـا فى موسم الحج .
لكل هذا أذن الله لرسوله بهجرة اصحابه الى المدينة بعد بيعة العقبة ؛ فلبى الصحابة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهجروا وطنهم ، ولهم فيه ذكريات وأهل وولد ومال ، وضحوا بكل ذلك فى سبيل عقيدة منحوهـا قلوبهم ، ومبادىء ملكوها أرواحهم ، فآثروا العقيدة والمبادىء التى جاء بها الاسلام على كل ما لهم فى الحياة ، وطلبوا بذلك رضاء الله .
ثم أذن الله لرسوله بالهجرة ، بعد أن عبأت قريش لقتله من كل بيت من بيوتها فتى جلدا ، ليضربوه ضربـة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين البيوت ولكن عناية الله تولته وحمته حتـى بلغ المدينة ..
ما أفقر المسلمين اليوم الى شىء من صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه يواجهون به التعبئة التى عبأهـا الانحـلال ، ويواجهون به الردة المستترة المتنكرة لكل ما يدعو اليـه الدين والخلـق
وما أحوج المسلمين الى شىء من التضحية بجهد اللسان والقلم فى سبيل الله ، وشىء من التضحيـة بالمال ، يفتحون به للاسلام طريقا بين الشعوب المتخلفـة التى تغزوهـا المسيحية واللادينية .
اننا حين نذكر تضحية المهاجريـن الأولين بأوطانهم فـرارا يدينهـم ، واستعدادا لحمـل رسـالة الحـق ونشرها فى الآفاق ، يجب أن تدفعنا هذه الذكرى الى أن نهيىء نفوسـنا للهجرة برسالة الاسـلام الى مـن يجهلونها .
وحين نذكر تخليهم عن اموالهم فى مكة يجب أن نقدر تلـك التضحيـة ونتخذ منها درسا للبذل فى سـبيل عزتنا وعزة ديننا وانشـاء مراكـز اسلامية فى أقطـار الأرض تحتضن التائهين بين ضـلالات الديانـات ، والضاربين فى مجـاهل الدنيا ، لا يدرون عن الديانات شـيئا ، لأن الاستعمار ضرب عليهـم سجونـا عاشوا وراء أسوارها بعيدين عـن نور الاسـلام ..

....

« الدرس الثانى »
« التربيـــة »

كان جل هم الرسول صلى اللـه عليه وسلم حين يلتقى بالمسلمين قبل الهجرة يتجه الى تبليغهم ما نزل عليه من القـرآن ، وتعميق الايمـان فى قلوبهم ، بتوجيههم الى النظر والتدبر ، وقـد شغلتـه منـاوآت قريش له ولأصحابه وخوفه على أصحابه عن المغامرة والانتقال الى القبائل لتبليغها دعوة الاسلام ، وبخاصة بعد ان رأى موقف أهل الطائف منه ومن دعوته ، وموقـف قريش من المهاجريـن الى الحبشة .
فلما استقر به المقام فى المدينـة ، وأقبل الناس افواجا على الاسلام ، اتخذ من مسجده مدرسة تحلق حوله فيها المهاجرون والأنصار ، يتلقـون القرآن ومبادىء الاسلام ، ويربيهم فى هذه المدرسة تربية قوامها الاخلاص والطاعة والصدق والأمانة والبـذل والحب فى الله ، والبغض لله والايثار والتفانى لخير الاسرة الاسلاميـة الكبيرة ، والعمل المتعاون لبناء الكيان الاسلامى ، فكل فرد فى تلك الأسرة لبنة صلبة يشتد ويطول به البناء ، فلا مكـان بين تلـك الأسرة لأنانى ، ولا لجشع ، ولا لمستغل ، ولا لانتهازى ، ولا لاحتكارى ، كلهم سلم لمن سـالم تلك المبادىء ، وكلهم حرب على من حاربها .
هكذا عاشـوا أعوامهـم الأولى فى المدينة ، أعوام التربية الصادقة فى مدرسة الرسول ، فلا تنفض حلقاتهم الا لأداء فريضة ، أو سعى قانع وراء عمل يجتنون منه لقيمات تقيم أصلابهم وأصلاب ذويهم . فلما اطمأن الرسول

صلى الله عليه وسلم الى تربية اصحابه ،و تهذيب طباعهم وتأديب نفوسهم بعثهم الى الآفاق مع السلاح او وراء السلاح او بلا سلاح ، روادا الى الخير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون بهم على ينابيع الحق التى تفيض بها دعوة الاسلام . وهكذا كان الدرس الثانى من دروس الهجرة تربية المسلمين وتهيئتهم للرسالة العظيمة التى سيحملونها الى العالم .

وكان لهذه التربية اثرها فى بناء الأمة الاسلامية فى حياة الرسول وفى عهد الشيخين .

ومن هنا غيرت الهجرة مجرى تاريخ العرب الدينى والخلقى ، بل كان لها اثرها فيما بعد فى تغيير التاريخ الانسانى فى بعض الأرجاء التى سطع فيها نور الاسلام .

ولا يخالج احدا شك فى أن قوة الأمة الاسلامية فى فجر حياتها كانت نتيجة للتربية الاسلامية الخالصة .

فما احوج قادة المسلمين ورؤساءهم — وكلهم يؤمن بأثر التربية فى البناء — الى أن يعنوا بتربية شعوبهم ، وتعميق الايمان بالحق والمبادىء فى النفوس ، قبل أن يخوضوا بشعوبهم معارك الحياة والعزة والكرامة .

ان الانحرافات الملموسة بين صفوف القيادات ، وفى مراكز التوجيه تفرض على المسئولين العناية بتربية النفوس ، واعدادها لحمل الرسالات . وما احوجنا الى مدرسة كمدرسة محمد صلى الله عليه وسلم تنهل منها العقول والقلوب والأرواح خير زاد للمستقبل .

« الدرس الثالث »
وطن المسلم هو الوطن الذى يجد فيه العزة له ولدعوته

لقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لدعوة الاسلام بعد هجرته اليها ، فأصبحت بذلك مركزا للاشعاع الروحى ينبعث منها الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى آفاق الأرض فى عهد الخلفاء ، واصبحت لهذا مثابة لطلاب العلم والمعرفة ينزحون اليها من الأقطار والحواضر والبوادى ثم يرجعون الى ذويهم دعاة الى الخير موجهين الى الحق ، مجاهدين فى سبيله ، وبهذا صارت المدينة موطنا للدعوة التى عزت فيها وبها ؛ كما صارت موطنا حقيقيا لأصحاب الدعوة وحملة رسالتها ، وقد نسوا جميعا أوطانهم التى شبوا بين مرابعها ، حين لاقوا فى المدينة اخوة أنستهم اخوة الأرحام وأبوة أنستهم ابوة الأصلاب ، ولقوا بين وشائج العقيدة ما ربط أرواحهم بالمدينة التى عاشوا فيها حياة زاخرة بالسمو الروحى ، فى كنف دين تفاعلوا مع توجيهاته ودعوته .

. . . . . .

« الدرس الرابع »
« تكوين البناء الاجتماعى للمسلمين »

لقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة الأسرة الاسلامية الصغيرة من الاحرار والعبيد من الرجال والنساء ، وقد تفانى افرادها فى التعاون لخيرها ودرء الشر عن اعضائها ، ولا يغيب عن احد عاطفة الأخوة الاسلامية التى حملت أبا بكر رضى الله عنه على أن يشترى بلالا من سيده بالثمن الذى غالى فى طلبه ، ليعتقه من الرق ، وينجيه من سياط الاستعباد التى كانت تمزقه فوق بطاح مكة .

كما لا يغيب موقفه من قريش حين تكالب قساتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت الله الحرام فأخذوا بخناقه حتى احمرت عيناه ، وعندئذ ثارت اخوة ابى بكر غير مكترثة بقوى الكفار ولا ببطشهم

وصاح فيهم : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ؟

ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرص على بناء المجتمع الاسلامى وتوطيد جوانبه ، فكان أول ما قام به لتدعيم بناء الوحدة الاسلامية هو ذلك التآخى الذى سنه ، فآخى بين المهاجرين والأنصار وجعل لكل أنصارى أخا من المسلمين المهاجرين يؤويه فى بيته ويطعمه من طعامه ويكسوه من كسائه ، ويتعهده بالرعاية ، وبذلك الاخاء نسى المهاجرون مرارة الاغتراب التى قد تعانيها نفوسهم فى الوطن الجديد .

وظل المجتمع الاسلامى ينمو ، وتشد قواه وعراه رابطة العقيدة تحت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعناية خلفائه من بعده ، حتى أصبح عمر يرى انه مسئول أمام الله والأمة عن كل فرد فى هذا المجتمع الكبير ، وكان لايمانه بحقوق الفرد على الخليفة وعلى الدولة أثره فى توطيد بناء الوحدة الاسلامية ، وله أثره كذلك فى تفانى الفرد فى العمل لخير الأمة . ولم يعرف ذلك البناء الاجتماعى روح الأثرة المخربة ، بل كثيرا ما كانت ثروات الأفراد تستغل لخير الكيان الاسلامى أو المعوزين من المسلمين ، ولا ننسى فى هذا الموطن تجهيز عثمان لجيش العسرة ، وتصدقه بحمل الف بعير على المسلمين فى عام الجدب ، وكم جهز غير عثمان الكثير من المجاهدين بالخيل والسلاح ، وان لم يبلغوا مبلغه ، وكم ضحى بعض المسلمين بماله كله أو اكثره فى سبيل الله والأمة .

وكم صادر عمر كثيرا من اموال ولاته ووضعها ببيت مال المسلمين وكان يقول لهم : لم ابعثكم تجارا وانما بعثتكم هداة ومعلمين ولم يبرح عمر يسائل ولاته فى كل عام : من أين لكم هذا ؟ حتى لقى ربه .

ان تماسك البناء الاجتماعى فى السلم والحرب هو الذى تحطمت أمامه دسائس اليهود وتكسرت دونه قوى الفرس والروم ، فلم تفتهم كثرة ولا عتاد أمام هدير القوى الاسلامية المتدفقة التى لم تسلم ظهورها الى الأعداء ، ولكن كان شعارها : تلقى الطعن فى الثغور والصدور اكرم من تلقيه فى الأدبار والظهور » .

هذا هو الدرس الرابع من الدروس التى يجب أن ننتفع بها فى ذكرى الهجرة . فليتنا نذكره ونحن نرى بناء مجتمعنا وقد أصبح كبيت العنكبوت تخفق الأرياح فيه ، وتلعب بخيوطه نفثات الضعفاء ، وتعبث فيه الأهواء .

ان مئات الملايين من المسلمين يعيشون حيارى فى متاهات آلامهم حين تسترجع خواطرهم ذكريات أولئك الحفاة وهى يقتحمون ايوان كسرى ، ويقلبون عرش القيصر ، ويجتاحون بايمانهم وتماسكهم خطوط القتال التى كانت تموج بكل فتاك من الحديد .

« نداء ورجاء »

ان الهجرة خلقت فى العالم أمة صنعتها عناية الله ، وربتها رعايته ، وهيأت مشيئته لها وطنا جديدا عزت فيه ، وشدت مبادىء الحق بناء مجتمعها وانا لنضرع الى الله أن يعيدها على الوجود كما كانت أمة قوية البنيان يشد بعضها بعضا .

وان اعنف جراح تستنزف قوى هذه الأمة هى جراح التفكك الاجتماعى والانحلال الخلقى، وطغيان الأثرة ، وسيطرة أعداء الله على مقاليد العالم ، فأضرع الى الله أن يجمع الأمة على الوحدة ، وأن يطهر قلوب الرعايا والرعاة من كل جرح يضعف كيانهم وسلطانهم لتعود الى الوجود خير أمة عرفها الوجود .

ملحمة الهجرة

خطة وتصميم

للدكتور: صبحي الصالح

اذا استشففنا حجاب التاريخ ألفينا فيه هجرة الرسول ابرز حادثة من حوادث الدهر . ولكي تكون كذلك ــ وهي حقا كذلك ــ لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها اثر ، ولا بد أن يكون لشجاعته ونضاله وجميل صبره وطول أناته فيها اثر ، ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثاقب وعقله الراجح ، فبهذا كله يسعنا ان نقول : ان تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة ، بل اخلد الملاحم ، وان بطلها هو النبى العظيم ، لأنها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والعذاب ، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطـــولة النبيى ، ومواطن شجاعته ، ومشاهد نضاله وجهاده .

ومن الناس من يقتنع فى سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تك الا وحيا من عند الله خالصا . واقل ما يعنيه هذا القول المدهش الغاء كل عمل شخصى للنبى الكريم فى انجاح هجرته أو رسم خطته ، كأنه عليه الصـــلاة والســـلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الاكمل . ومثل هذا القول كان يقتضى بداهة أن يقدم الله لنبيه الحبيب موعد هجرته انقاذا له من قومه الجفاة العتاة ، ومن اذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به ، ولكن اللـــه حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاما فى مكة يلقى صنوف العذاب ما ودعه وما قلاه ، وانما اراد أن يذيقه حلاوة النصر بعـــد مرارة الصبر والمصـــابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته فى خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون انهم على ربهم يتوكلون .

كان الجو فى مكة قاتما مكفهرا فى كل ناحية ، وكان كل شىء فى مكة يدعو الى اليأس ، ولكن النبى لم ييأس وما كان لنبى أن ييأس ، فان عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه وان لم يفعل فما بلغ رسالته ، والله يعصمه من الناس ! راى عليه السلام من كفر قريش وكبرها وعنادها ما اكد له أنها لن تعرف طريق الايمان ، وعرض نفسه على القبائل فردته ردا غير جميل ، ولا سيما فى الطائف التى لقى فيها أشد العذاب ، حتى لجأ الى كرمة يتفيأ ظلها ويبتهل الى ربه بهـــذا الدعاء الضارع المستغيث : « اللهم انت رب المستضعفين ، وانت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى ام الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى » فلم يكن بد ــ بعد هذا الجو المكفهر المقيت ــ من أن يلتمس النبى الكريم للدعوة

جوا تستطيع التنفس فيه ، ولم يكن بد من أن يجد عليه السلام الجو الآمن الجديد المبشر بالخير فى غير مكة التى نبت به وهى مسقط راسه ومربى طفولته ومزدهر شبابه .

وفكر النبى الـذى لا ينطق عن الهوى — أول ما فكر — بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأمرهم بالهجرة الى الحبشة ، لأن بها النجاشى الملك النصرانى الذى (لا يظلم عنده أحد) كما قال الرسول الكريم .

وحين اذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التى الهمه رسمها وتصميم مراحلها ، فلم تكن هجرته فرارا من الأذى وهربا من الاضطهاد ، اذ لو اراد ذلك لهاجر الى بلد بعيد كالحبشة مثلا ، بعد أن نصح اصحابه بالهجرة اليها ، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة فى الحق ، والثبات على المبدأ ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله ، فلم يتألم من عدوان سفيه ، بل كان يجد فيما يحسبه الناس الما لذة سامية ، وكان سعيدا بآلامهالفوادح ، لا يبالى ما دام الله معه يهديه ، ويسمع سره ونجواه ، ويكلؤه فى متقلبه ومثواه . ولذلك حاول وهو فى مكة لما يفارقها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقا من النجاح ، مطمئنا الى تأييد الله ، صابرا الصبر الجميل !

ان النبى عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعى للوافدين الى مكة من غير المكيين ومن غير القبائل التى عرض نفسه عليها ودعاها الى دين الله . ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين الى مكة فى موسم الحج بعد وقعة بعاث المشؤومة التى قتل فيها مئات من الاوس والخزرج ، فلقى النبى هؤلاء الحجيج ودعاهم الى الاسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف .

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج اتى مكة اثنا عشر رجلا من أهـل المدينة ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه عند العقبة البيعـة الاولى ، وارسل معهم عليه السلام مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين .

ولما جاءه فى العام القابل فى موسم الحج سنة ٦٢٢ م . خمسة وسبعون من اهل المدينة بينهم امراتان ، بايعهم عليه السلام سرا فى جوف الليل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم ، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق ، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومذاك : « أنتم منى وانا منكم ، احارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ، واختار منهم اثنى عشر نقيبـا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وهو عليه السلام كفيل على قومه .

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه ، وهو من الذين اسلموا بعد العقبة الاولى ، معلنا البيعة بلسان الجميع : « بايعنا يا رسول الله . فنحن والله ابناء الحـروب ورثناها كابرا عن كابر » . واعترض ابو الهيثم بن التيهان يقول : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين يهود المدينة عهودا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان قطعنا هـذه العهود ثم نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » وأجاب النبى الصفى الوفى . « بل الدم الدم والهدم » .

ورغم ما أحيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة ، ورغم اتمامها فى جوف الليل عند شعب العقبة فى عزلة عن الناس ، تسرب الى قريش نبأ هـذه المعاهدة الخطيرة ، وأحسب قريشا قد أحست قبيل هذه البيعة بنشاط النبى فى الدعوة ودأبه المتواصل لتبليغ الرسالة ، فأرسلت بعض عيونها وجـواسيسها يتابعون حركاته ، اذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الانصار يقسمون للنبى على تنفيذه نصا وروحا حتى سمعت قريش مناديا يناديها بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب ! يا أهل المنازل بمنى ، هل لكم فى مذمم (١) والصباء الخـارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ وربما كان هذا المنادى يريد فى آن واحـد تحذير قريش وتثبيط عزائم الانصار . أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين فى شعب العقبة وانشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين : يا معشر الخزرج ، نحن لا نريد حربكم ، وما نكره أن نقاتل قوما كمـا نكره أن نقاتلكم ، فما بالكم تبايعون محمدا على حربنا وتخرجونه من بين اظهرنا ؟

ولما ايقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقا ، وأن الانصار سينفذونه فعلا ، خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر الا بسعد بن عبادة بأذاخر قريبا من مكة ، فربطوا يديه الى عنقه بجلد رحله ، وجروه من شعره ، وردوه الى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له فى الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية .

وأما الانصار فما ازدادوا الا ايمانا وتسليما حتى قال العباس بن عبادة للنبى : « واللـه الذى بعثك بالـحق ، ان شـئت لنميلن على أهـل منى غدا بأسيافنا ! » ولكن القائد الحكيم عليه السلام أجاب : (لم نؤمر بذلك ، فارجعوا الى رحالكم » .

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الانصار فى مهدها ، وتفكر فى حماية أصنامها وعبادها ، وفى الابقاء على سيادتها وزعامتها ، اقدم النبى صلى الله عليه وسلم ببراعة وحكمة على عمل سياسى عظيم ، فأمر اصحابه بالهجرة الى المدينة فرادى أو نفرا قليلا ، فسوف يجدون النصر والتأييد فى يثرب أوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وخافت قريش من هجرة المؤمنين الى المدينة ، ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير الى يثرب مع زوجها المؤمن ، ونكلوا اشـد التنكيل بكل من اصـابوه يعتزم الهجرة والرحيل .

وظل النبى البطل الشجاع فى مكة دؤوبا على الدعوة الى الاسلام ، وقال لصاحبه أبى بكر حين استأذنه بالهجرة : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » . وفى رواية أخرى (لم يؤذن لى) وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التى يلهمـه الله أنها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة !

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التى كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجرا له تكاد تقطع بأن عمله الشخصى فى رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلا : فقد كانت للرسول فى المـدينة علاقة قربى ، ففيها أخوال جده عبد المطلب من بنى النجار ، وفيها قبر أبيه عبـد الله بن عبد المطلب . وفى السادسة من عمره زار النبى عليه السـلام مع أمه آمنة بنت وهب قبر أبيه ، ومرضت أمه فى الطريق فماتت ودفنت بالأبواء فى

---

(١) لم يقل المنادى « محمد » عكسها فقال « مذمم » بغيا من نفسه اثارة للقوم .

منتصف الطريق بين مكة والمدينة . ومن المعلوم ان النبى عليه السلام كان اول الامر يتجه فى صلاته الى ناحية المدينة جاعلا قبلته المسجد الاقصى ببيت المقدس مقام النبيين ، فهل يلغى الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئا مذكورا ؟.

على أن وضع النبى عليه السلام خطة الهجرة لا ينبغى ان يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحى ، فان كلا من الامرين يتمم الآخر ، وينسجم معه بدلا من ان يناقضه : اذ المعروف عن الرسول الكريم فى جميع مراحل حياته انه قد امتاز بمضاء العزيمة ، وعلو الهمة ، والكفاح الدائب ، والثبات على المبدأ ، والثقة بالنجاح ، وما كان يستمد هذه الخصال كلها الا من اطمئنانه الى الله حتى ذهب مذهب الامثال قوله لعمه ابى طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه » .

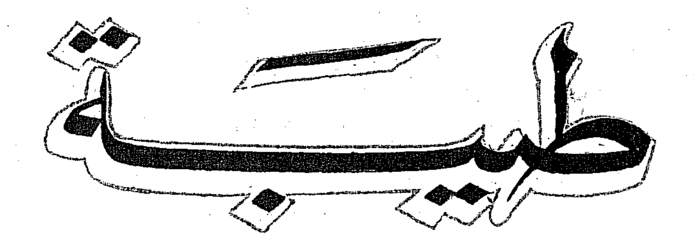
وحين أوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر الى غار ثور ، وقفا المشركون آثارهما ، قال ابو بكر فى جزع شديد : لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا ، فهمس النبى الشجاع فى اذن صاحبه همسته الخالدة : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » ولذلك عد الله نجاح نبيه فى هجرته نصرا ربانيا أيده به ، فقال فى سورة التوبة : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وصرح فى سورة الانفال بأن الله هو الذى مكر بالقوم الذين مكروا برسوله ، فقال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ليس من الخطأ اذا أن نقول : ان الله ايد بالوحى محمدا فى الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وانجحه . فلا ريب ان هذا التأييد قد وقع ، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتا لفؤاده . ولكن الخطأ فى قول من يقول : ان هذه الحادثة الكبرى كانت وحيا من الله خالصا . كما أن الخطأ فى قول من يزعم أن النبى انفرد برسم خطته ، وانه انتصر بمحض قدرته الشخصية وارادته . فالحق أن احدا من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وارادته لا ينفرد بشىء ، والنبى الكريم لم يكن بدعا من البشر ، ولا بدعا من الرسل ، ولكم قص الله على نبيه قصص الانبياء السابقين : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » .

وعلى هذا الاساس ، يمكن الجمع بين الامرين : فقد قام النبى البطل الشجاع المقدام بالهجرة ، تبعا لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها ، وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره ، وانتظر الاذن الربانى بالشروع فيها واتمامها على ما يرضى الله . وهكذا تجلت فى ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التى ما عرفت الايام ولن تعرف لها نظيرا .

وعلى هذا الاساس ايضا يمكننا ان نعالج آثار النكسة التى اصابت العرب والمسلمين فى الصميم ، فعلينا اليوم أن نحصر طاقاتنا كلها فى مواصلة النضال ، متوكلين على الله رب العالمين ، واثقين ان النصر من عنده وحده ، وهو العزيز الحكيم .

رحلة إلى



للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته ، ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) ..

وقد رأينا نظرا لاهميته ان نستأذن الاستاذ الفاضل في تقديمه لقراء (الوعي الاسلامي) ، فأذن مشكورا .

وفي العدد القادم ننشر البقية ان شاء الله .

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة ، تكاد تنحصر فى جانب واحد ، هو أن كثيرا من مواضع بلادنا لا يزال محتفظا باسمه القديم الذى نقرأه فى كتب التاريخ والرحلات وفى شعر الشعراء المتقدمين .

وقد خطر لى ــ أثناء تعليقى على القسم المتعلق بتحديد الامكنة من كتاب اللغوى المعروف مجد الدين الفيروز آبادى عن تاريخ المدينة النبوية المسمى « المغانم المطابة من معالم طابة » ــ خطر لى القيام بزيارة البلدة الطيبة ، لعلى استطيع أن احدد بعض الاماكن القريبة منها مما ذكره الفيروز آبادى أو التابعة لها على ما جاء فى كتابه تحديدا صحيحا .

وكنت ضعيف الامل فى الاهتداء الى معرفة تحديد كثير من الامكنة لتغير الأسماء وانقطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد .

وقلت فى نفسى لتكن تجربة ، أقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ العلماء أولوا آثاره عليه الصلاة والسلام ، عناية فاقت كل عناية .

وكان أن رجعت الى اقدم المؤرخين الذين حددوا معالم ذلك الطريق ، واقدم من استطعت الحصول على تحديده ، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن اسحاق ، ثم ابن جرير من بعده ، فنقلت اسماء المواضع التي ذكرها هذان العالمان من كتابيهما المعروفين .

ووجدت من كرم اخي الاستاذ أبي الخضر عبد الرحمن الشيباني ، ما يسر لي وهيأ كل وسيلة لتحقيق اربي ، فكان أن قمت بتلك الرحلة القصيرة الى المدينة ، وان لم تكن كاملة من كل ناحية ، الا انها بعثت في نفسي آمالا طيبة ، وكان لها من الآثار الحسنة ما ملأت فؤادي تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا ، وما يتعلق بتحديد المواضع الاثرية في تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا .

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة اشهرها ثلاثة :

١ ـ الطريق الساحلية التي تسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ـ بحر القلزم ـ حتى تحاذي بلدة (بدر) التي كانت في السابق احدى المحطات الرئيسية لطرق القوافل في غربي الجزيرة الى الشام والتي حدثت فيها الوقعة العظيمة التي انتصر فيها الاسلام أعظم انتصار في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن بدر يتجه المرء الى المدينة ذات اليمين ، سائرا مع واديها الذي أعلاه (وادي الصفراء) حيث تجتمع أودية كثيرة تنحدر من السلسلة الجبلية جنوب المدينة ـ وسيأتي الحديث عنها ـ ثم يسلك المرء أحد تلك الاودية متجها صوب الشمال ، حتى ينتهي منحدرا في واد آخر ويفضي به الطريق بعد ذلك الى وادي العقيق مدخل المدينة المنورة .

٢ ـ الطريق النجدية وهو طريق يتجه من مكة مشرقا حتى يقطع سلسلة جبال الحجاز ثم يسير منحرفا نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارا بأودية كثيرة ومخترقا قسما من بلاد هذيل ، ثم بلاد بني سليم وطرفا من بلاد مزينة ، ثم يأتي الى المدينة من الناحية الشرقية ، وهذا الطريق كان مسلوكا الى عهد قريب ، وقد كان للعمل في معدن بني سليم ـ الذي يمر ذلك الطريق بقربه في الأزمنة الاخيرة ـ كان للعمل في ذلك المعدن من الأثر ما أحيا هذا الطريق ، واصلح كثيرا من المواضع التي تحتاج الى اصلاح وتقع محطات له أو قريبة منه .

٣ ـ الطريق الأوسط الذي يعتبر الطريق الرئيسي الى المدينة من مكة ، وهذا يمر بكثير من الأودية ويعترضه عقبات ، وأمكنة وعرة ، وكانت قوافل الحجاج والزوار في العصور القديمة تسلك هذا الطريق ، وقبل عشر سنوات أصلح بعضه حتى صار طريقا للسيارات ، ومن اشهر العقبات التي تقع في هذا الطريق ، عقبة (هرشا) وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم سهلت لمرور السيارات .

ويجتمع هذا الطريق مع طريق الساحل في محطة تعرف قديما باسم (المنصرف) وحديثا باسم (المسيجيد) قرية كبيرة الآن .

وهناك طرق فرعية اخرى ، الا ان فيها كثيرا من الوعورة بحيث لا تجتازها الابل الا بمشقة كطريق (الغاير) الذي يتجه الى المدينة قبل محطة (المسيجيد) بما يقارب مرحلة بسير الابل .

ولحسن الحظ فان هذا الطريق على وعورته ومروره فى أودية رملية وتلاع صخرية ، فانه لا يزال يسلك حتى عهدنا الحاضر ، لأن الزوار فى شهر رجب يسلكونه لاختصاره ولكونه هو الطريق القديم واكثر من يسلكه راكبو (الحمير) الذين يسيرون فى موكب معروف فى شهر رجب من مكة ، ويجوزون ثنية الغائر ، مشاة أو ركبانا فوق دوابهم فيصلون الى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقرب المدينة ثم ينزلون مع وادى (ريم) الى وادى العقيق فى المدينة .

ومما ينبغى الانتباه له ، أن بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو فى شمال الطريق أو يمينه . واذا لم يكن لدى الباحث العام بمعرفة تلك الطرق وتعددها ، قد يقع فى اشكال من هذه الناحية .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل « عير » — وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق المتوجه من المدينة الى مكة ، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق « ريم » ونزل من ثنية « الغائر » ولكن من أتى مع الطريق الاوسط مارا بالسيالة فملل فالفرش ، يدعه عن يمينه اذا اتجه الى المدينة ، وعلى يساره اذا اتجه الى مكة .

وملاحظة أخرى ينبغى ادراكها : هى أن الاسم قد يطلق على عدة مواضع . وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع ، فيوردون تعاريفها وما قيل فى تحديدها . عند الكلام على احدها فيقع الالتباس ، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع ، اذ يعتمد أحدهم على قول ، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه فى ظاهر الامر ، وقد يكون فى الواقع منطبقا على موضع آخر ، بعيد عن الموضع المقصود . وامثلة ذلك كثيرة فيما بين ايدينا من معجمات الامكنة ، وكتب التاريخ والرحلات ، التى حاول مؤلفوها ايراد ما جاء عن المتقدمين فى تحديد بعض الامكنة التى يتعرضون لذكرها .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة طريقا غير الطريق الذى اعتاده الناس فى ذلك العهد سلوكه . يقول السهيلى — فى الروض — ، حاكيا عن دليلهما : فكنت آخذ بهم فى اخفاء الطريق ، وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم اخفاء الطريق ومخارمه . ا هـ .

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق رضى الله عنه ، اخذهما دليلهما فسلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل (عسفان) ثم سلك بهما على أمج ، ثم جاز بهما ، تاركا الطريق على يمينه ، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التى ذكرها ابن هشام وغيره فانها تبدو بهذا الترتيب :

١ — أسفل (عسفان) معروف وهو أسفل الوادى عندما يصب فى البحر بقرب (ذهبان) الذى يبعده عن جدة (٥٠) كيلا .

٢ ــ أمج : وأمج هو أسفل وادى (ساية) الوادى الذى يقع فى اسفله (خليص) .

وقد حدد المتقدمون المسافة بين (عين خليص) وبين أمج ، بميلين ، أى ان العين بعد أمج للمتوجه الى المدينة ، وهـذا الوادى يجتمـع مع وادى (غران) فيكونان واديا واحدا يفيض فى البحر فيما بين (ذهبان) (وثول) .

٣ ــ قديد : واد طويل ، ويظهر أن طريق الرسـول صلى اللـه عليه وسلم كان على أسفل الوادى ، لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد .

٤ ــ والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من (الجحفة) وبعضـهم يعده فيها و (الجحفة) لا تزال معروفة ، فكأن الدليل جاز وادى (الستارة) وهو أسفل (قديد) ويصب فى البحر فيما بين (القظيمة) و (ثول) ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز (الخرار) ثم أخذ ثنية تدعى (ثنية المرة) .

٥ ــ وثنية المرة لم اجد من يعرفها ولكن يوجد بجهة (كلية) فيما بينها وبين (رابغ) ثنية يسلكها المتوجه الى (كلية) والمتقدمون يقولون : عن ثنية المرة انها قريبة من ماء يدعى (الاحياء) وانه فى وادى (رابغ) .

٦ ــ ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (ثنية المرة) سلك (لقفا) .

ولقف هذا واد لا يزال معروفا ، وهو من روافد (وادى النخل) يقع بين وادى (الفرع) ووادى (مجاح) ويفيض فى وادى النخل عنـد محطة (بئر رضوان) التى تبعد عن (بئر مبيريك) مسافة تقرب من (٣٠) كيلا من جهة مطلع الشمس .

ووادى النخل يصب فى (القاحة) عند بئر مبيريك) ووادى (القاحة) يصب فى وادى (الابواء) وقول ابن هشام : ان (لقفا) يقـال له (لفت) واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلى على ذلك ، يظهر انه تصـحيف فابن اسحق أعرف منه بتلك المواضع لقدمه ولاقامته فى المدينة . وقد سماه (لقفا) .

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسـلم ترك طريق ثنية (عرشا) يساره اذ هو الطريق المعروف وانه نزل من (مدلجة لقف) .

٧ ــ و (مدلجة لقف) تلعة كبيرة ، تصب فى وادى (لقف) تبعد عن (بئر رضوان) مسافة ١٠ اكيال اذا سندت فى وادي (لقف) تفيض فيه من جهة الشمال .

٨ ــ وفى الخبر : ثم استبطن بهما (مدلجة مجاح) .

و (مدلجة مجاح) رافد من روافده لا يزال معروفا .

٩ — أما (مجاح) فقد ورد بصيغ مختلفة (محــاج) و (مجاج) و (مجاح) والاخيرة هى الصواب ، وقد لاحظ هذا السهيلى حيث قال : وقد الفيت شاهد الرواية ابن اسحق فى (لقف) وفيه ذكر (مجاح) بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن اللــه بطن لقف ، مسيــلا و (مجاحا) وما أحب (مجاحا) !!
لقيــت ناقتــى بــه ، وبـ (لقف) بلدا مجــدبا ، وأرضا شــحاحا !

ان وادى (مجاح) لا يزال معروفا ، وهو من فروع وادى النخل ، يصب فيه قبل اجتماعه بوادى (القاحة) ، بما يقرب من ٥ أكيال قبل (بئر مبيريك) .

١٠ — وورد فى الخبر (مدلجة مجاح) .

وهى رافــد من روافده ، ولا يزال معــروفا ومدلجة (لقف) ومدلجة (مجاح) يتقاربان حتى يلتقيان .

١١ — ثم سلك بهما (مرجح مجاح) .

(مرجح) رافد من روافد (مجاح) مقابل لمدلجة مجاح ، يصب فيه :
وقد ورد فى كتــاب البلدان لنصر بن عبــد الرحمن الاســكندرى مصحفا : (مدجج) بضم الميم ، وفتح الدال وتشديد الجيم الاولى وكسرها — والصواب : بفتح الميم وسكون الراء ، وجيم مكسورة ، بعدها حاء مهملة .

١٢ — وجاء فى الخبر : ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغضــوين : قال ابن هشام : ويقال (العضوين) ، وأقول : المعروف الآن عند اهــل الجهــة (العصوين) بالعين والصاد المهملتين ، تثنية عصا ، وهما تلعتان كبيرتان ، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ، ثم تصبان فى وادى (مجاح) بقرب اجتماعه بوادى النخل . وارى ان الغضوين أو العضوين تصحيف .

١٣ — ثم بطن (ذى كشر) .

يعرف هذا الموضع الآن باسم (أم كشد) بكاف مكسورة ، وشين معجمة ساكنة ، ودال مهملة ، لا كما جاء فى (سيرة ابن هشام) وفى (معجــم البلدان) (وأم كشد) هذه تلعة تصب فى وادى يدعى (ثقيب) وهو واد يجتمع مع وادى (القاحة) بعد ان يتجه المرء من (بئر مبيريك) الى جهــة المدينة ، بما يقرب من ١٥ كيلا .

فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وســلم ترك وادى (القــاحة) يسارا فى هذه الجهة ، ثم التقى بهذا الوادى فيما بعد .

١٤ — وفى الخبر : ثم اخذ بهما على (جداجد) وهو واد صغير من روافد وادى (ثقيب) .

١٥ — وورد فى الخبر ذكر (الاجرد) و (ذى سلم) .

والاجــرد يســمى الآن (أجيرد) بالتصغير (وذا ســلم) يسمى (أم السلمة) .

بعد ان يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية أكيال سائرا فى وادى (ثقيب) يصل الى موضع يدعى (البستان) مسكون ، ومنه طريق الى (الفرع) حيث اتجاه اعلى (ثقيب) وعلى بعد اقل من كيل واحد تقع (أم كشد) وهى واد . (اجيرد) على الشمال منها و (أم السلمة) تلعة كبيرة تصب فى (اجيرد) وكلها تصب فى (ثقيب) ثم يسير الطريق المتجه الى (القاحة) تاركا (اجيرد) على يمينه ، جازعا أعلاه ، وبعد أن يتركه ينحدر فى تلعة تصب فى وادى (القاحة) حيث يرجع الطريق اليها مرة أخرى .

١٦ — وورد فى الخبر اسماء منها (تعهن) و (اعداء) .

اما (تعهن) فانها واد كبير يصب فى (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم (أم البرك) وقديما باسم (السقيا) — كما سيأتى الحديث عن مراحل الطريق العام .

والغريب ان اهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم (تعهن) بفتح التاء بامالة نحو الكسر ، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون .

١٧ — وذكر ابن هشام فى سياق خبر الهجرة بعد اعداء مدلجة تعهن قال : ثم العبابيد ، قال ابن هشام : ويقال : العبابيب ، ويقال : العثيانة ، يريد العبابيب .

لم اجد احدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذى ذكر له ابن هشام ثلاثة اسماء ، مع ان من قابلتهم لم يكونوا من اهل الموضع الذى يقع بعد (تعهن) ذلك اننى مررت بتلك الناحية ليلا ، فلم اصادف أحدا من اهلها .
ولعل أخى الاستاذ سليمان سليم مدير التعليم فى تلك النواحى يكرم — وهو كريم — فيحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم أو سيأتى ذكره ، فالمار والذى من غير أهل البلاد يفوته الشىء الكثير .

١٨ — قال ابن هشام : (ثم اجاز بهما الفاجة — ويقال القاحة فيما قال ابن هشام) .
وقول ابن هشام هنا هو الصواب ، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء ، واد عظيم يفيض فيه فى أعلاه وادى (تعهن) والسالك مع هذا الطريق بعد (تعهن) يجوزه ، بقرب ما يدعى الآن (أم البرك) جمع بركة وهى قرية كانت كبيرة ، الا انها ضعفت الان ، وكانت تدعى قديما (السقيا) بالسين المهملة المشددة المضمومة بعد قاف ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة معدودة ، وهى سقيا بنى غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها فى القديم ، وأعالى (السقيا) تبتدىء من مكان يبعد عن (أم البرك) بما يقارب ٤٥ كيلا بعد أم البرك للمتوجه الى المدينة ، عند محل يدعى (الرصفة) وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة .

ويمتد وادى (القاحة) من هذا المكان متجها صوب الجنوب ، حتى يفيض فى وادى (الابواء) وتجتمع به أودية كثيرة من أشهرها وادى (ثقيب) ووادى (النخل) الذى يفيض فيه سيل واديى (مجاج) و (لقف) وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها .

١٩ — وقال ابن هشام : ثم هبط بهما (العرج) .
والعرج على ما ذكر المتقدمون يبعد عن أول وادى (القاحة) بما يقارب ثلاثة عشر ميلا .

ولعله هو اعلى ما يسمى الآن وادى (الجى) بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة ، وهو يبعد عن أعلى وادى (القاحة) بما يقارب الميل الواحد ، هذا أعلاه ، فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه من اثنائه .

ووادى (الجى) ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون الا (موضع الجى) ويقولون انه منازل فيه بئران ، عذبتا الماء ، وأنه فى سفح جبل ، وان ورقان الجبل العظيم المعروف ينتهى عنده ، ويحددون المسافة بينه وبين (عقبة العرج) باقل من عشرة أميال ، ويقولون بأن عقبة العرج بين جبلى (قدس) و (ورقان) وهذا الوصف ينطبق على اعلى وادى (الجى) فكأن اسم (الجى غلب على وادى العرج لوقوع الجى فى أعلاه .

أما (قدس) هذا فكان من اشهر الجبال القديمة واعرفها ، ويسمونه الآن (ادقس) بهمزة مكسورة بعدها دال ساكنة ، فقاف فسين ، تحريف للاسم القديم .

من أول وادى الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الاودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورقان وهى السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادى الجى الى نهاية وادى (الروحاء) مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادى المسمى الآن بوادى الجي ثم يجتمع معها وادى الروحا ، ووادى (النازية) بتخفيف الياء ووادى (وخقان) وتفيض كلها بوادى الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب (مستورة) موضع (ودان) القديم .

لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الغائر .

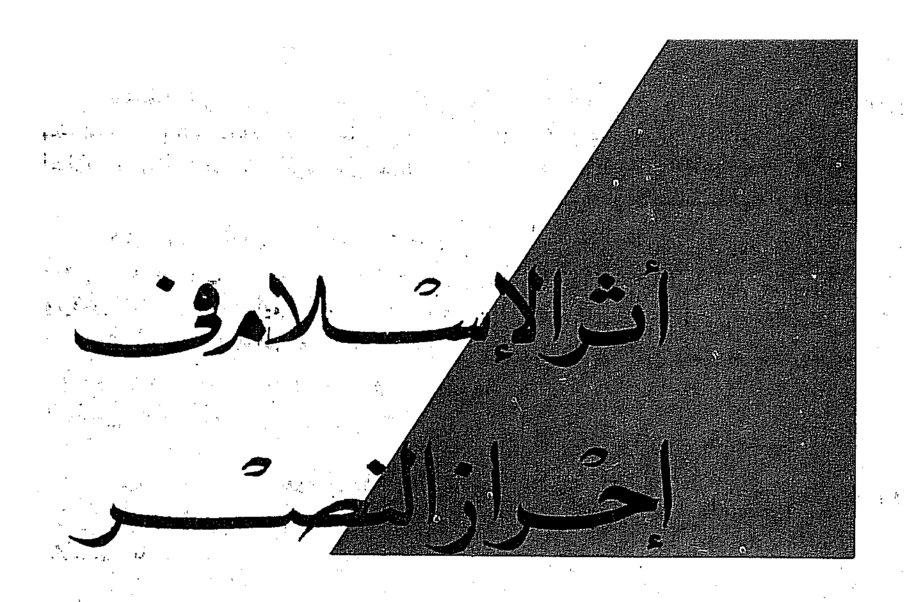
٢٠ — وجاء فى السير من رواية ابن هشام وغيره ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هبط العرج ، خرج منه ، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه ، ويقال (الغائر) .

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الغائر بالغين المعجمة وهى ثنية لا تزال معروفة ، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة او على الدواب . وهى ثنية صعبة السلوك ، وغير معبدة فى الوقت الحاضر ، ولا تسلكها الابل الا بجهد ومشقة .

وعندما رغبت المرور بها ، لم اجد فى تلك الناحية احدا يرشدنى الى الطريق ، وقيل لى ، ان الابل — فى هذا العام لتوالى الجدب — هزيلة ومن الأيسر أن أنزل معها نزولا من جهة المدينة .

٢١ — وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الغائر : « حتى هبط بهما بطن (رئم) » .

ورئم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمزة (ريم) — وهو واد من روافد وادى عقيق المدينة — لا يزال معروفا .



اللواء : محمود شيت خطاب

— ١ —

حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلى العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان أعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيرى العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددى والعددى مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، حارب العرب المسلمون الغساسنة فى معركة (اليرموك) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، وحاربوا المناذرة فى معركة (القادسية) الحاسمة التى فتحت ابواب أرض العراق للمسلمين ، وكان الغساسنة والمناذرة من العرب الأقحاح ، وكانوا أعرق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، واعرف بأساليب القتال ، وأقرب الى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من اليهود والروم والفرس والبربر فى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، لا لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم انتصار عقيدة لا مراء .

فما أثر العقيدة الاسلامية فى احراز النصر ؟

— ٢ —

كان العرب فى الجاهلية متخلفين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

كان الفرس والروم سادتهم ، وحتى الأحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة فى اليمن ، فأصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والأحباش والبربر وسادة أمم أخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا .

وكان العرب أقل حضارة ومدنية من الفرس والروم خاصة ، فأصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة العالمية ورواد المدنية فى الدنيا .

وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام فى الصحراء ، فأصبحوا بعد الاسلام أغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت فى الحواضر على ضفاف الانهار .

وكانوا من الناحية العسكرية لا يطمعون ان يحموا أرضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ، فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد فى حماية أرضه من قوتهم القاهرة التى ملأت الارض سماحة وعدلا .

اذن كان للاسلام اثر اى اثر على العرب ، بدلهم من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها على سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، يستطيعون ان يقولوا كثيرا عن أثر الاسلام فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العرب .

ولكننى سأقتصر هنا ، على أثر الاسلام فى العرب من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا أن العرب لو لم ينتصروا فى الحروب ، ولو ترفرف راياتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن القول بأن أثر الاسلام عسكريا على العرب هو الأساس الأول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لأن الدول لا تحترم غير الاقوياء ، وان القوى وحده هو الذى يستطيع ان يؤثر فى سير الاحداث العالمية ، سواء أكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، أم هدفه الشر والخراب والدمار .

— ٣ —

كان فى العرب أيام الجاهلية مزايا متميزة : الذكاء الفطرى ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها وأفاد منها ، ونجح فى مسعاه أعظم النجاح .

وكان فى العرب أيام الجاهلية صفات رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا .

وصدق الله العظيم : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) (١٠٣ — آل عمران) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، واقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كـانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيانا علـى بكر اخينـا اذا مـا لـم نجـد الا اخـانا

لهذا كانت خبرتهم الحـربية وشجـاعتهم الفطـرية ، تذهب عبثـا فى المناوشات المحلية بين القبائل .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد أعمالهم ، ووحـد صـفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيـادة واحـدة ، لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون فى مشارق الارض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة الف فى حجة الوداع ، يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام : هـرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجـل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها .

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صـلاة الجمـاعة التى اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسـجداتها فى تنـاسق مدهش وفى نظام ووقار ، لا يمكن ان يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية فى نفوس المسلمين . ان العـرب أباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعـور التـام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة اهمية بالغة فى (ايقاظ) روح النظـام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التى كانت أفكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كـانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فأصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيـدة .

لقد وجد الاسلام بتعاليه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، وأشاع فيهم النظـام والضبط ، وبذلك اصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيـد شـبه الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا .

والمعروف أن الجندى لا يمكن أن يقاتل فى الحروب قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس .
والجندى الذى يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن أن يصمد فى الميدان ابدا .
وما يقال عن الجندى ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الا مجموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

فما اثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلى للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التى وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة أوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر واسفاف فى الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (١٠٣ — سورة الانعام) .
كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل أو اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون وبيده كل شيء وعالما بكل شيء ، فاستطاع العربى بهذه التعاليم ان يرقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وافهمهم الاسلام أن دينهم خير الاديان ، وان العالم حولهم فى ضلال ، وأن نبيهم نبى الناس جميعا ، وأنهم ورثته فى حمل دعوته الى الأمم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الأمم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .
وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، اثر عظيم فى بيع كثير منهم نفوسهم فى سبيل نشر الدعوة : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) (١) .
وكان للاسلام اثر كبير فى تغيير قيمة الاشياء والاخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة اشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، واصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالأمس .
ان الاسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الأعلى للحياة فى الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التى لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل — هذه المثل التى كانت أصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، اصبحت فى الاسلام الخضوع لله والانقياد لأوامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة — هى المثل العليا للمسلم فى الحياة (٢) .

---

(١) سورة التوبة (آية ١١١) .

(٢) انظر — فجر الاسلام (١/٩٣ — ٩٥) — أحمد أمين .

ان الاسلام ، صهر نفسية العربى ، ونفى عنها الخبث ، فأصبح العربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولى الامر ، وبذلك أصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا .

لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الأعمال الفذة النادرة فى حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضيا مطمئنا ، وترك أهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الأقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفا لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد فى سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التى اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ فى أحقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا (مستداما) مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامى[1] ، تلك هى العقيدة التى جعلت العربى المسلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هى التى دفعت العربى المسلم الى التضحية والفداء ، وجعلته صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس . وهذه العقيدة هى التى قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما أعرض عنها لم ير النصر بعينه ابدا .

— ٥ —

فكيف يربى الاسلام ملكة الجندية الحقة فى المسلم فردا وفى المسلمين جيوشا وأمة .

هناك صفات خالدة للجندى الحق هى التى تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة عسكرية له .

هنا لا بد لى من أن أذكر ، بأنه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن فى الجيش أصبح جنديا حقا .

بل لا بد أن تتوفر فى الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا يفيد ولا يضر ويبنى ولا يهدم ويقاتل ولا يفر .

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هى ما نطلق عليه فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط[2] .

والضبط : معناه اطاعة الأوامر وتنفيذها نصا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وأمانة واخلاص .

لقد وردت كلمة (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة آية من آيات

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٦٧ — ٢٧٦) .

(٢) يطلق على كلمة : الضبط فى قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط .

القرآن الكريم . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع الله)(١) وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا)(٢) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم)(٣) .
والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الردىء ، هو أن الأول مطيع والثانى غير مطيع ، أي أن الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد ضرب السلف الصالح أروع الامثال بالطاعة لله ولرسوله ولاولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملىء بامثلة الطاعة التى أدت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله .
كما أن الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو أن الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهما يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

— ٦ —

ومن صفات الجندى الخالدة : الصبر على المشقات العسكرية وفى الميدان .
وقد ورد كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القرآن الكريم . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)(٤) ، وقال تعالى : (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(٥) ، وقال تعالى : (سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار)(٦) ، وقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)(٧) ، وقال تعالى : (ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم)(٨) .
ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب .
والثبات له معنيان : الأول الصمود الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر أو يستسلم للعدو ومعه سلاح وعتاد ، حتى يتحطم سلاحه وينفد عتاده .

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .
وقد وردت (ثبت) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)(٩) ، وقال تعالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)(١٠) ، وقال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا

---

(١) سورة النساء (الآية ٨٠) .
(٢) من سورة النور (الآية ٤٧) .
(٣) من سورة النساء (الآية ٥٩) .
(٤) سورة آل عمران (الآية ٢٠٠) .
(٥) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٦) سورة الرعد (الآية ٢٤) .
(٧) سورة النحل (الآية ١٢٦) .
(٨) سورة النحل (الآية ١١٠) .
(٩) سورة الانفال (الآية ٤٥) .
(١٠) سورة الانفال (الآية ١١) .

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)(١) ، وقال تعالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(٢) وقال تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا)(٣) ، وقال تعالى : (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا)(٤) .

أما الشجاعة وهى من أهم صفات الجندى ، فيكفى أن نذكر أن المسلم لا يجبن أبدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(٥) .

وجعل التولى يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين ، قال تعالى : (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)(٦) ، وقال تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)(٧) ، وقال تعالى : (لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار)(٨) ، وقال تعالى : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسؤولا)(٩) .

ولست أعرف عقيدة سماوية ولا ارضية حثت على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفى انها اخرجت الجبناء من حظيرة المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفى نقيض وهما ضدان لا يجتمعان .

واذا كانت الشجاعة هى التى تؤدى الى احراز النصر ، أو هى من اهم عوامل النصر على الاطلاق ، فان الشجاعة فى العقيدة الاسلامية هى مزية من مزايا المسلم الذى لا يكون مسلما بدونها .

— ٧ —

ومن صفات الجندى الخالدة الحذر واليقظة .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذو حذركم)(١٠) وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم)(١١) وهى صلاة الخوف كما يعبر عنها الفقهاء .

واذا كان الجندى حذرا يقظا ، صعب على عدوه أن ينال منه أو ان يباغته ليقضى عليه ، والمباغتة مبدأ من اهم مبادىء الحرب .

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لأن المبدأ السليم فى الحرب هو ادخال أسوأ الاحتمالات فى الحساب .

---

(١) سورة محمد (الآية ٧) .
(٢) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٣) سورة آل عمران (الآية ١٤٧) .
(٤) سورة الانفال (الآية ١٢) .
(٥) سورة الانفال (الآية ١٥ — ١٦) .
(٦) سورة الفتح (الآية ٢٢) .
(٧) سورة الحشر (الآية ١٢) .
(٨) سورة آل عمران (الآية ١١١) .
(٩) سورة الاحزاب (الآية ١٥) .
(١٠) سورة النساء (الآية ٧) .
(١١) سورة النساء (الآية ١٠٢) .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون فى الحرب لا ينامون ولا ينيمون ...

وما أصدق المثل العربى القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة والعدد العديد ، يؤدى الى الكوارث فى الحرب ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجله القرآن الكريم ، فقال تعالى : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) (١) .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى الى الهزيمة ، ومن حق المنتصر أن يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، أما قبل المعركة فلا بد أن يدخل فى حسابه عن عدوه أسوأ الاحتمالات .

— ٨ —

من تلك الصفات الخالدة للجندى الحق ، أن يجاهد بماله ونفسه فى سبيل مثله العليا .

وقد وردت كلمة (جهد) ومشتقاتها فى احدى وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله) (٢) ، وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) (٣) ، وقال تعالى : (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) (٤) ، وقال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) (٥) .

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا فى الدنيا ، اذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامى نظرة احتقار وازدراء قال تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) (٦) .

ان عقاب المتخلف عن الجهاد فى الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث فى القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته فى بعض الاحيان .

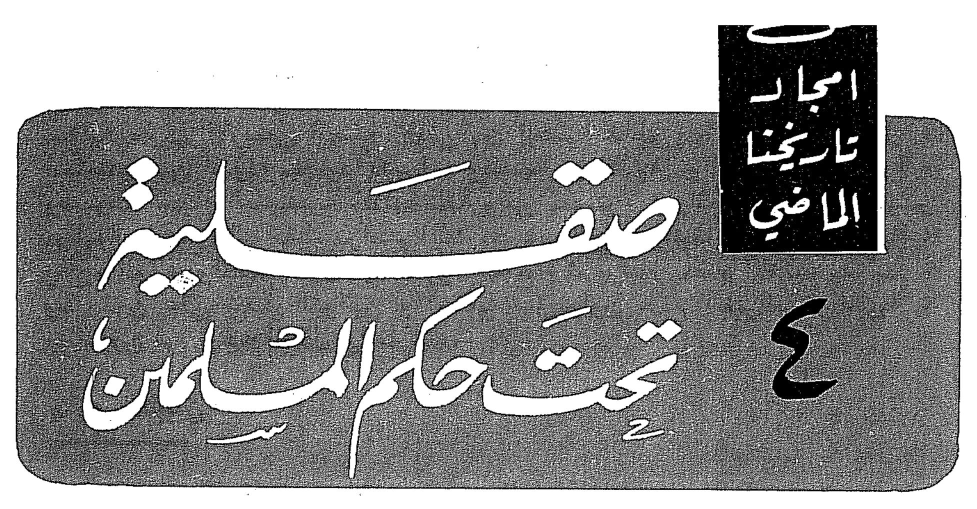
ويهمنا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة ابيهم فى الدول التى طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية فى القرن العشرين .

أما فى الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فأين هذا العقاب الذى طبقه المسلمون على المتخلف فى القرن الأول الهجرى من هذا العقاب الذى طبقته أرقى الدول فى القرن الرابع عشر الهجرى ؟ .

لقد سبق الاسلام الأمم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن .. يا ليت قومى يعلمون !

---

(١) سورة التوبة (الآية ٢٥)
(٢) سورة الصف (الآية ١١)
(٣) سورة التوبة (الآية ٨٨)
(٤) سورة التوبة (الآية ٤١)
(٥) سورة النساء الآية ٩٥)
(٦) سورة التوبة (الآية ١٨)



للدكتور: زكي محمد غيث
رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

أصبح « الأغالبة » أصحاب صقلية منذ عام ٢١٦ هـ (٨٣١م) ، وصاروا سادة العاصمة الرومانية (بلرم) فى الجزيرة . واتخذوهـا مركزا لامارتهم الجديدة ، واستمر حكمهم للجزيرة زهاء الثمانين عاما (٢١٦ — ٢٩٦هـ) (١) . قضوا منها نصف قرن فى الصراع مع الصقليين بالجزيرة ، وقوات القسطنطينية فى البر والبحر ، يتنازعون المدن والحصون والقلاع فيما بينهم ، حتى كتب النصر للأغالبة أخيرا .

وكان الأغالبة قد أخذوا — منذ وطئت أقدامهم أرض الجزيرة على التوالى ، وفى أثناء فترة هذا الصراع الطويل — يستقرون فى السهول الخصبة المحاطة بالجبال الشاهقة ، وينزلون فيما يفتحونه من مدن وحصون ، وأقاموا بناء امارتهم الجديدة فيها ، وعنوا بادارتها وتنظيمها وترتيب شئونها ، فاستقامت لهم الأحوال ، ونجحوا فى تأسيس نظام ادارى ومالى بالجزيرة ، التزمه كل من أتى بعدهم حتى (النورمان) المسيحيون .

مع الفاطميين

ثم انتقل حكم الجزيرة من بعد الأغالبة الى أيدى الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) وأصبحت صقلية جزءا من ممتلكات دولتهم التى أسسها المهدى فى شمال افريقية ، فأخذوا يرسلون اليها الولاة من قبلهم ، ولكن حدث بعد أربع سنوات من حكمهم أن أعلن مسلمو صقلية بزعامة « أحمد بن قرهب » انفصالهم عن الفاطميين سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) وخطبوا يوم الجمعة للخليفة العباسى

---

(١) بدأ غزو صقلية سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) ولكن بسقوط (بلرم) مكن للمسلمين فى الجزيرة وأصبح الفتح حقيقيا ، وملك الأغالبة الجزيرة من يومها حتى قضى الفاطميون عليهم سنة ٢٩٦هـ ، وورثوا أملاكهم فى البر والبحر بما فيها جزيرة صقلية .

المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ — ٩٣٢م) ، ثم عادت الى الطاعة فى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٧م) ، واستأنف الفاطميون ارسال الولاة اليها من جديد ، وقد ظلت صقلية طوال الاربعين السنة الأولى من الحكم الفاطمى مثار فتن وتلاقل ، استنفدت من الدولة مجهودا كبيرا ، وكلفتها من الأموال والرجال شيئا كثيرا ، وصارت الحياة السياسية خلالها قلقة وغير مستقرة ، والحالة الداخلية غير مرضية ، ومع ذلك كانت مراسم الملك تجرى عليها ، فيأتيها الولاة ، والقضاة ، ويقوم الولاة بواجبهم الأول من الغزو والفتح ، ثم يرتبون حكام الأقاليم ونوابهم ، ويشرفون على تنفيذ القوانين والأحكام ، ويتولون جمع الضرائب والجزية ، وينظرون فى أوجه الدخل والصرف .

مع الكلبيين

وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) عين الخليفة المنصور العلوى واليا على الجزيرة هو القائد : « الحسن بن على بن ابى الحسين الكلبى » فوضع أساس حكومة قوية مستقلة ، واعاد بحسن سياسته ، وجميل صنعه حياة الأمن والاستقرار فى الجزيرة ، وعلى عهده وعهد خلفائه من بعده نمت الحياة فى جميع مرافقها وازدهرت حتى بلغت غاية الكمال على عهد الأمير الكلبى : ابى الفتوح يوسف بن عبد الله (٣٧٩ — ٣٨٨هـ) وبذرت بذور الثقافة العربية ، ونمت فى تلك الجزيرة المتعددة اللغات والأجناس ، واعتبر عصر (اسرة الكلبيين) فى صقلية « العصر الاسلامى الذهبى لها » لأنها تمتعت فيه بما لم تتمتع به فى أى عصر اسلامى آخر .

وقد استمرت جموع المسلمين تفد على الجزيزة الغنية منذ الفتح حاملة معها دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وتقاليد وعادات جديدة ، كان لها بحكم ما لأهلها من سلطان وسيادة ذيوع وانتشار فى المجتمع الصقلى ، ومع ذلك لم تختف المسيحية ، ولا اللغة اللاتينية أو اللغة اليونانية بتاتا ، وظلت الكنائس والأديرة تجاور المساجد ، وتقام فيها الشعائر الدينية ، وبقيت اللغة اللاتينية ، ثم اللغة اليونانية مستعملة فى الجزيرة بجانب اللغة العربية .

وادخلت هذه الهجرة كذلك دما جديدا ، كما حمل المهاجرون معهم وسائل جديدة فى الزراعة والصناعة ، كان لها أثرها فى رخاء الجزيرة ونمو ثروتها ، وقد نشأ حينئذ مجتمع جديد فى ظل حكومة اسلامية جديدة على راسها وال يحكم باسم حكومة افريقية المركزية .

مجتمع الجزيرة

طبقت فى الجزيرة نظم الحكم السائدة فى الولايات الأخرى التابعة للحكومة المركزية بافريقية ، سواء من الناحية السياسية ، أو الادارية ، أو التشريعية ، غير أن صقلية كان لها مجتمعها الخاص ، اذ كان المجتمع الصقلى على عهد المسلمين يتألف من اجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، فقد وفد المسلمون على الجزيرة فوجدوا فيها أقلية من الفينيقيين ، الذين امتزجوا بالعناصر الأخرى، كما وجدوا الرومان اللاتين ، واليونان أو الروم البيزنطيين ،

كما وجدوا اليهود ، ثم الرقيق الذين استوطنوا الجزيرة منذ أزمان بعيدة ، أما المسلمون الفاتحون فقد كانوا خليطا من العرب والبربر من قبائل مختلفة ، بينهم عدد من الموالى الفرس ، وكان المسلمون العنصر الغالب فى المجتمع الصقلى بما انضم اليهم من الموالى الصقليين ، ومن الأرقاء الذين اعتنقوا الاسلام ، وقد مصر المسلمون الفاتحون الحواضر وسكنوها ، وكانت لهم يد فى السياسة والصناعة والتجارة ، فوق ثقافتهم العربية التى نمت وازدهرت فى الجزيرة على أيامهم ، واستمرت بعد انقراض دولتهم .

وكان بطبيعة الحال يقف على رأس السلم الاجتماعى الوالى وأهل بيته وحاشيتهم ، ويقف الى جانبهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم ، وقواد الجند ، والقضاة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون غالبا فى سعة ورغد من العيش لهم الثروة والجاه ، والسلطان ، واليد الطولى ، والكلمة النافذة بعد الأمير ، أما اتباع هؤلاء فيكونون الطبقة الأولى فى المجتمع ، ويمكن أن يضاف اليهم الجند والحرس .

أما جمهور الشعب أو العامة فكان يتكون من طبقتين : عليا تقترب من الطبقة الأرستقراطية الأولى ، وتضم رجال الأدب والفنون ، والعلماء ، والعمال والتجار ، وارباب الحرف والصناعات .

وطبقة دنيا تكون اغلبية الشعب ، وتضم الزراع ، والرعاة ، واهل الريف الذين كانوا يمثلون فى الأصل السكان الوطنيين ، وصاروا الآن موالى مسلمين ، واهل ذمة من المسيحيين واليهود ، وكان أهل الذمة يتمتعون على عهد المسلمين بقسط وافر من الحرية ، والتسامح الدينى ، كما كانوا يحتفظون بقوانينهم الدينية والمدنية ، ويشتركون مع المسلمين على قدم المساواة فى الاحتفالات العامة ومعهم اعلامهم الخاصة بهم ، ويظهر قساوستهم وأحبارهم بملابسهم المزركشة . (١)

وفى اسفل درجات السلم الاجتماعى كانت تقف طبقة الرقيق الذين كانوا يستخدمون فى فلاحة الأرض والخدمة الخاصة ، وهذه الطبقة وان لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها فى مستوى الطبقات السابقة ، الا ان الرقيق فى صقلية تحت الحكم الاسلامى كان أحسن حالا بكثير من السكان الايطاليين فى شبه الجزيرة تحت حكم اللمباردو الفرنجة(٢) .

وكان بالجزيرة سوق رائجة لتجارة الرقيق الذين يقبل على شرائهم الأغنياء وهم من أسرى الحرب ، أو من الأجناس السلافية (الصقالبة) الذين كان يجلبهم

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، هذا اذا استثنينا فترة وجيزة سرت فيها موجة اضطهاد لأهل الذمة فى دولة الخلافة العباسية والامارات التابعة لها زمن الخليفة العباسى المتوكل منذ سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) ووصلت صقلية التى كانت تابعة للعباسيين اذ ذلك ففرضت عليهم تلك القيود كسائر الولايات الأخرى ، وقد اورد الطبرى فى تاريخه ج ١١ ، ص ٣٦ — ٣٨ ، وابن الأثير فى تاريخه ج ٥ ص ٢٨٥ صورة للقيود التى فرضها المتوكل على اهل الذمة ، حيث منعوا من حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وعدم تشييد مبان تعلو على ابنية المسلمين أو تساويها ، وتمييز دورهم بعلامات خاصة .. الخ ولم تكن تلك سياسة خاصة باهل الذمة فى صقلية بل عمتهم وعمت غيرهم فى سائر أرجاء دولة الخلافة العباسية .

(٢) جاكسون (صقلية) : ف ٣ .

التجار للبيع والشراء ، ولم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اعتنق الأرقاء الخلص الاسلام ، وانتشر الاسلام بين باقي السكان حتى أصبحت الغالبية الساحقة من السكان مسلمين ، فغربى الجزيرة ، ووسطها كله مسلمون ، وكذلك معظم الاجزاء الشرقية(١) .

ومع أن الاسلام قد كسر من حدة النعرة الجنسية ، واضعف من نظام الطبقات الاجتماعية الا انا لا نستطيع ان ننكر ما كان يقوم فى المجتمع الصقلى من منافسات ، كانت تصل فى معظم الأحيان الى اسالة الدماء ، والتى كان سببها فى الغالب العداوة الجنسية بين العرب والبربر !! والعصبية القبلية بين العرب انفسهم !! والحسد للدولة الحاكمة نفسها ، وبسبب الفروق الواضحة بين الفاتحين عامة وبين الموالى من الصقليين مما كان بسبب قيام الثورات والفتن ضد الحكام فى الجزيرة ، بل وضد الحكومة المركزية بافريقية !

داء العصبية

وكان من أخطر الظواهر الاجتماعية شعور العناصر العربية بأنها اسمى هذه الأجناس كلها حتى اخوانهم من البربر الذين شاركوهم الفتح ، وأقاموا معهم بناء هذه الامارة الجديدة ، وكان يقوى هذا الشعور عند العرب اعتماد الحكام والولاة عليهم فى غالب الأحوال ، ولعل الذى حمل الحكام والولاة على ذلك هو ما كانوا يرونه فى البربر والموالى الصقليين من الطاعة الزائفة لالتماس مأرب ، أو تحين فرصة ، وكانت تقوم بسبب ذلك الفتن والثورات فى كل حين ، ولم ينس العرب أبدا ارستقراطيتهم وسموهم عن سائر الأجناس حتى كانت النتيجة الحتمية أخيرا ، وهى : « تقويض سلطان المسلمين السياسى فى الجزيرة على يد النورمان » .

الحالة الاقتصادية

وكما كان لصقلية مجتمعها الخاص ، كذلك كان لها ظروفها الاقتصادية والمالية الخاصة ، فان الحالة الاقتصادية والمالية فى الجزيرة كانت داعية الى التفاؤل لأول عهد الحكومة الاسلامية ، فمع أن الحروب والفتن والثورات من شأنها عرقلة سير الحركة الاقتصادية ، والتأثير فى الحالة المالية ، الا انها لم تكن لتضربها ضررا يخشى منه قتل هذه الحركة ، أو شلها على الأقل فى أثناء هذه الاضطرابات ، بل بالعكس رأيناها تزداد نموا ونشاطا واتساعا فى وسط هذا المعترك المشحون بحوادث الحرب والفتن ، واستطاعت الحكومة الاسلامية الأولى أن توجه معظم جهود أهل الجزيرة الى الانتاج العام فى الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى اذا استقرت الحياة السياسية فى الجزيرة على عهد الكلبيين ، رأينا الحالة الاقتصادية والمالية قد استقرت تبعا لذلك ، وأخذت جهود كل الأجناس تتحد وتمتزج بعضها ببعض فتتشكل بعد ذلك فى صورة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وشارل دييل (بالرموسيراكيوز) ص ٩٥ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

خاصة عليها سمات الأجناس ، وملامح الشرق والغرب ، فعمد النــاس الى الزراعة والصناعة فأحيوها ، وادخل العرب فى الجزيرة أصنافا من النباتــات وانواعا من الأشجار جديدة فنقلوا اليها شجيرات القطن من الشام ، وقصــب السكر من طرابلس الغرب ، وادخلوا فيها أنواعا جديدة من أشجار الزيتون ، ونبات البردى الذى لم ير (ابن حوقل) له مثيلا الا فى مصر ، وجلبوا اليهــا غير ذلك من النباتات المفيدة التى نقلت من اليمــن ووادى الفرات ، وشــمالى افريقية ، كشجر الصنوبر ، والفستق ، واللوز ، والبندق . (١)

وقد أصلح المسلمون فى الجزيرة نظام الرى بما كفل زيادة الانتاج الزراعى الى حد كبير ، فأقاموا المجارى ، وعلموا الناس عمــل القنى ذات الأنابيب العقف (السيفونات) وكانت غير معروفة قبلهم ، ورفعوا المياه من الآبار ، بما أقاموه عليها من النواعير (السواقى) ، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة ، كان لها أثرها العظيم فى زيادة الحاصلات وتعدد أنواعها ، واقبال الناس على فلاحة الأرض لاخراج كنوزها . (٢)

وقد عدنوا المناجم فى الجزيرة ، وفيها الذهب ، والفضــة ، والنحاس ، والحديد ، والزئبق ، والرصاص ، والكبريت ، والملح ، والكحل ، والنوشادر ، والشب ، وزيت النفط .. واستعملوا أنواع الرخام والصوان فى المبانى(٣) .

واعتنوا بتربية الماشية من الخيول ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والغنم عناية فائقة ، وكانت تعد منها مقادير عظيمة للتصدير الى ايطاليا والأندلس ، وكان المسلمون مهرة فى حفظ الأسماك بالتمليح وغير ذلك من الوسائل ، وكانت هذه الثروة الحيوانية مصدر رخاء ، وعاملا كبيرا من عوامل تدعيم المركز المالى والاقتصادى فى الجزيرة بجانب الصناعات الأخرى والزراعة والتجارة .
وقد كانت التجارة قبل العرب ضيقة النطاق ، قليلة الأهمية فى هذه الجزيرة ، فأصبحت على عهدهم متشعبة النواحى ، غزيرة المواد ، تحملها سفنهم الى ثغور أوربة فى ايطاليا الجنوبية ، والأندلس ، وتوزع فى داخلية البلاد ، فيعجب أهل أوربة بها ويقبلون عليها(٤) .

وثب الأهلون بالزراعة والصناعة والتجارة وثبة كأنما نشطوا من عقال ، فكثرت الأموال ، وفاضت الخيرات الى الحد الأقصى ، وافتن الناس فى ضروب الترف والنعيم ، واتساع العيش ، والتأنق فيه ، والتلون بأزهى ألوانه ، فقد كان أمراء الكلبيين يعيشون فى قصور فخمة ، فى مدينتهم الزاهرة (بلرم) التى كان بها مقر الوالى ، وقاضى القضاة ، وديوان الحسبة ، ودار الصناعة وفى

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، سيديو (خلاصة تاريخ العــرب) ص ١٤٦ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ــ ٦ (ومعجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٤ (وحضارة العرب لغوستاف لوبون) ف ٧ ص ٣١٨ ، و (المدنية العربية فى الغرب للويجى رينالدى) ص ٢٠ .

(٣) ياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٤ ، والمكتبة الصقلية (آثار البلاد .. للقزوينى) ج ١ ص ١٤٢ ، وغوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، وسيديو (خلاصــة تاريــخ العرب) ص ١٤٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

(٤) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

ميناؤها كان يربض أسطولها العظيم الذى طالما فتح به المسلمون الثغور الايطالية وغزو الجزر القريبة والبعيدة من صقلية . (١)
ولقد أعطانا صورة مشرقة ومشرفة عن مقدار عمارة الجزيرة ، وسعة رخائها . ورواج تجارتها ذلك الرحالة الشرقى (ابن حوقل) الذى زارها سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ — ٩٧٣م) على عهد الأمير : أبى القاسم بن الحسن الكلبى (٣٥٩ — ٣٧٢هـ / ٩٦٩ — ٩٨٢م) فقد وصف الجزيرة بقوله : « وأكثر أرضها مزرعة » ، كما أنه يشير كذلك الى الحدائق الغناء ، والأسواق العامرة المحيطة (ببلرم) العاصمة ، ويصف نظام الرى الدقيق بواسطة المياه المجلوبة من الآبار . . . الخ . (٢)

ويعتبر وصف ابن حوقل للعاصمة (بلرم) لا أقدم وصف فحسب ، بل الوصف الوحيد الذى كتبه شاهد عيان من المسلمين ، فيقول : « وهى (بلرم) قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، وهى خمس حارات محدودة غير متباينة ببعيد مسافة ، وان كانت حدودها ظاهرة » ، ويعدد هذه الحارات ، ويصفها ، ويذكر ما فيها من مساجد كثيرة ، وأسواق ، وما فيها من متاجر وصناعات ، ويدهشس من كثرة المساجد فى الجزيرة ، وبخاصة فى العاصمة (بلرم) ويقول : « لم أر مثل هذه العدة فى بلد من البلدان الكبار على ضعف مساحتها ، ولا سمعت به الا ما يتذاكره أهل قرطبة » ، ويذكر أنه كان واقفا بجوار مسجد لأحد الفقهاء الأعيان فى (بلرم) فرأى من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره .

ثم أخذ يعدد رباطاتها على الساحل . . وذكر أخيرا أن فى المدينة (بلرم) أكثر من ثلاثمائة معلم فى مكاتبها لتعليم الناشئة ، وكان يعتبرهم القوم أشد الناس تقى ، وأقربهم الى الله ، وأعلاهم قدرا(٣) .

لعل فيما قدمناه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية والمالية واستبحار العمران فى الجزيرة على عهد المسلمين ما يضع أمام القارىء صورة امارة عظيمة طموحة ، وشعب قوى البنيان ، كامل العدة ، بارز الحيوية ، ومجتمع منسجم يسوده الوئام والسلام الا فى بعض الفترات القصيرة ، كما تدلنا هذه الصورة أيضا على أن الحضارة فى صقلية على عهد المسلمين كانت من أزهى الحضارات الاسلامية المعاصرة لها ، وانها كانت المنار الذى يضىء الجانب الغربى من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتتلألأ انواره على سواحل أوربة الجنوبية والغربية بجانب الأندلس الينبوع الذى استقت منه أوربة أصول حضارتها الحديثة .

أما الحديث عن: « الثقافة العربية فى جزيرة صقلية » على عهد المسلمين فموعدنا به المقال القادم باذن الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ١٠.

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ٦ ، و (معجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٦ وهو ينقل عن المسالك والممالك لابن حوقل .

(٣) راجع نصوص ابن حوقل فى المكتبة الصقلية (المسالك والممالك) هـ ١ ص ٤ — ١٠ ، وياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وهو ينقل المسالك والممالك لابن حوقل .

نظرة الإسلام إلى

الإنسان والكون

الأسس والآثار الحضارية في الإسلام

للدكتور: مازن المبارك

جامعة الرياض

بين المـــادة والروح

لقد اتى على الانسان حين من الدهر ، ظن فيه أن بلوغ الكمال فى الحياة ، لا يكون الا عن طريق الرقى المـــادى ، فانطلق فى ميدان المـــادة ، كما ينطلق وحش الغابة ، حتي وصل الى القمر أو كاد ، وحقق فى ذلك نصرا لا ينكر ، ولكنه نسى فى غمرة انطلاقته المـــادية جانب الحياة الآخر ، انه اهمل الجانب الروحى ، فاذا هو قوى فى جسمه ، منتصر بمادته ، متخلف فى روحه ، ضعيف فى خلقه .

وقد ادرك عقلاء العالم اليوم ، أن الطريق المادى ليس كافيا وحده لبلوغ الانسانية درجة الكمال ، وان رقى الانسان المادى لم ينقذ العالم من الويلات التى تزداد يوما بعد يوم ، فالاستعمار والحروب ، والثورات وسحق القـــوى للضعيف ، والتعصب العنصرى . . كل ذلك اخذ يزداد مع الايام ، ومع ازدياد الرقى المادى !! بل ان الرقى المادى لم يكن فى هذه المعارك الظالمة على الحياد ، وانما كان على العكس سلاحا للفتك والدمار فى أيدى الظالمين .

ان العالم اليوم أشبه بمدرب عنى بتدريب انسان « أحمق » حتى أصبح عملاقا قوى العضلات ، ثم سلحه بالحديد والنار ، واطلقه ليعيث فى الارض فسادا ، وليس فى قلبه رادع من ضمير ، وليس فى عقله غاية غير منفعتـــه الخاصة .

والانســان مخلوق من طين وروح ، ولا بد لرقيه من العنـــاية بعنصريه جميعا ، ولذلك كان للاسلام وكشفه عن حقيقة خلق الانسان فضل فى تغيير نظرة العالم الى علاقة الجسد بالروح ، فلم يعد هناك جسد ينطلق يائسا من

وجود حياة روحية فاذا هو آلة مادية ، ولم تعد هنالك روح تتنكر للجسد ، وتزعم ان رقيها لا يكون الا باهماله ، وطهارتها لا تتحقق الا بتعذيبه .

لقد أصبح واضحا ان الجسم مستقر مؤقت للروح ، وزالت تلك الاوهام القائمة على افتراض العداء بينهما ، فالجسم مخلوق فى أحسن تقويم لا ليهان ويحتقر ويعذب ، ولكن ليقوى ويحقق وجوه نشاطاته بما فيها اللذة الحلال . وبذلك يكون الجسم أقوى على مسايرة الروح فى انطلاقتها ، لأنها انما تحقق نشاطها أولا فى اطاره .

وليست الدنيا فى نظر الاسلام مباءة ، على المرء ان يفر منها ، وليست طيباتها مكروهة ، وانما الدنيا دار امتحان ، وعلى المرء ان يجد فيها ويكدح ، وأن يتعاون فيها مع بنى جنسه فى كل ميدان ، ليحقق فى الحياة الدنيا عمارا ورقيا وازدهارا ، وليقرب هذه الحياة من المثل الاعلى فى الحق والخير والجمال .

ان الجانب الروحى والخلقى فى حياة الانسان ذو اثر بعيد وهام فى أمن الانسان ورفاهه ، بل ان بعض العلماء ليرى ان اهمية هذا الجانب تفوق أهمية المعرفة العلمية التى تتوخى سيطرة الانسان على الطبيعة ، لأن العالم اليوم يعانى ازمة خلقية ودينية ، اكثر مما يعانى من التخلف العلمى ! انه ليعانى من كيفية استثمار نتائج العلم اكثر مما يعانى فى الوصول الى تلك النتائج(١) .

الاسلام دين واقعى

ولقد كان الاسلام هو المذهب الوحيد الذى ادرك حاجة الانسان الى الرقى الروحى والمادى فى وقت واحد فجمع بين الامرين وقرن بينهما من غير افراط ولا تفريط ، انه لم يجعل الكون المادى غاية ، كما هو الامر عند الماديين ، ولم يتناس الطبيعة ، أو يتنكر للجسد ، كما هو شأن الروحيين ، وانما كان واقعيا معتدلا يعترف بالمادة ، فلا يغلو الى درجة جعلها غاية ، ويعترف بالروح اعترافا لا يعنى انها اهلاك للجسد .

ان الاسلام الذى كشف القناع عن خلق الانسان من طين ليعترف للانسان بغرائزه ، فى الوقت الذى يحتم فيه اتباع الطريق الذى رسمه للتنفيس عنها ، ثم هو بعد ذلك — تمشيا مع عنصر الروح فى خلق الانسان — ينظر الى أبعد من الكون المادى ، ويجعل الغاية أسمى من أن تقف عنده ، ان الكون المادى مسخر للانسان ، ولكن غاية الانسان تتعدى هذا الكون .

نعم ان الدنيا لك أيها الانسان ، ولكنك انت للآخرة ، فتمتع من الاولى وهيىء نفسك للثانية (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)(٢) .

بل لقد جمع القرآن ما فى الاكل والشرب وطيبات الرزق والزينة من مادة الى ما فى العبادة من جانب روحى فقال « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(٣) وأمرنا أن يكون دعاؤنا شاملا لحسنتى

---

(١) انظر كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الأعراف .

الدنيا والآخرة فقال « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق(١) ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »(٢) .

فالاسلام — اذن — لم يتنكر للدنيا ، ولم يحرم التمتع بالرزق الطيب ، والزينة التى أخرج الله لعباده ، ولكنه من ناحية ثانية حذر من أن يركن الانسان الى الدنيا ، ويغرق فى لذاذاتها ، ويغتر بها ، وينسى أنها فانية .. انه حذر الانسان من أن تكون دنياه حجابا دون الآخرة ، وكثيرا ما لفت نظره الى سرعة زوال الدنيا ونعيمها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »(٣) . « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .. »(٤) وذلك لأنكم « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة »(٥) « بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى »(٦) .

وعلى هذه الصورة جمع الاسلام بين الروح والمادة ، وقرن بين الدنيا والآخرة ، فكانت صورة رائعة لا نظير لها فى أى دين أو مذهب آخر ، ان عمار الدنيا واتقان الصناعة والتوسع فى العلوم أمور حض الاسلام عليها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعلها غاية نهائية ، يقف الانسان عندها ، وينتهى طموحه لديها ، وانما جعل الغاية وراء ذلك سموا وعلوا ، ودعا الانسان الى الرقى ، ليصل الى ما يستطيع من مشارف تلك الحياة السامية الخالدة .

الأسس والآثار الحضارية فى الاسلام

ولنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من أسس صالحة لبناء الحضارة ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان أثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها أثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من أبرز خصائص هذه النظرة الاسلامية أنها أرست للحضارة أسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى أوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين ، فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

---

(١) أى نصيب ..
(٢) سورة البقرة ..
(٣) سورة الكهف ..
(٤) سورة هود ..
(٥) سورة الانفال ..
(٦) سورة الاعلى ..

١ ـ ففى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولا : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ، ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها أيقظت فى نفس الانســـان ضميره . فأصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الاساس الاول : وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشـل حركته ، وتقتل موهبته ، ولا تتسع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شـديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد أنه اذا أردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته ، وعلى المرء مروءته . فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه ، واستثمار كفاءاته ، ليتنافس الافراد فى تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه ، الا تنافسا خيرا ، يرعى حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة .

ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميـدان الفكر ، كما نطبقه فى ميـدان الاقتصـــاد ، وذلك بأن نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشـاؤون ، وأن يكتبوا ما يشـاؤون ، على الا يكون فى شىء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها .
ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا ، يوم طبق فلم يشل حركة الفكر ، بل هيأ للعالم علماء أفذاذا ، كابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، وغيرهم ، ممن قال عنهم علماء الغرب : انهم ظلوا أساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمـة ميدان من ميـادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ، ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيـه غنى » .

وأما الاساس الثانى : وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاساس الاول ، اذ قد يجنح بعض الافراد او ينحرفون ، تستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة ، فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة ، كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء وأولئك من رادع ورقيب . فكان الاساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وايقاظه دائما ليكون حارسا امينا ، او صمام أمان ، يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا ، لأن الله سبحانه مطلع عليه ، وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى .
وأما اذا صدىء هذا الضمير ، أو قصر فى واجبـه ، فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ، ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ، ويعيـد الى المجتمع توازنه المطلوب .

وأما الاساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ، أيا كان ، وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الانسانية من اقربها أنه انقذها من حياة الفوضى والقلق ، تلك التى كانت تعيشها ، وأوجد

فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل المثمر ، والانتـاج النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع الوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هـذا الجانب الروحى ، وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك ان تقرا كتاب (دع القلق وابدا الحيـاة) « لديل كارلنجى » (وكتاب العودة الى الايمـان) « لموريس كريسون » .. فكارلنجى يقول **« ان أطباء النفس يدركون أن الايمـان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبى »** ويقول الدكتور بريل **« ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا »** .

والحقيقة انه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير ، تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هـذا الى جانب ما لصلة الانسان بربه من اثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

فى الحيـاة الاجتماعية

٢ — **وفى مجال الحياة الاجتماعية** ، وضع الاسلام التكافل الاجتمـاعى اساسا يقوم عليه المجتمع ، وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات ، او اعانة الفقراء ، وانمـا يمتد ويعم حتى يشمل ميـدان الصناعات ، وذلك أن الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامى أن يكفى نفسـه ، فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون ، فكل اهل البلد آثمون ، ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميادين الصناعة مثلا — من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الاعبـاء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم ، تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثـالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

فى ميدان الانسـانية

٣ — **واما فى ميدان الانسانية عامة** ، فكان الاساس الذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون ، لا يفرق بينهم نسب ، ولا لغة ، ولا لون ، ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وأممهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لأول مرة فى تاريخ الانسـانية أمم وشعوب ، تعاونت على بناء العالم ، ورقى حضارته ، رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة أيضا أن فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم أجمع ، فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

فى ميـــدان العلم

٤ ــ **وفي ميدان العلم** قامت نظرة الاســـلام على اساسين : ايمـــانى وتجريبى .

أما الايمانى فخاص بما اخبر به الله تعالى . وما تنزل به الوحى ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه قد تمت الرسالة وانتهى الوحى ، وختمت النبوات .

وأما العلم التجريبى فهو الذى لفت القرآن اليه اذهان الناس ، وحثهم على البحث فيه ، واخضاعه للتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية ، فكان صوته أول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ، ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة أسراره .

وكان من أثر هذه النظرة ان نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر ، الى مرحلة العلم والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية ، وعرف النابغين من العلماء ، كالبيرونى ، وابن الهيثم ، والجاحظ ، والرازى .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم فى الطب والفلك والـكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضـــارة الاسلامية عصر العلم والعلماء(١) .

ولقد اثبت الاسلام ــ كما يقول غوستاف لوبون ــ **انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم** ، بل ان لوبون يصرح : **بأن المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول** فيقول : (يعزى الى بيكون على العموم انه أول من اقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ، ولكنه يجب ان يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..) وهو يعنى المسلمين .

ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ، ثم يقول : (قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك هذا المنهاج فى العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا) (٢) .

فى ميـــدان الســـلام

٥ ــ **واخيرا ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام** ، فالاسلام والسلم والسلام من أصل لغوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له ، فكان أول ما يذكر فى اللقاء بين مسلمين ، بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام) .

والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الانسانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق وأسرار الكون ، فلا يهتدى ، ومنح السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد انها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها ، فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بإله واحد ، وهو إله يحبها ويفرح باهتدائها ، ويدعوها لإنهاء الخصومة ، والاستسلام له أو الاسلام له « وانيبوا الى ربكم واسلموا له » (سورة الزمر) . « ومن

---

(١) انظر الحضارة الاسلامية لفرونباوم ص (٣٠٩) .

(٢) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ص (١٢٦) و (٤٢٥ــ٤٢٧) .

أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (سورة النساء) . ومتى وجد السلام فى النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر ، فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

قوة تحرس السلام

٦ — **على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجانحة ، وانما دعمها بالقوة تحرسها ، وتسهر على تحقيقها . انه يؤثر السلام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولكنه يدعو الى أن تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق ، وتنتصر له ، فامر باعداد القوة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وامر بقتال الفئة الباغية « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » .**

وهكذا هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير ، وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟

وأى دليل أصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى ، وشهد انه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم ، وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال ، كما هو الامر فى أكثر الدعوات ، وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية ، وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال (**لم يفتح الاسلام العالم ولكنه غزاه بحضارته**) (١) وكان منهم من قال (**الحق أن أتباع محمد ظلوا اشد من عرفته اوروبا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم — كما فى زمن الحروب الصليبية — كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة**) (٢) وقال (**ان للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما فى العالم . وان اوروبا مدينة بحضارتها للعرب**) (٣) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الاسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية . فهى تمتاز :

أولا : **بالنزعة الانسانية** التى لا تعرف حدود الارض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل تفرقة للجنس أو اللون أو غيرهما من العصبيات .

---

(١) الحضارة الاسلامية لفرونباوم .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون (٥٧٧) .

(٣) انظر حضارة العرب ص (١٧٦) وما بعدها .

ثانيا : **بالبساطة** وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : **بالشمول** لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : **يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع** للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا أن يكذب أو يخدع أو يخون أو يعتدي من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة او الدولة من أجل القوم او الوطن او سياسة الدولة ..

وبعد ..

فان الحضارة الاسلامية ذات أساس ايمانى ، لأن الايمان بالله هو الاساس الاول الذى ترتكز اليه — وهو ايمان يحرسها ، ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما راينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شيء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

نظام شامل

على انه يجدر بنا ان نشير الى ان الاسلام نظام شامل ، وانه اذا أردنا له أن يقيم نظاما حضاريا ، وان يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعضه الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ، ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام ، بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ، ويحضه على الاتقان فيه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم ، وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته ، لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أساسها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم . وما أحوجه الى النظرة الاسلامية ، التى تتفرد بأنها وحدها من بين أديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى ، الى ما فى العقل من طموح علمى ، الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسالنى سائل بعد الذى ذكرت : اين هى اليوم اسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا اين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .



رضى الله عنه فى العلماء الزاهدين ، والحكام العادلين
والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين

للأستاذ : سعيد الأفغاني
كلية الآداب – جامعة دمشق

ما اقصر عمر الانسان ، سنوات معدودة عليه ان يقطعها الى نهايته فى مراحل ، كالعربى القديم يخرج من مكة على راحلته الى الشام ، مكابدا حر الشمس فى صحارى الجزيرة ، تسلمه مفازة الى مفازة ، يسير الليل ، ويقبع فى النهار ، لا جديد بين يدى سفره ، غير وهج الصخور ، وسعير الهواجر ، وبحار من الرمال عن يمين وشمال ، ثم كسر يابسة ، يتبلغ بها ، وصبابة من ماء يحرص على الا تنفد ، فيهلك هو وراحلته عطشا ، فاذا لمح فى طريقه الشاق الطويل مورد ماء او قليلا من ظل او نزرا من خضرة ، مال اليه ، كانه ظفر بجنة الخلد والنعيم المقيم ، يريح راحلته وبدنه من سفر مضن وعرق متصبب .

هذا حال الروح اليوم مع صاحبها الغارق فى عيشه المادى الكادح ، الطافح بالهموم والأفراح والأحزان ، هى مسافر فى صحراء ، جائعة ظماى مكدودة ، على شفا المهالك ، اما اللحظات التى نصلها فيها بعالم المثل والفضائل ، فهى الواحات النضرة فى سفرها ، تروى فيه ظماها ، وتبعث نشاطها ، وتبل شوقها ، وترد حياتها ، وتشعر بالسعادة فتحلق فى عالمها العلوى .

وشهر ذى الحجة والمحرم واحة من واحات الروح ، تبلغها بعد احد عشر شهرا من سير حثيث جاهد ، فتجد عليها عالما آخر فى انتظارها ، تأنس به ، وتحن الى مباهجه : تخفيف من أعباء المادة ، بل هروب منها ، ورياضة النفس على شىء من هجر الراحة ومن وعثاء السفر ، واخذ البدن بشىء من الشظف والحرمان فى المطعم والمشرب والمبهج والمسكن والملبس ، ثم اقبال على الاتصال بالله

فى منازل وحيه ، ومهابط رحمته ، ليلا ونهارا ، يراقبه ويبتغى رضوانه فى مغداه ومراحه ، وبيعه وشرائه وأخذه وعطائه . وهو ان صلى أو قرأ القرآن أو صام أو تهجد ، شعر فى قرارة نفسه باشراق لا يألفه فى غير هذه الأيام أيام الحج .

ثم حين يودع العام الراحل ، ويستقبل المحرم من عامه الجديد ، سائلا ربه خيره وخير ما فيه ، وعائذا من شره وشر ما فيه ، وان لم يكتب له حج وزيارة ، وجد كل شىء قد أعد حوله من وسائل الاعلام ليلائم الجو العلوى لهذه الأيام ، شأنه فى ذلك شأنه فى رمضان : محطات تتزود فيها الروح زادها من العام الى العام ومن هذا الزاد سير العظماء الصالحين ، الذين عاشوا على الأرض وكأنهم الملائكة طهرا ونزاهة وسموا ، ايثارا لخير الناس على النفس وهواها ، ولرضاء الله على رضا غيره ، وللآخرة على الأولى .

. . . .

من هؤلاء العظماء الصالحين الصحابى الجليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وخاتمة الخلفاء الراشدين ، أول الناس اسلاما بعد السيدة خديجة ، وربيب النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته صغيرا ، واخوه كبيرا ، البطل الشجاع ، والفارس المغوار ، ابلغ الخطباء بعد النبى ، ومفزع الخلفاء فى الشورى والعلم والقضاء ، **امير المؤمنين على ابن أبى طالب .**

ومن ظن أنه يستطيع المرور ببعض مآثره فى صفحات ، فقد ظن جهلا ، ان ضخام المجلات لتضيق عن ذلك . والذى سنذكره فى هذه الأسطر خطرات عن الرجل ، الذى امتحنته الدنيا بكل مغرياتها ، فذلت مغرياته تحت قدميه ، ثم حطت عليه الدنيا بكل بلاياها و مضايقاتها ، لتزيحه عن صلابته فى الحق ، فخسئت البلايا والمضايقات ولم يتزحزح ، وبقى على ابن ابى طالب معلما من أشمخ المعالم فى تاريخ الانسانية ، ومثلا أعلى للحاكمين ، الذين لا يعيشون لأنفسهم وانما يعيشون للخير العام ، والفضيلة الخالصة ، والمثل الرفيعة النبيلة ، هازئا بكل المرغبات والمرهبات ، التى تقوم أعذارا لكبار الرجال ، حين يميل فى أيديهم الميزان .

ومن قرأ التاريخ وكتب الطبقات وجد عليا فى الصف الأول من كل طبقة : فى مقدمة الفرسان الشجعان وفى طليعة المجاهدين القواد ، وعلى رأس العلماء الزهاد ، وأول القضاة ، وفى المحدثين والمفسرين ، وفى البلغاء الخطباء ، وفى المتصدقين الأجواد . . انه أمة فى رجل ، وليس هذا بكثير على ربيب النبوة فى منزل الوحى .

وخاطرة اليوم تحوم حول منقبته راعيا للأمة ، وأميرا للمؤمنين ، وكلنا راع ذو سلطان قل أو كثر ، لكننا لا نملك من انفسنا ما ملك من نفسه ، فاذا استطعنا ان نتمثل مواقفه ، كلما جمحت بنا الأهواء فاقتدينا به ما وسعنا الاقتداء ، كان هذا حسبنا نفعا وخيرا .

لم يكن لهوى النفس ولا لسكرة السلطان سبيل على هذا الراعى العظيم ، حتى فى المواقف العصيبة الدقيقة التى لا ينجو فيها العظماء من ضعفهم البشرى :

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، فطاشت العقول ، وأخذت الناس غشية المصيبة ، كبارهم وصغارهم فى ذلك سواء ، حلماؤهم وضعفاؤهم ، ثم رجعوا الى انفسهم قليلا قليلا ،

وعرفوا أن لا بد من خليفة للرسول يقوم بأمر الناس ، والتفتت أذهان كثير من الصحابة الى على ، فلما بويع أبو بكر كان له على نعم المشير ، ونعم المعين ، ولم يأنف أن يكون جنديا فى خلافة أبى بكر ، ولو كان لنفسه عليه سلطان كما نعهد فى المرشحين ، ودعا الى نفسه ، لوجد المؤيدين ، لكن عليا وعمر وعثمان وأبا بكر طبقة من البشر كبار النفوس ، قل أن يجود الزمان بمثلها .

ثم بايع الناس عمر ثم عثمان ، فخلص على النصح لهما ، ويبقى كعهده أمام أبى بكر حسن طاعة وسماحة وخلوص نصح ، وعرفوا له جميعا عظمة نفسه ، وأنه ركن من أركان المسلمين ، حتى حين تغلب على عثمان آخر حياته بطانة فى اخلاصها شك ، وجعلته يطرح رأى على ؛ ويأخذ برأيهم ، حتى فى ذلك الحين لم تأخذ عليا موجدة ما على عثمان ؛ واستمر على تقديم كل خير يطيقه .

ثم آلت الأمور — كما يعرف قراء التاريخ — من سىء الى أسوأ ، وحوصر عثمان ، وتألبت عليه زمر الشر ، فجرفت معها الصالح وغير الصالح ، ولم تخامر نفس على فى هذا الموقف نزوة ولا انتصار لرأيه ، بل عذر عثمان ، وهب ينافح عنه ، ويخفف من غلواء أهل الأمصار .

ولما بلغ السيل الزبى ، وغلب رأى بطانة السوء ، ترك ابنيه الحسن والحسين بسيوفهما على باب الدار — دار عثمان — يحميانها مع نفر من خيار الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار ، وحذرهما أن يخلص أحد من الغوغاء الى عثمان ، وفيهما عين تطرف .

ولكن الأشرار تجنبوا الباب ، وتسوروا جدارا لا حراس عليه ، ووقع القضاء بالخليفة الصابر الشهيد وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ عليا مقتله ، لم تسعه الأرض ، وأسرع الى الدار ، فلم يكن منه الا أن لطم ابنيه الحسن والحسين ، ظانا فيهما التقصير ، وهذا موقف يحسن أن يقف عنده طويلا زعماء الأمس واليوم ويتفهمونه حق التفهم ، حتى لا ينصروا نزواتهم وأهواءهم حين يختلفون ، وينسوا شعوبهم ومصائرها ، لقد كان أحوج الناس الى هذا الدرس زعماؤنا يوم نكبة فلسطين ، وهم الآن اليه أحوج .

ثم بويع على ، ولكن أية بيعة ؟ انها لم تكن كبيعة عمر وعثمان ، فقد آلت اليهما أحوال موافقة ، وسياسة رشيدة حازمة ، وأمر جميع ، وكلمة موحدة ، وأمة تناهض عدوها صفا واحدا ، وتسعى الى نشر رسالة واحدة ؛ وآلت الى على أحوال منتشرة ، وسياسة أفسدها بطانة السوء ، وأمر شتيت ، وكلمة متفرقة وأمة يناهض بعضها بعضا ، والعدو بها متربص .. فحمل الأعباء بعزم البطل المنفذ المؤمن بتأييد الله ، وشمر للاصلاح ، فغير الولاة الذين اضطرب الأمر على عهدهم ، وبدأ بأقواهم شكيمة وأكثرهم حزبا وناصرا : معاوية بن أبى سفيان والى الشام على عهد عمر وعثمان ، ونصح الناصحون عليا أن يبقيه سياسة ورفقا ، فأبى عليه يقينه وقوته فى الاصلاح . ومتى حسب أولو المبادىء والرسالات حسابا للسياسات ؟

خلع معاوية ، فشذ معاوية بالشام عن البيعة والجماعة ، فانشطر الصف الواحد ، ولم يكد على ينظر فى هذا الأمر حتى فوجىء بخرق أوسع : بأم المؤمنين عائشة وبطلحة والزبير وأهل البصرة ، وبعض أهل مصر ينسلون من البيعة له ، ويعلنون أن لا بيعة الا بعد الأخذ بثأر عثمان ، وكان هذا

المطلب أقرب الى التعجيز فى تلك الظروف ، فبذل على من نفسه أغلى ما يبذل مصلح مسئول ، واوشك الفريقان على الاتفاق ، بل قد اتفقا ، لكن الزمان آلى أن يجند على على كل المحن ، فبعث رءوس الشر فى العسكرين ينشبون القتال فى الظلام ، قبل ان يفرغ الفريقان ، لتنفيذ ما اتفقا عليه ، وظن كل من الفريقين الغدر بصاحبه ، وصاحبه برىء ، ووقعت الكارثة ، وانفرجت عن عشرة آلاف قتيل ، وانهزم أصحاب جمل عائشة !!

وفى الليل ، طاف على على الجرحى والقتلى من الفريقين : انصاره وخصومه ، فعاملهم جميعا المعاملة اللائقة بنبله ، وكرم نفسه وابوته ، وجعل يقول : « اللهم اغفر لنا ولهم » وامر بحمل جميع الجرحى والعناية بهم ، وحمل من الحزن على هؤلاء ما الله به عليم ، حتى كأنهم جميعا أبناؤه ، وانه ليشعر انهم كذلك بحكم ولايته .

عاد على الى البصرة يتفقد الدور المكتظة بالجرحى من الداء خصومه ومحاربيه ، وتسمعه احدى نسوتهم فى دخوله وخروجه من الطعن والدعاء عليه ما يضيق به صدر الحليم ، فيتجاوز تجاوز النبلاء ، ويأمر بالاحسان والاكرام ، ويجهز السيدة عائشة زعيمة المعارضة اكرم جهاز الى المدينة ، ويعطيها ، ويصحبها فى سفرها الموكب الضخم تعظيما ، ويخاطب الناس فى وداعها فيقول :

« ايها الناس ، صدقت والله وبرت ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » ثم يشيعها اميالا ويسرح بنيه معها فى موكبها الى المدينة .

اما الزعيمان الآخران طلحة والزبير فقد تقطع قلبه حسرة عليهما ، ولما رأى طلحة فى القتلى متعفرا ، جعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : « اعزز على ابا محمد ان اراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الأودية ، انا لله وانا اليه راجعون . والله انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وصدق والله .

انصرف على بكل عزمه الى ما يصلح امر الأمة ، لم يلن فى حق ، ولا جامل قريبا ولا اخا ، ولم يحتمل الناس ذلك ، فجفاه اخلص الأقارب والأصدقاء ، واحدا بعد واحد ، ادركهم ضعف البشر ونصرة الهوى ، فارقه ابن عمه واخلص نصحائه واقواهم ، عبد الله بن عباس ، وانحاز اخوه عقيل بن ابى طالب الى عدوه معاوية ، ثم انشق عليه الخوارج فحاربوه ، وهو ثابت كالجبال الرواسخ لا يغير من سيرته . وصلابته واقدامه قيد شعرة ، واخذ الناس ينفضون من حول الأمير الحارس الأمين ، الذى حرم نفسه راحتها ، ولم يمتعها من الدنيا بمتاع ، انصرفوا الى الملك الذى يكسب لنفسه ويعطى غيره . ومضى قدما صادقا ما عاهد الله عليه ، أميرا اجيرا ، حتى لقى الله على سنة النبى الكريم وخليفتيه الراشدين ، لم يفتر ، ولم يبدل فكان الراعى القوى الأمين .

يقول السطحيون من متفلسفى التاريخ : (ان عليا ضعيف السياسة) وفاتهم انه اختار السيرة التى سارها عن بصيرة وروية وتصميم ، حين

جعل هدف الحياة ارضاء الله واسعاد البشر ، والا فأهون الأمور ، أن يبقى معاوية على عمله ، ويزيده فيه ، ويعطى فلانا وفلانا ، وبذلك يكون عند هؤلاء من الدهاة السياسيين . انه اراد الله فى كل ما فعل ، فلم يقم لغيره وزنا . وصدر عن ذلك فى كل ماتيه ، وليس عليه أن تواتيه الأمور او لا تواتيه ، لقد قال الحق ، وعمل بالحق ، وابتغى الحق ، وهذا كل ما على اصحاب الايمان .

اختلف عليه الناس فى حياتهم ، لكنهم اتفقوا جميعا منذ وفاته ، الى يوم الناس هذا على الشهادة بأنه كان الحاكم المثالى فى كل الفضائل المطلوبة من الحاكم . وليس عليك الا ان تقرأ فى كتب الأدب والتاريخ تلك المجالس التى كانت شيعته تبكيه فيها امام خصمه القوى العنيد معاوية ، وترثيه بمناقب تلحقه بالأنبياء والمرسلين ، يجهرون بهذا صدعا بالحق ، معرضين أنفسهم لانتقام الحاكم وسطوته ، ثم تنجلى هذه المجالس عن عكس ما اراد منها معاوية ، تنجلى عن تقديس على ، وانتصار الذين كان على أماما لهم ، ثم صار عقيدة فى قلوبهم ، وعن اقرار معاوية حزينا متحسرا بكل ما قالوا . لقد خضعت القوة القوية اخيرا للحق ، وصاحبه من اصحاب القبور ، وهذا غاية ما يخلد به ناصر للحق مخلص له .

قال معاوية لضرار الصدائى : « يا ضرار صف لى عليا » فقال : « اعفنى يا امير المؤمنين » قال : « لتصفنه » قال : « اما اذا اذنت فلا بد من صفته :
كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستانس بالليل وظلمته . وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا : يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه . ونحن مع تقريبه ايانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . واشهد لقد رايته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشوفت ؟ هيهات . قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق » فبكى معاوية حتى اخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله ابا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ » قال : « حزن من ذبح واحدها فى حجرها » .

....

ان وقفة عند سيرة هذا الراعى العظيم ، تملأ النفس ايمانا وطمأنينة وحفزا الى التسامى ، وتنعش الروح وتشحنها بالقوة ، فتقتحم ميادين الخير قوية مؤمنة . وهكذا يكون المثال الذى تقدمه سير العلماء اجدى بكثير من عشرات الصحف ، حكما ومواعظ .

رحم الله عليا امير المؤمنين ، ورضى الله عنه فى العلماء الزاهدين والحكام العادلين ، والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين .

قصيدة

في ذكرى الهجرة

سرت بيننا كالحلم في ليـلة الصيف مهفهفة الأعطاف ناعسـة الطرف

مكحلة بالسـحر ملء جفونها .. فنـون من الاغـراء والرفق واللطف

فيممت شـطر الحسن اخطب وده واسرعت اسراع الكريم الى الضيف

وقلت : سلام الله يا اخت يوشـع ويا بنت احلامى ، ويا ربة الظـرف

حنانيك ما هذا الصـدود ، واننى لأبدى من الأشواق بعض الذى اخفى

صداقك لو تبديه اعطيه راضـيا وان كان الفا ، او يزيد على الألف

فردت سـلامى ، ثم قالت بعزة صداقى بحسبانى يجل عن الوصف

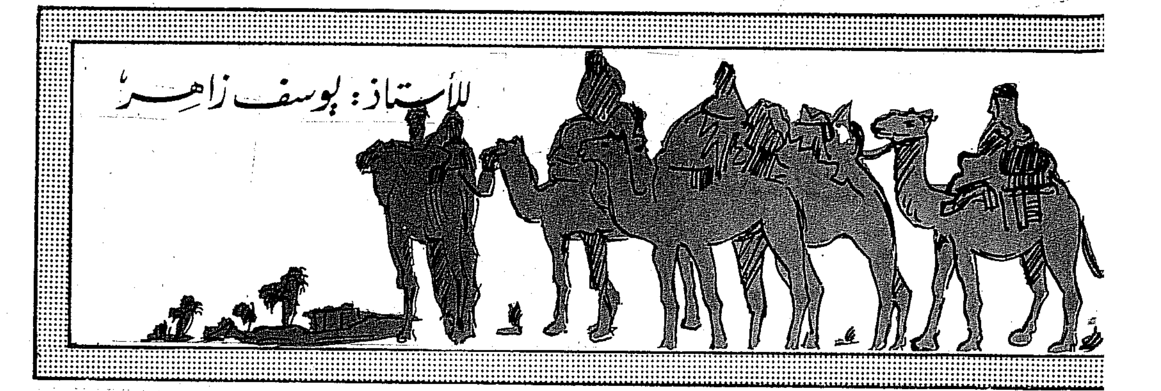
سل المصـطفى المختار عنه فانه ابو عذرة المهر الكريم الذى يـكفى

وحسـبك ان المشركين تظاهروا عليه بألوان من المـكر والحيف ..

وشـنوا عليه الحـرب يضرم نارها وقود من البغضاء والـكيد والعنف

فلمـا رايت الظـلم جاوز حده وليس لتيـار الجهـالة من وقف

عرضت لخـير المرسـلين محمد متوجة بالطهـر والمنطق العف



وناديته : السيل قد بلغ الزبى ... واضحى جميل الصبر لونا من الخوف

الى : .. الى من تسلم الحر قلبها ... اذا ثار فى وجه الجبابرة الغلف

الى .. الى من تمنح الحر حبها ... اذا عاف شرب الذل فى حانة الخسف

فما هو الا الليل ارخى سدوله ... واذ برسول الله يهزأ بالخوف

ويعبر اسوار الجحيم مظفرا ... الى جنة فيحاء دانية القطف

بها شاد للدين الحنيف دعائما ... موطدة الأركان مأمونة الكنف

فان رمت يا هذا اكتساب محبتى ... فدونك هذا النهج تلق به عطفى

ووصلى وصل المجد والعز والعلا ... وليس بوصل النهد والخصر والردف

فما الغزل المشبوب سلم نيله ... ولكنه الاقدام فى موطن الحتف

واعزاز أهل الفضل بالعلم والتقى ... واذلال أهل الشرك بالرمح والسيف

وعيشك فى الدنيا بنفس أبية ... تظل ــ برغم الفقر ــ شامخة الأنف

وتخلف بعد الموت ذكرى عزيزة ... منضرة الأفنان مسكية العرف

يأسٌ وأملٌ

حول مؤتمر القمة

للشيخ : نديم الجسر
مفتى طرابلس — لبنان

اخشى على قلبى ، وانت حبيبه ، ... ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
ما بى ، وحقك ، ان يكون منعما ... سيان ، عندى ، برده ولهيبه
كلا ، ولا بى ان يقر قراره ... هين على سكونه ووجيبه
لكن اخاف فراره واباقه ... ان طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلى اذا انتهت الحياة ولم اجد ... قلبا منيبا فى الحساب انيبه
فتن الحياة امرها تلك التى ... تاتى على القلب الكسير تريبه

★

واحسرتا للعبد يظلم نفسه ... ويظل يعلو بالثبور نعيبه
ويقول ربى شاننى واهاننى ... ويخوض فى قدر السماء يعيبه
واذا اصاب الخير قال ، بجهله ... هذا على علم لدى اصيبه
يكبو ، ويطلب ان يقال عثاره ... يجنى ويرجو ان تقال ذنوبه
وينام عن سنن الحياة ويشتهى ... ان المحال اذا دعاه يجيبه

★

يا سادة جمع « الكتاب » شتاتهم ... ووقاهم من فرقة تهذيبه
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذى ... ما زال ينهر فى القلوب صبيبه
لا تتركوا احقادكم تطغى على ... ايمانكم بالله فهى تشوبه
الخطب فى الاسلام فوق صغائر ... نلهو بهن وقد اطل رهيبه
لم ننس « اندلسا » وكيف اضاعها ... ذاك الشقاق ، وفى الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون ، فى تاريخنا ، ... صورا لها يطوى البعيد قريبه
ما كانت « الحمراء » الا ومضة ... من عهد مجد قد اطل شحوبه

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر كاتبا مجيدا وباحثا عميقا ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم انه شاعر ممتاز أيضا ، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها أصدق تعبير واجوده عما يجيش فى صدورنا جميعا .

« الوعى »

القصر لا يبقى اذا لم يحمه — شعب ابى ضرسته حروبه
اولى علامات الزوال لأمة — ترف يدب الى الشعوب دبيبه
استغفر الرحمن من ياس بدا — منى على غرب الدموع غريبه
لم يجتمع ، فى صدر عبد مؤمن — ياس مع الايمان فهو يشوبه
ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا — ثلث الورى والدين نحن قطوبه

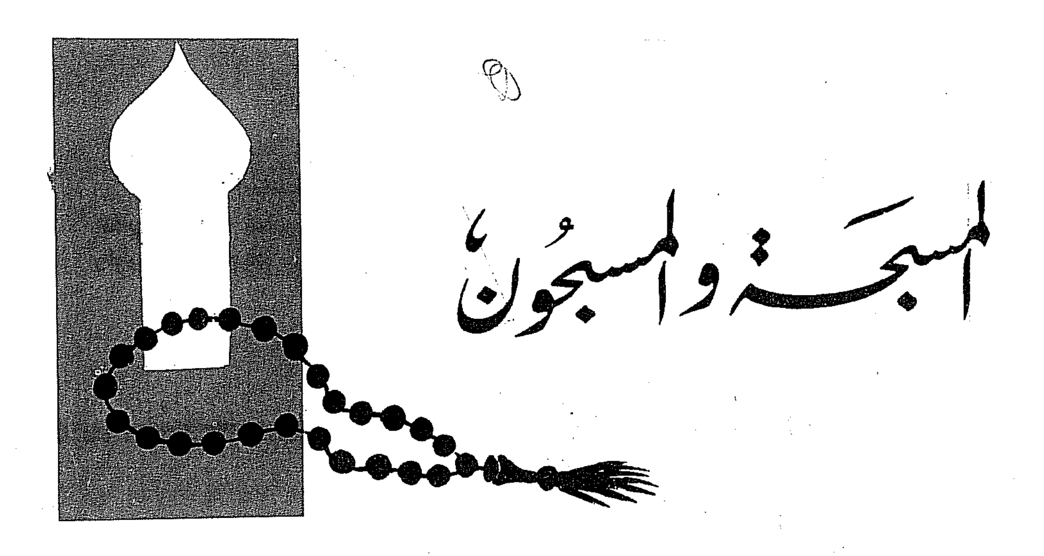
★

ولنا من البر الفسيح عوالم — ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من الأمواه اعظم انهر — ولنا من النفط العظيم قليبه
ولنا ، ببحر الروم ، أطول ساحل — هو حصة الأسد اشترته نيوبه
وعلى معابره الثلاثة تلتقى — اشداقنا ، فنجبه ، ونجوبه
ويشد وحدتنا كتاب واحد — نلقى عليه الله وهو حسيبه
مهما تفرقنا فلا معدى لنا — عن الفة يقضى بها تأديبه
هذا بمعركة البقاء سلاحنا — لم يجتمع عند الشعوب ضريبه

★

ان مسنا قرح فما من معشر — الا اتاه ، من القروح ، نصيبه
دول هى الدنيا يداولها الذى — خلق الوجود وصرفته غيوبه
هى نكبة لكن اكاد أرى بها — خيرا لشعب اترفته عيوبه
ما الخطب ، عندى ، أن يباغت نائم — فى غفلة ، بالمترفات ، تنوبه
الخطب أن يبقى الخمار ملازما — شعبا توطا بالنعال جنوبه

نديم الجسر



للأستاذ : على الجندى

عميد دار العلوم ـ جامعة القاهرة سابقا

التسبيح ـ الصلاة ، ومنه قوله ـ تعالى ـ « ... وكان من المسبحين » والتسبيح ـ التنزيه ، وسبحان الله ، معناه : التنزيه عن الصاحبة والولد ، وقد نصب على المصدر ، كأنه قال : ابرىء الله من السوء براءة .. او معناه : السرعة اليه والخفة فى طاعته ، والتسبيح أيضا : صلاة التطوع .

وسبح ـ كمنع ـ سبحانا ـ وسبح تسبيحا : قال : سبحان الله ، وسبحة الله ـ بضم وسكون ـ : جلاله .

والسبحة : خرزات تعد ، يسبح بها ، وهى أيضا : التطوع من الذكر ، والدعاء ، تقول منه : قضيت سبحتى .

جواز التسبيح باداة :

وفى ترجمة أبى الدرداء : انه كان يسبح فى اليوم مائة الف تسبيحة .
وكان خالد بن معدان يسبح فى اليوم اربعين الف تسبيحة ، سوى ما يقرأ .
قال السيوطى : ومن المعلوم المحقق : ان المائة الف ، بل الاربعين الفا ، واقل من ذلك لا يحصون بالانامل . فقد صح بذلك وثبت انهما كانا يعدان بآلة .

التسبيح بعقد اليد :

أخرج ابن أبى شيبة ـ وابو داود ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : « رايت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعقد التسبيح بيده » واخرج ابن ابى شيبة ، وابو داود ، والترمذى ، والحاكم عن « بسيرة » ـ وكانت من المهاجرات ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليكن بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات ومستنطقات » .

وفى كتاب « تحفة العباد » (قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل افضل من السبحة ، لحديث « ابن عمر » المتقدم .

ولكن يقال : ان المسبح ان امن الغلط ، كان عقده بالأنامل افضل ، والا فالمسبحة اولى .

التسبيح بالحصى والنوى :

اخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن « صفية » — رضى الله عنها — قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين يدى أربعة آلاف نواة اسبح بهن » .

فقال — « ما هذا يا بنت حيى » ؟
قلت — « أسبح بهن » .
قال — « قد سبحت منذ قمت على راسك أكثر من هذا » .
قلت — « علمنى يا رسول الله » .
قال — « قولى سبحان الله عدد ما خلق من شىء » .
وكان سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — يسبح بالحصى أو النوى .
وعن سعد بن ابى وقاص ايضا : انه دخل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — على امراة — وبين يديها نوى أو حصى تسبح به .

فقال : « اخبرك بما هو ايسر عليك من هذا وافضل (قولى : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك » .

وعن ابى بن كعب عن جده عن ابى صفية مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه كان — اى أبا صفيه — يوضع له نطع (١) ، ويجاء بزنبيل (٢) فيه حصى ، ليسبح به الى نصف النهار ثم يرفع ، فاذا صلى الاولى اتى به ، فيسبح به حتى يمسى .

وعن يونس بن أبى عبيد عن أمه ، قالت : رايت أبا صفية — رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وكان جارنا ، قالت : فكان يسبح بالحصى .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة فى كيس ، فاذا صلى الغداة (٣) اخرجها واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن .

واخرج ابن سعد عن أبى هريرة — أنه كان يسبح بالنوى المجزع (٤) .
واخرج ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى : أنه كان يسبح بالحصى .
وعن رجل من الطفاوة (٥) قال : نزلت على ابراهيم — وفى بعض النسخ ابى هريرة — ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، فيسبح به حتى ينفذ .

---

(١) النطع — بساط من الاديم .

(٢) الزنبيل — القفة .

(٣) الغداة — الصبح .

(٤) المجزع — ما فيه سواد وبياض .

(٥) الطفاوة — بضم الطاء — هى من قيس عيلان .

وقال شيخ من الطفاوة ـــ بينما انا عند أبى هريـــرة بالمدينة ، وهو على سرير له ، ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، واسفل منه جارية سوداء وهو يسبح به ، حتى اذا انفذ ما فى الكيس ، القاه اليها فأعادته فى الكيس ، فدفعته اليه يسبح به .

التسبيح بالعقـــد :

وكانت فاطمة بنت الحسين ، تسبح بخيط معقود فيه عقد .

وكان لأبى هريرة خيط فيه الفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .

وعن عكرمة ـــ فكان لا ينام ـــ اى أبا هريرة ـــ حتى يسبح به اثنتى عشرة الف تسبيحة .

التسبيح بالسبحة :

عن أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن ابيها عن جدها عن على ـــ عليه السلام ـــ مرفوعا « نعم المذكر السبحة » .

وقد قال عمر المالكى لأستاذه الحسن البصرى ـــ وراى فى يده سبحة ـــ انت يا استاذ مع عظم شأنك ، وحسن عبادتك ، وانت الى الآن مع السبحة .؟

فقال له الحسن ـــ شىء كنا استعملناه فى البدايات ، ما كنا نتركه فى النهايات ـــ احب ان اذكر الله بقلبى ، ويدى ولسانى .

وذكر ابن خلكان « فى « وفيـــات الأعيان » انـــه راى فى يد « أبى القاسم الجنيد » يوما سبحة .

فقال له ـــ انت مع شرفك ، تأخذ بيدك سبحه ؟

فقال ـــ طريق وصلت به الى ربى ، لا افارقه .

وكان الامام ـــ أبو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عبد الله ، وشيخه الامام ـــ ابو العباس احمد بن ابى المحاسن ، وشيخه ـــ ابو المظفر الترمذى ، وشيخه ـــ ابو الثناء ، وشيخه عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر ، وشيخه ـــ ابو محمد يوسف بن ابى الفرج ، وشيخه ـــ ابو الفضل بن ناصره ، وشيخه ـــ ابو محمد عبد الله السمرقندى ، وشيخه ـــ ابو بكر محمد بن على السلمى الحـــداد ، وشيخه ـــ ابو نصر عبد الوهاب المقرى ، وشيخه ـــ ابو الحسن على بن الحسن الترفق الصوفى ، وشيخه ـــ ابو الحسن المالكى ، وشيخه ـــ الجنيد ، وشيخه ـــ السرى السقطى ، وشيخه ـــ معروف الكرخى ، وشيخه ـــ ابو بشر الحافى ، وشيخه ـــ عمر المالكى ، وشيخه ـــ الحسن البصرى ، كل هؤلاء كانوا يمسكون السبح .

قال السيوطى — وقد اتخذ السبحة سادات ، يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتمد عليهم ، فلو لم يكن فى اتخاذ السبح غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول فى سلكهم لكفى ، فكيف بها وهى مذكرة بالله — تعالى لأن الانسان قل أن يراها الا ويذكر الله ، وهذا من اعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف المذكرة — اى المذكرة بالله .

ومن فوائدها ايضا — الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر انها آلة للذكر فقاده ذلك الى الذكر ، فيا حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله — عز وجل .

وكان بعضهم يسميها — « حبل الوصل » .

وبعضهم يسميها — « رابطة القلوب » .

ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف ، المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان اكثرهم يعدون بها ، ولا يرون ذلك مكروها .

وقد رئى بعضهم يعد تسبيحه ، فقيل له — أتعد على الله ؟

فقال — لا — ولكن أعد له .

والمقصود — أن اكثر الذكر المعدود ، الذى جاءت به السنة الشريفة ، لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو أمكن حصره ، لكان الاشتغال بذلك ، يذهب الخشوع .

نادرة :

ويقول السيوطى — اخبرنى من اثق به — انه كان مع قافلة فى درب « بيت المقدس » فقامت عليهم سرية من الاعراب ، وجردوا أصحاب القافلة جميعا ، وجردونى معهم . فلما اخذوا عمامتى سقطت المسبحة من راسى — فقالوا — هذا صاحب مسبحة ، فردوا على ما كان اخذ منى ، وانصرفت سالما .

وصف السبحة :

قال فيهاعما د الدين المناوى :

ومنظومة الشمل يخلو بها	اللبيب فتجمع من همته .
اذا ذكر الله جل اسمه	عليها تفرق من هيبته .

وقال النحيمى فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودة ، لونها	يحكى سواد القلب والناظر .
كانى وقت اشتغالى بها	أعد أيامك يا هاجرى .

وقال شوقى :

ما تلك اهدابى تنظم	بينها الدمع السكوب
بل تلك سبحة لؤلؤ	تحصى عليك بها الذنوب

وقد اهدى بعض الأصدقاء الى الشاعر المرحوم محمد الأسمر فى شهر من شهور رمضان مسبحة طريفة ، كل حبة منها ذات لونين اصفر واسود ، فقال يصفها ويصف أحوال بعض المسبحين .

مسبحتي كأنها ... من عنبر وعسجد
ضمت تباشير الصبا ... ح ، للظلام الأسود
فمن رآها ظنها ... مسبحتين فى يدي
رقطاء الا انها ... من معبد لمعبد
وهي — ولا ناب لها ... تعض كل ملحد
احبب بفيها الادرد ... وما به من شهد (١)
عكازة المستغفر الطا ... لب ، ضبط العدد
وحلية التهجد ... وزينة التعبد
وربما الفيتها ... يلهو بها أخو الدد (٢)
فقد ترى فى حانة ... كما ترى فى المسجد
وعدة للنصب من ... ادهي وشر العدد (٣)
حبالة الخاتل ان ... تلق حمارا تصطد
يحملها فى كفه ... وهي فساد المفسد
ومن رآها ظنها ... هداية للمهتدي
شاعت وذاعت فهي اني ... سرت ملء البلد
قالوا — اتى موسمها ... يا «رمضان» فاشهد
كم صائم مسبح ... لسانه كالمبرد
سبحته فى يده ... كالخنجر المجرد

سبحة زيدان التاريخية :

كانت لأم المقتدر العباس قهرمانة تدعى « زيدان » وكانت ممكنة من خزانة الجواهر وفيها جوهر الخلافة — فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة فى الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور ، مفصلة بعشر يواقيت ، لم ير مثلها فى عقد ملكة ، ولا خزانة ملك .
فصارت مثلا فى النفائس والذخائر .

---

(١) الادرد — من ليس فى فمه سن .
(٢) الدد — اللهو .
(٣) يحملها من نطلق عليهم النصابون المحتالون ليظهروا بمظهر المتعبدين ليطمئن لهم صيدهم من المغفلين .



للشيخ : عبد المنعم النمر

ونحن نستقبل العام الجديد

لا ادرى ــ أخى القارىء ــ ونحن نستقبل العام الرابع من عمر مجلتنا الحبيبة ، أى الخواطر أتحدث عنها معك فى هذه المناسبة ؟ ، وهى تتزاحم كما يتزاحم الماء المتدفق عند الممر الضيق ، وانها لخواطر المجلة فى ثلاث سنوات مع قرائها ، وحديث القلب الى القلوب الكبيرة التى تعيش معنا دائما على بعدها الحسى عنا .

اننى وانا استقبل العام الرابع أنظر الى الوراء ، الى ثلاث سنوات مرت فى جهاد مرير بسلاح الكلمة ، ولكنه شيق الى النفس ، من اجل هـذا الدين الذى اختاره الله طريقا وحيدا لنظام الحياة السعيدة الهادئة ، ومن اجل الوطن الاسلامى الذى حمل أمانة الله ، وأمانة التاريخ ، ثم بدا وكأنه قـد تخلى عن امانته ، وفرط فى سعادته ، ثم يبدو الآن وكأنه أحس واقعه متلمسا الخروج من هذا الواقع ، مستأنفا حمل الرسالة بجدارة وثقة . .

أتذكر الآن كيف كنا ونحن نعد العدة لاخراج هذه المجلة ، ونرسم أمامنا صورا متعددة لمجلة نريدها فى موضوعها واسلوبها ومظهرها مغرية بالاقبال عليها ، وامتصاص مادتها ، وتشرب روحها . .

نريد بها أن نحول افكار الناس وبخاصة الشباب ، عن فكرتهم التقليدية عن المجلات الدينية ، وخلوها من المادة الجذابة ، والمظهر المشجع على القراءة ، ونضع أمامهم صورة جديدة مشرقة للمجلات الدينية الهادفة ، التى لا يصرفهـا العناية بالجوهر ، عن العناية بالمظهر ، فان اهمال المظهر ، أو سوء العرض ، كثيرا ما يضر بالسلعة الاصيلة الثمينة ، ويصرف الانظار عنها .

واستعنا بكل تجاربنا وآمالنا ، وبتجارب المخلصين وآمالهم ، وبالاستعداد الكريم من المسئولين لاحتضان هذا المشروع الاسلامى وتشجيعه ، وخطـونا أولى خطواتنا على الطريق فى ثقة ، ولكن فى استحياء ، وانتظار لرد الفعل . .

والآن ، وبعد ثلاث سنوات مضت ، أشعر بكثير من فضل الله يغمرنا ، وبوعـــده الكريم للعاملين يحفنا من أول عـــدد أخرجناه .. وانما الاعمـــــال بالنيات ..

لقد كان صدى جميلا طيبا ، وجزاء معادلا ، للعمل الجاد الهادف ، وللنيات المخلصة ، فزادنا ايمانا وثقة بوعد الله ورعايته ، كما زادنا اصرارا على بذل الكثير من الجهد والاستهانة بالكثير من المتاعب ..

فما كنا نتوقع ان نصل اليه فى عشرة اعوام — وكان ذلك أملا ضعيفا على اساس الضوء الخافت الذى كان يحيط بالمجلات الدينية — وصلنا اليه بحمد الله وعونه فى مدى قصير ، ووجدنا الاضواء تسلط على المجلة من كل ركن من اركان العالم .. أو وجدناها تضىء قلوبا فى كل ركن من أركان العالم وينعكس الشعاع من هذه القلوب ليصل الينا هنا ، فيزيد طريقنا نورا وبصيرة ، ويزيد من عزمنا جهدا وتضحية ..

ما كنا نتوقع أن نجد أنفسنا بعد هذه المدة القصيرة من عمـــر المجلـــة ، مضـــطرين لطبع (٤٠) اربعين الفا منها ، لنلبى ما يمكن لنا تلبيته من حاجة القراء ، ويجد المسئولون أنفسهم امام هذا النجاح ، مقبلين على بذل كل ما يمكن لهم بذله ، لتوفير الامكانيات التى تفسح لها الطريق الى يد كل قارىء ..

ولعلنى أضع الامور فى نصابها اذا قلت ان المسئولين يعتبرون الخـــدمة التى تؤديها المجلة للاسلام والمسلمين ، انما هى من الخدمات العامة التى تقوم بها الوزارة ، لا ينتظرون من ورائها كســبا ، بل ولا ينتظرون منها أن تغطى نفقاتها ، وحسبهم فى هذا — عند الله وعند الناس — أنهم يسهمون فى خدمة هذا الدين الذى ارتضاه الله لعباده .

ومن هنا عملت الوزارة من اول يوم على أن تكون اسعارها فى متناول كل يد ، وأن تتحمل فوق مئونة طبعها واخراجها ، مئونة حملها الى كل قطـــر عربى وغير عربى بالطائرة .. وليس ذلك بالامر الهين فان العدد الواحد قد يتكلف حمله بالطائرة ما يوازى ثمنه الذى يباع به فى بعض البلاد ، ويزيد عن الثمن اضعافا فى البعض الآخر .. والوزارة مع ذلك جد مغتبطة لقيامها بهذه الرسالة الدينية .. ويضاعف من سرورها أن تجد لهذه الرسالة آثارها الطيبة فى كل مكان . وأن تصل اليها الرسائل متتابعة من كل ركن من اركان العالم ، تشيد بهذا الجهد الذى تؤديه ، وتشد على كل يد تشارك فيه ..

وكم كنت أود أن يتسع المجال لأضع امامك بعض هذه الرسائل المشرقة ، التى نعتبرها باقات زهور تصلنا من انحاء متفرقة فى أمريكا وآسيا وافريقيا .. من الافراد والجامعات والهيئات .. وكلها يشيد بمستوى المجلة الفـــريد بين المجلات الاسلامية وبحرصها على أن تعرض الاســـــلام ومبادئه بلغة العصر . وتناقش قضاياه على ضوء الدين والعقل ، وعلى أن تلتزم بالادب القرآنى فى دعوتها الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنــــة ، بعيـــدة عن الخــــلافات المذهبية ، والتيارات السياسية ، مما جعل القلوب والحـــــدود تتفتح لها .. وتنتظرها بتلهف مع اشراقة الهلال من كل شهر ، وجعل احد القراء من احـــد الاقطار يرسل الينا شاكيا من آن المجلة تأتى فى السر ، وتباع فى السر ، ولا

يستطيع الحصول عليها ، مع اننا نرسل الى هذا القطر اربعة عشر الفا منهـا كل شـهر ، ولكنها كمية لا تكفيه فتنفذ بسرعة . كما يعمد بعض البائعين الى حجزها لعملائه .

ولقد حرصنا مع هذا الالتزام على ان تتفاعل المجلة مع الاحداث التى تمر بنا ، والتيارات الفكرية وغير الفكرية التى تهب علينا . . لا تفاعل التابع العاجز ، ولكن تفاعل الموجه الحكيم ، والناقد البصير ، الذى يلتقط العبرة من الاحداث . ويوجه القلوب الحائرة المضطربة الى الهدى الحكيم . ويوقظ الضمائر النائمة لتبصر طريقها المستقيم ، بالكلمة اللينة حينا ، والقاسية غير الجارحة حينا آخر .. وبالايماء والاشارة الواضحة حينا ، وبالصراحة التى لا تثير العناد حينا آخر .. وهى تهدف فى ذلك كله الى ان تجنب المسلمين خطورة الانحـلال والتفتت ، وتجمع الشمل حول كلمة الله ، ونداء العقل ، ومصلحة البلاد . . .

ومع ان التيارات المذهبية الاسلامية تكاد تفوق فى حدتها وتشعبهـا التيارات السياسية ، ومع أن الاشتباك السياسى يتخذ من الدين أحيانا كثيرة ميدانا لمعاركة ، ومع أن المجتمع الاسلامى تغشاه آراء دينية متفاوتة البعد .. ما بين متمسك محافظ على الموروث من كلام السابقين وآرائهم لا يريد أن يحيد عنها ، وبين من يعطى نفسه حرية التحرك والفهم والاختيار من كلام السابقين او الاستنباط فى دائرة الهدى الحكيم ، وبين من لا يرضيه هذا ولا ذاك . ويريد ان يطوع الدين لأغراضه بحجة التطور وملاءمة العصر .

اقول مع هذه التيارات كلها نشق طريقنا الى الهدف الذى نؤمن به . وإن كنا نجد منتهى الصعوبة والحرج أحيانا فى اختيار الرأى . والكلمة المعبرة عنه . ونجد انفسنا مضطرين احيانا الى ان نجعل المجلة ميدان نقاش هادىء هادف . بين هذا وذاك ، بقصد الوصول الى رأى ناضج ، فان الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، والحجة تقرع بالحجة ، لا بالشتائم ، ولا بكيل الاتهامات جزافا .

ومع هذا كله لا ندعى اننا وصلنا الى ان نكون محل رضا من الجميع . فتلك غاية لا تدرك . . . ولكن حسبنا عند الله أننا نجتهد لنصل الى الصواب . والعقلاء يعرفون مما علمنا الرسول اياه : أن من اجتهد فأخطأ فله أجر . ومن اجتهد فأصاب فله اجران ، ولا يبيح عاقل لنفسه أمام هذا أن يجردنا حتى من الأجر الواحد ، ان اختلف معنا ، أو لم يعجبه شىء مما نقدمه اليه . ولقد قلت فى افتتاحية اول عدد أننا نرحب ونفرح بالنقد الهادف ، وشعارنا فى هـذه المجلة : رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى ..

ومع دقة الظروف والاوضاع التى تغشى عالمنا العربى ، ومع شـدة الحساسية من القراء ، ومع ما تفرضه طبيعة الحياد الذى تنبت فى ظله المجلة ومنه تخرج ، أقول مع ما يفرضه هذا كله . فاننى لا أعتقد اننا توانينا عن واجبنا فى ابداء الرأى لاصلاح حال هذه الامة . ولا غضضنا الطرف عما جرى ويجرى فيها من امور شاركت مشاركة فعالة فى تأخرها ثم فى هزيمتها .. بل كنـا صرحاء ـــ ولكن فى حكمة ـــ مع انفسنا ومع قرائنا وقادتنا ، صراحة حتمتها حالنا .

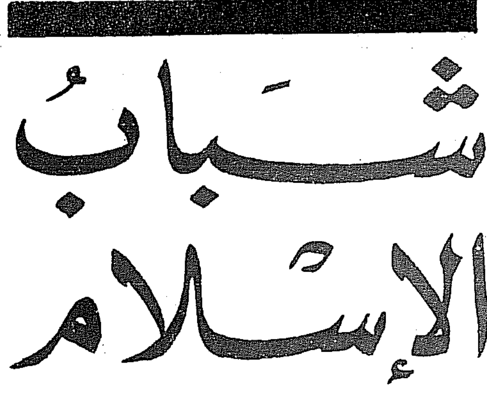
وفرضتها مرارة الهزيمة التى حلت بنا ، والرغبة فى الخروج منها ، والتخلص من آثارها .. ولا اغالى اذا قلت : ان القراء قد وجدوا فيما كتبناه وقدمناه اليهم تعبيرا صادقا حرا عما فى نفوسهم ، أعتقد أنهم لم يجدوه فى مجال آخر ..

كتب لى رئيس تحرير صحيفة يومية كبيرة تطبع ربع مليون نسخة يوميا يقول : ان ما تقوله « الوعى الاسلامى » هو ما كان يجب على كل صحيفة وعلى كل كاتب أن يقوله فى هذه الظروف ..

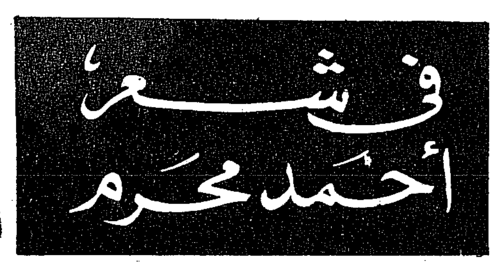
وكتب لى وزير عربى سابق يقول : « أود ان ابلغكم بكل صراحة لا شأن للمجاملة او المودة فيها أخلص التهنئة على ماقدمتموه فى الاعداد الاخيرة من « الوعى الاسلامى » من كلمات تمتاز بصراحتها ونضجها وعمقها ، ووعيها الكامل لحقيقة الاحداث ، وتعاليها عن الاساليب اللامسئولة ، التى تمتلىء بها الصحف العربية ، ودنيا العرب العامة . ولقد كنت أطرب وانا أقرأ بعض هذه الكلمات طربا عقليا شديدا ، وآلم فى الوقت ذاته ألما شديدا حين أقارن ذلك بما يبدو من تقصير الكتاب فى الصحف السياسية عن اللحاق بأسلوب المسئولية الرفيع الذى تمتاز به كلمات « الوعى الاسلامى » ، ولكم تمنيت — وأنا أقرؤها — أن تتواجد فى البلاد العربية صحافة سياسية على نسقها ؛ تصدر عن شعور عميق بالمسئولية ، لتلعب دورها الحيوى فى توعية شعبية حقيقية ، لا عن روح تطبعها الانانية والانتهازية ، وعدم المبالاة بكل الاعتبارات والقيم العظيمة ، التى كان التخلى عنها سببا أساسيا فى انحطاط الامة العربية وانحدارها ، عندما انغمست فيما تنغمس فيه الآن من الصفات التى تأباها الروح العربية الاصيلة ، والشمائل الاسلامية الكريمة ، مثلما كان التحلى بها سببا فى رفعة الامة العربية وعظمتها فى الايام الغابرة ، لذلك كله بورك فى « الوعى الاسلامى » صراحة الرواد المخلصين ، ونضج العلماء المجربين وبورك الوعى المدرك ، والاسلوب الرفيع ، وبالله عليكم زيدونا من فهمكم فهما ، ومن وعيكم وعيا ، وأنيروا دروب المتنفعين بكم ، تسهموافى خدمة أمتكم العربية ، وعالمكم الاسلامى اسهاما عظيما » ..

صورة يرسمها قارىء من ذوى الثقافة الواسعة ، والادراك الواعى ، عاش فى معترك الحياة السياسية سنين طويلة ، ثم تركها ، ولم يكن من الذين يجولون فى الفلك الدينى ، ولكنه كما يقول — جذبته « الوعى الاسلامى » فأصبح من قرائها وعشاقها كما ترى .. وفى اطار هذه الصورة تلقى معالى الوزير ، والسيد الوكيل ، كما تلقينا فى المجلة عشرات الرسائل من جميع انحاء العالم ، وكلها تجمع على أنهم وجدوا فى « الوعى الاسلامى » شيئا جديدا وروحا متوثبا ، لم يأنسوه فيما قرءوا ويقرءون من مجلات ..

ونحن لا نملك ازاء هذا كله الا أن نحمد الله على ما وفقنا اليه ، ونسأله سبحانه المزيد من هديه وتوفيقه .. ونعاهده ونعاهد القراء على أن نظل سائرين على النهج الذى اخترناه وأعلناه ، لتظل « الوعى الاسلامى » مجلة الشباب والشيوخ والرجل والمرأة ، تشق طريقها الى القلوب ، فى عالم مضطرب حائر ، حاملة هداية الله اليها فى غير تزمت ولا تحلل والله الموفق والمعين .







للدكتور : أحمد الشرباصي

المدرس بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر

ونعود مرة أخرى الى ديوان « مجد الاسلام » :

اذا كان شاعرنا قد عطر صفحات هذا الديوان بذكر مواقف مليئة بالبطولة والاقدام للسابقين الأول من شباب الاسلام ، فانه لم ينس أن يخصص من هذه الصفحات جانبا لفتيات الاسلام ، وها هو ذا مثلا — وهو يعرض قصة الهجرة النبوية — يذكر الفتاة المسلمة فيها ، ويشير الى ما بذلته الشابة المؤمنة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، فقد روت السيرة أنه عقب خروج الرسول مع الصديق من مكة جاء أبو جهل دار أبى بكر ، فوجد عندها أسماء ، فقال لها فى غفلة : أين أبوك ؟

فأجابت وهى صادقة : الله يعلم أين هو . فلطمها أبو جهل لطمة أطارت ترطها من أذنها ، ومع ذلك احتملت أسماء ، وشاركت فى اتمام الهجرة بخطواتها ، وحملها الزاد الى صاحبى الغار ، وشق نطاقها نصفين لربط زاد المهاجرين ، حتى سميت « ذات النطاقين » .

يصور شاعرنا موقف أسماء مع أبى جهل بقوله :

ويح أسماء اذ يجيىء أبو جهـــ ... ـــل على خدرها المصون مغيرا

صاح : أسماء ، أين غاب أبو بكـــ ... ـــر ؟ أجيبى فقد سألنا الخبيرا

قالت : العلم عنده ، ما عهدنا ... أجم الأسد تستثير الخدورا (١)

فرماها بلطمة تعرض الأجيا ... ل عن ذكرها صوادف صورا (٢)

تذفت قرطها بعيدا ، ورضت ... من وجوه النبى وجها نضيرا (٣)

* * *

---

(١) الاجم : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٢) الصدوف والصور : الميل والاعراض .

(٣) رضت : دقت أو كسرت . انظر ديوان مجد الاسلام ، ج ٢ ص ١٠

ويتحدث محرم عن فرحة المدينة بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة ، فقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها تستقبل النبى المهاجر ، والرسول الفاتح للقلوب والعقول ، وفى مقدمة من خرج فتيات كالزهرات من بنى النجار ، يحيين نبى الرحمة بالغناء والنشيد ، ويقلن فيما يقلن :

نحن جــوار من بنى النجـــــار   يا حبــذا محمد من جــــــار !

ويثير هذا اللقاء شاعرية محرم فيقول :

ما للديـــار تهزها نشــواتهـــا   أهى الأناشيد الحســان ترتــل ؟
رقت نضارتها ، وطاب أريجهـــا   وترددت أنفاســها تتسلســل
فكأنمــا فى كل مغنى روضــــة   وكأنمــا فــى كــل واد بلبــل
هن العذارى المؤمنــات اقمنـــه   عيدا تحييه الملائك مــن عـــل
فى موكب لله أشرق نـــــوره   فيه ، وقــام جلالــه يتمثــل
جمع النبيين الكــرام ، فآخـــذ   بيد الامام ، وعائــذ يتوســل
يمشى به الروح الأمين مسلمــا   وجبينــه نعــم النبــى مقبــل
ايه بنى النجـــار ان محمـــدا   لأشــد حبا للتى هى أجمــل (1)

* * *

واحمد محرم يرى ان الحياة تتلخص فى امرين : البيت والولد ، وان اعداد الأبناء هو الوسيلة لاصلاح البلاد ، فيقول :

اعملت رأيى فى معنى الحياة لمــن   يبغى الحياة ، فكان البيت والولدا
هذا يصــان بتدبيــر ومعرفـــة   وذا يعد لاصــلاح البلاد غــدا !

وهو يؤمن بأن تربية الشباب افضل من اقتناء المال ، ولذلك يجب انشاء المدارس لتعليمهم دون مبالاة بما ننفق من مال فى هذه السبيل ، فيقول :

نبنى المدارس للطــلاب تعمرهــا   وما نبالى أقــام المــال أم نفــدا

ويطالب محرم بأخذ الشباب بالحزم ، حتى لا تضعف هممهم ، ولا تخــور عزائمهم ، ولذلك ينعى على أولئك الذين يدللون أولادهم ، فيسيئون اليهم وهــم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، فيقول :

اوص البنين بما يعظم شأنهـــم   من خلة شرف ، وصنع ســؤدد
لا تؤذهــم بالبر تجهــل حكمــه   فترى بمنزلة العــدو المفســـد
كم والد جمــح التدلــل بابنـــه   حتى تمنى أنــه لــم يولـــد

---

(1) ديوان مجد الاسلام ص ١٧ و ١٨ .

ومحرم يؤمن بأن واجب الأب يقتضيه أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالقول والعمل ، والارشاد والمعاونة ، حتى ينشئوا شبابا صالحين ، تساعدهم البيئة بما فيها من حوافز الخير ودوافع الاستقامة على تحصين نفوسهم وتطهير قلوبهم ، فيخاطب الأب قائلا :

عود بنيك الخير ، ان نفوسهم صحف بما شاءت يمينك تكتب
ما للبنين من الخلال سوى الذى سنت لهم أم ، وأورثهم أب
للمرء من شرف العشيرة زاجر ومن الخلال الصالحات مؤدب !

* * *

ولأحمد محرم وصاة رائعة ، وجهها الى ابنه سليمان . وهى وصاة تصلح نبراسا لكل شاب يريد أن يكون ماجدا فى حياته ، وحينما نظرت فى هذه الوصية البليغة استطعت أن أقسمها الى خمسة أقسام ، كل قسم منها يدور حول أمر له قيمته ومكانته ، فالقسم الأول من الوصية فيه تذكير بحق الوطن العظيم ، مع ضرب المثل على اعزاز هذا الوطن من حياة الشاعر نفسه ، ومن أعماله وجهوده والقسم الثانى منها فيه حث على مجموعة من الفضائل ، مع التحريض على الاستمساك بالدين وعصمة اليقين ، والقسم الثالث فيه تحذير من طائفة من الرذائل وقبائح الأعمال ، والقسم الرابع فيه وصية بالصبر والاحتمال ، مع فسحة الرجاء وسعة الآمال ، وفى القسم الخامس والأخير من الوصية يعود الشاعر الى حث ابنه على الاستمساك بالدين ، لأنه عماد الأمر وملاك الحياة .

ان الشاعر فى القسم الأول من وصيته يذكر ابنه بحق الوطن ، ويحذره أن ينساه ، فانه أمانة فى عنقه دونها الأمانات الأخر ، وانه الجدير بأن يذهب فداء له والشيب والشباب ، ويقرر الشاعر انه عاش وفيا لوطنه ، لم يخن ولم ينحرف ، ورأس ماله فى حياته حبه لأمته وبلاده ، وفى سبيل هذا الوطن أعد كل شىء : أعد المال والأولاد والروح ، وظل على وفائه من صباه الناضر الى شيخوخته التى وهن لها العظم واشتعل فيها الرأس شيبا .

يقول مخاطبا ابنه :

سليما ن ، لا تنس حق الوطن فأنت على عهده مؤتمن
شباب البنين لمصر الفداء وشيب الرجال لمصر الثمن
رأت من أبيك فتى ماجدا عفيف المذاهب حر السنن
يرى حبها من معالى الامور ويقيدها من غوالى المنن
أعد لها ماله ، والبنين وملكها روحه والبدن
رعت عهدها نضرات الصبى وبر بها العظم لما وهن !
فهذا سبيلى ، فلا تعده عدتك بنى عوادى الزمن ! (١)

* * *

(١) ديوان محرم ، ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠ .

والوفاء للوطن والقيام بحقه يحتاجان الى نفس كريمة قويمة ، تستعصم بالقيم والمبادىء وتستعلى على الآفات ـــ والشهوات ، ولذلك ينتقل الشاعر فى القسم الثانى من وصاته الى مطالبة ابنه ـــ ومطالبة كل ابن مثل ابنه ـــ بتطهير نفسه عن الفواحش والرذائل ، والا يخدعه عن استقامة من زل أو انحرف ، وأن يصون عرضه وكرامته ، وأن لا يقبل الضيم أو الاذلال من انسان ، وأن يحفظ دينه ويلوذ بتعاليمه ، وأن يتحصن باليقين اذا هاجمته الخطوب أو عادته المحن .

يقول :

ونفسك صنها عن الفاحشـــات ... ولا يســـتخفنك مـــن لم يصـــن
وعرضك لا تمتهنــه الرجـــال ... فـــان البليـــة أن يمتهـــن
وضن بدينـــك ، واســـتبقـــه ... ولا تتخطفـــك أيـــدى الفـــتن
واما رمتـــك خطوب الزمـــان ... ونابتـــك أرزاؤه والمحـــن
فلـــذ باليقيـــن ، فان اليقيـــن ... أجل الدروع وأقوى الجـــنن !(١)

* * *

وينتقل الشاعر فى القسم الثالث من وصيته الى تحذير فتاه من طائفة من الرذائل وأخلاق السوء ، ومن البديهى أن النفور من الرذائل يتضمن الحث على مقابلها من الفضائل ، ويذكره فى بداية هذا القسم بأن الأصيل الكريم لا بد أن يكون محسنا ، وأن يكره القبيح ويحب الحسن ، ثم ينهاه عن الظلم فانه من سيئات الشيم ، وعن الاستجابة للسفيه فى استفزازه ، فان مجاوبته تريحه ، والاعراض عنه يقتله ، وعن المعقوق فانه يشين كل مخلـــوق ، وعن الغضـــب المؤدى الى الجهالة والنزق ، ويوصيه مع هذا ببعض المكارم ، فيقول :

واحسن الى الناس ، ان الكريـــم ... يعاف القبيح ، ويرضى الحســـن
وايـــاك والظلـــم ، لا تأتـــه ... ومهما يقـــل قائـــل فاستـــبن
ولا يستفزك قـــول السفيـــه ... فليس يضيرك مهمـــا يكـــن
وان آثر الناس ديـــن العقـــوق ... فـــوال الجميـــل ، ولا تندمـــن
وبالرفـــق فى كل مـــا تبتغـــى ... ـــ اذا كنت ذا اربة ـــ فاستعن(٢)
خذ الأمر الحزم ، ان الأمـــور ... لذى الحـــزم مأخوذ بالرسن(٣)
وعود لســـانك قول الجميـــل ... ومهما غضبت فـــلا تجهلـــن
وهـــون عليـــك اذا مـــا غبنـــت ... فلســـت بأول حـــر غبـــن !

* * *

---

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى الوقاية .
(٢) الاربة : الدهاء والاحتيال .
(٣) الرسن : الحبل .

وفى القسم الرابع من الوصية نجد الشاعر يوصى ابنه بالصبر والاحتمال واذا عرضت له على الطريق ظلمات ، أو صادفته عقبات ، فلا يركن الى اليأس والقنوط ، بل ينتظر الشمس بعد ظلام الليل البهيم ، والفجر بعد الدياجى المنتشرة ، ثم يضرب المثل من نفسه ، فقد مرت عليه تجارب فى الحياة ، وذاق مرارة الفشل ولذعة الحرمان ، ولكنه صابر وثابر ، حتى مرت الصعاب وبقى ايمانه سليما ورجاؤه عميقا ، والرجل اللبيب الفطن يستطيع أن يقهر المتاعب والمصاعب بأخلاقه الثابتة ونفسه المطمئنة ، وايمانه بأن مع العسر يسرا ، وان مع الشدة لينا وان مع الضيق فرجا ومتسعا .

يقول الشاعر :

ورج العواقب ان اخلفتك	مبادى الأمور ، ولا تيأسن
لقد رضت قبلك هذا الزمان	رياضة مصطبر مطمئن
اذا غضب الخطب ابدى الرضى	وان عصف الشر يوما سكن
يثوب له خلق لين	اذا ثاب للدهر خلق خشن(١)
ويشتد حينا فيلوى به	ويهوى بركنيه ان لم يلن
وما أن يصيب أذى الحادثات	أخا اللب بين الرجال الفطن
بأخلاقه يتوقى اللبيب	فنعم السلاح له والمجن !

* * *

ويبلغ الشاعر القسم الخامس والأخير من وصاته ، فاذا هو يعود الى نصح ابنه بالايمان والاعتزاز بالله وطاعته والاعتماد عليه ، ويؤكد الشاعر الوصاة فى هذا تأكيدا بليغا واضحا ، لأنه مفتتح الأمر وختامه ، فيقول :

الى الله فاسكن ، ودع من ترى	فما لامرىء دونه من سكن
دع الكل وانس به تسترح	فكل عناء ، وكل حزن
وما ينه عنه فلا تأته	وما يرض من صالح فاعملن
فتقواه أفضل ما يقتنى	ومرضاته خير ما يختزن
حملنا الأمانة من ربنا	فطوبى لنفس امرىء لم يخن !

* * *

وهكذا عنى شاعرنا أحمد محرم بالشباب ، وحذرهم معاطب الطريق ، ورسم أمامهم معالم السبيل ، وحاسبهم على الهفوات ، وحذرهم من السيئات ، وحرضهم على المكرمات ، واغراهم بمكارم الأخلاق ، لعلمه أن الشباب معقد الأمل ومناط الرجاء ، فعليه سلام ربه فى الخالدين من الشعراء .

---

(١) يثوب : يرجع .

حمامة الغار

لقد تجلت سخرية القدر بقوة المشركين فى ان جعلت من حمامة الغار ردا لكيدهم

للأستاذ: أحمد أبو المجد

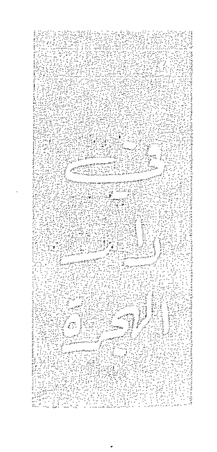
أرأيت ما فعلت حمامه   حملت الى النور السلامه ؟!
فى هجرة ميمونة   ردت الى البشر الكرامه
حمت النبى وصاحبا   رب الورى اعلى مقامه
والشرك عبا حقده   فى موقف أحمى ضرامه
رحلا وقد ذاقا بمكة   ما تضيق به الاقامه
قامت على الدين الجديد ، على النبى ، لها قيامه !!

....

وقفت حجابا حائلا   رب البرية قد أقامه
والكفر القى مرغما   بحجابها الغالى سهامه
أيرد كيد المشركين على شراستهم حمامه ؟!
أرأيتها والعنكبو   ت بغارها القى خيامه ؟!
سلم وحرب جمعا   فى موقف بادى الكرامه !!

....

قدر الهى أتى   كانت له هذى علامه
هى قدرة الجبار كل   الراسيات بها حطامه
من ذا يرد النصر من   عند الاله له دعامه ؟!
هو اعزل لكنما الـ   ايمان ظل له حسامه
من ينصر الرحمن لم   تعوزه فى الميدان لامه



بين يدي النبي

للأستاذ: معوض عوض ابراهيم

فى مقام النبى بين رحابه   يجد الانس من يلوذ ببابه
قد بلغت المنى واسعد نفسى   اننى قد دنوت من اعتابه
واجتلى القلب نور أحمد فى الرو   ضة من قبره الى محرابه
فى وجوه الألوف خفوا مشوقين   كشوقى للمصطفى وصحابه
فى دموع الخشوع والشكر لله   واكرم بالدمع فى اعرابه
ان فى كل جانب من ثرى أحمد   تبدو مشاهد من جنابه

.. ..

هذه البلدة التى نضر الله   ثراها ، وزاد فى اطيابه
منذ آوى الانصار فيها أبا القا   سم بعد الوفود من اصحابه
ها هو المسجد الطهور فسارع   واقض فيه للقلب بعض رغابه
هذه القبة التى نسخ الليل   سناها ، وما لها من مشابه
وحمام الحمى يروح ويغدو   كيفما شاء ، آمنا غير آبه
أو يخشى غوائل الدهر من جا   ور طه ، وعاش بين رحابه ؟!
ذلك المنبر الذى غمر الكو   ن هداه ، وعب من اكوابه
وسيبقى يذيع فى الناس دينا   خلد الله ذكره فى كتابه
ووصايا محمد حيث لا معـ   ـدل عنها لكل اصيد نابه
والذى ينشىء الحياة على الدين   سعيد فى حاله ومآبه

.. ..

فى مقام النبى ساءلت ربى   لى وللمذنبين حسن متابه
فانلنا الرضى وثبت على الحق   خطى الآخذين فى اسبابه

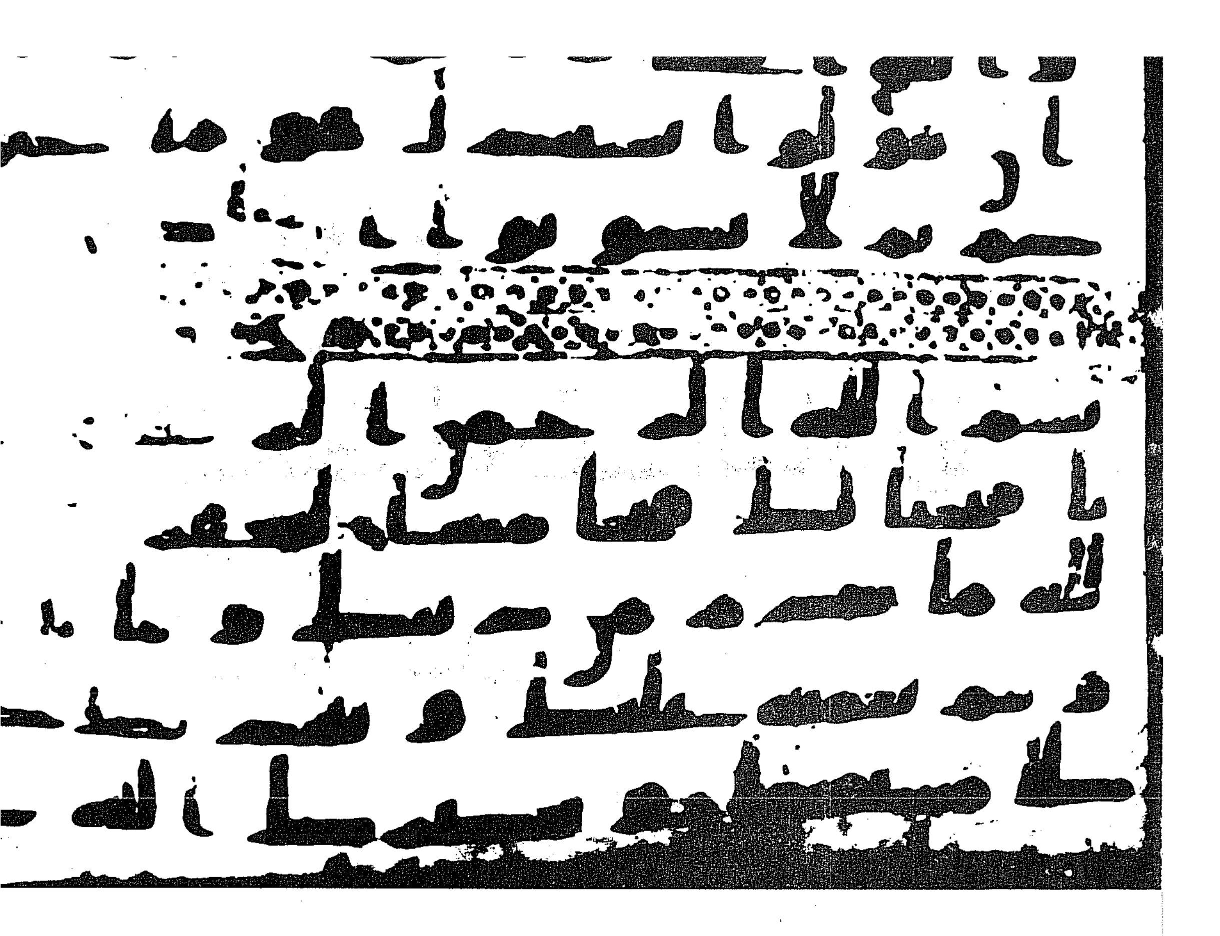


مصاحف عثمان بن عفان وجعفر الصادق وحسن البصري

فى الأيام القليلة الماضية انتهى معرض المصاحف الذى اقامته القاهرة ولمدة حوالى شهرين بدأت مع ليلة القدر الأخيرة .

وقد اقيم المعرض فى اكبر قاعات دار الكتب بميدان باب الخلق .. وتردد عليه (١٩/٨٧٢) مواطنا ومسلما من جميع أنحاء العالم الاسلامى المقيمين بالقاهرة والزائرين لها ..

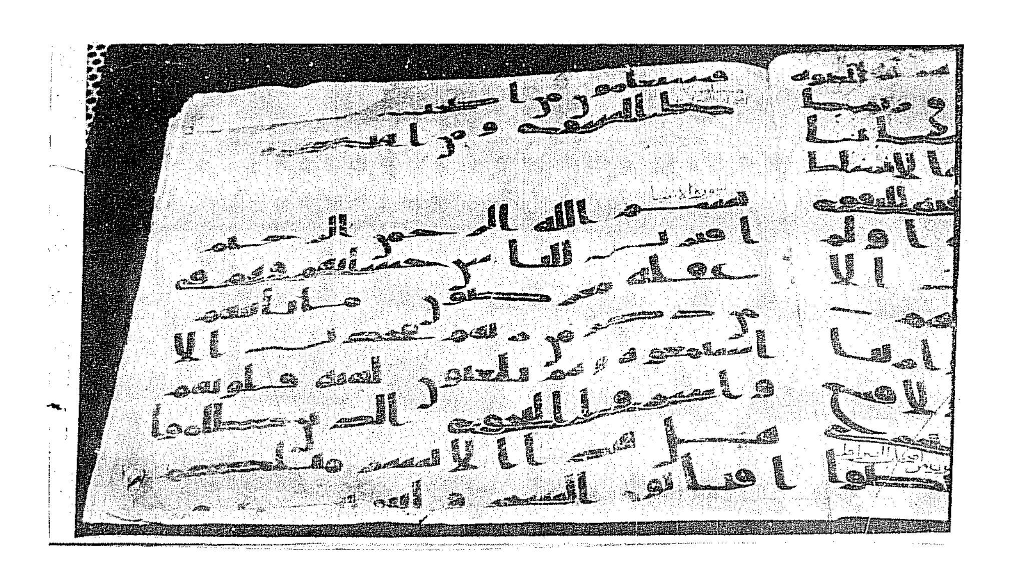
وقضيت يوما كاملا مع العدد القليل من المصاحف التى عرضت ، والتى لا تتجاوز السبعين مصحفا .. ولكنها تمثل تطور الكتابة المصحفية واحجام المصاحف .. والفن الابداعى فى اخراجها ، حتى توقفت ، عند القرن الثالث عشر الهجرى .. لتعرض نموذجا واحدا لتطور الكتابة المصحفية بعد ذلك .. بطريقة بريل للذين حرموا نعمة البصر ..



اكبر مجموعــة

وقصة معرض المصاحف يحدثنى عنها الأستاذان : احمد عابدين مدير عام دار الكتب ، وأحمد عبــد الرحمن رئيس أمنــاء المخطوطات والمعارض بدار الكتب ، فيقولان . ان دار الكتب تضم أكبر مجموعة من المخطوطات القرآنية فى العالم .. اذ بها ٢٠٠٠ مصحف مخطوط على مر العصور ، ومن أجل ذلك رأى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهوريــة ووزير الأوقــاف والشـــئون الاجتماعية أن يكون من بين مظاهر احتفالات القاهرة بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم ، أن يكون هناك معرض قرآنى ، يعرف منه الناس : كيف كانت المصاحف فى أول العهد بها منذ أيام سيدنا عثمان الى يومنا هذا .. فسارعنا بعرض نماذج من المصاحف من أول مصحف سيدنــا عثمان ، الى ان تطورت الكتابة ، وما يكتب عليه المصاحف ــ الرق ــ والدرج ــ والجلد ــ والحرير ــ والورق ...

ويقولان : ان المعرض لم يكلف دار الكتب استعدادا اكثر من سبعة أيام .. وبعدها افتتحه السيد حسين الشافعى وبدأ كلمته التى سجلها بهذه المناسبــة بقولــه .



مصحف بخط سيدى حسن البصرى

« بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى شرف مصر ودار كتبهـا أن تكون مقرا لحفظ المصـاحف النادرة التاريخية ، وقد سعدت فى مناسبة احتفالنا بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم بأن أرى هذه الثروة الفخمة ليست من ناحيتها العاطفية فحسب .. بل وكذلك ما تحتويه من ثروة فنية وتاريخية لا تقدر بثمن » .

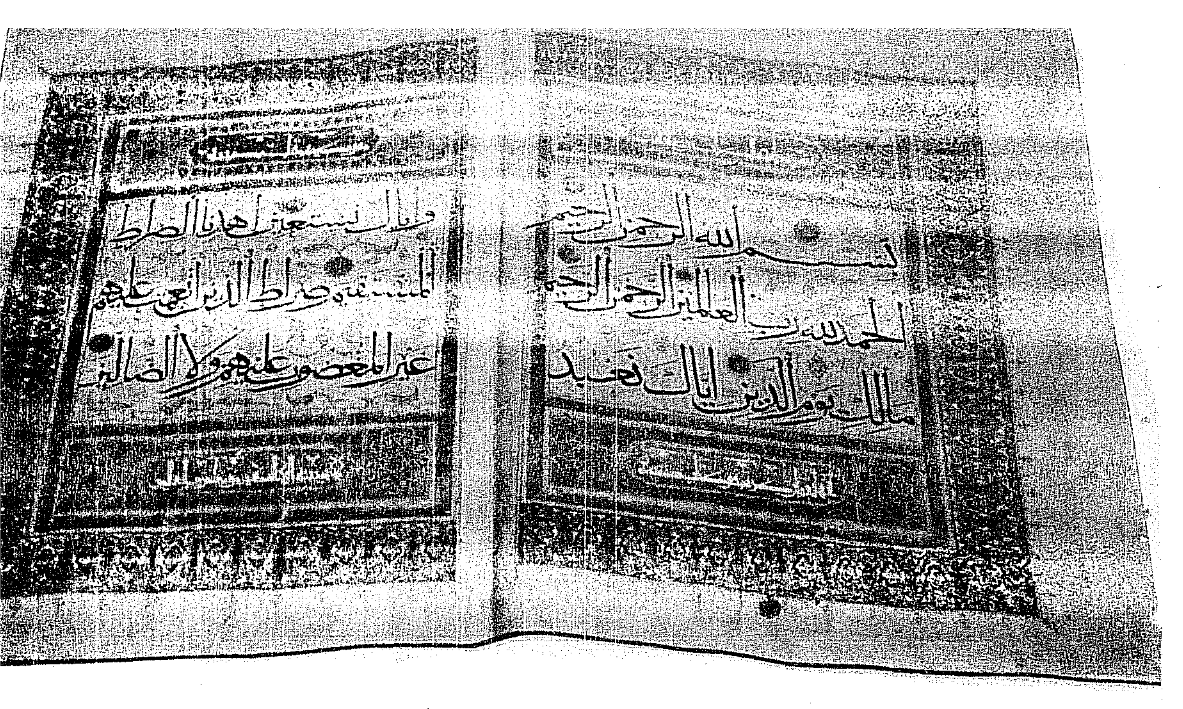
. . . .

وطوال أيام المعرض جاءته وفود من مسلمى العالم الـذين يقيمون فى القاهرة أو يزورونها ...

ومن الزيارات التى لا تنسى ما يذكره لى الأستاذ احمد عبد الرحمـن المشرف على المعرض من أن أسرة الطبيب المشهور المرحوم على ــ باشا ــ ابراهيم ، جاءتهم أسرة صديقة من لبنان عندما علمت بخبر المعرض لتشاهده ، وكان هذا فى عطلة العيد ، واتصلت الأسرة بمدير دار الكتب تذكر له الأمر ، وترجو منه السماح بفتح المعرض .. فوافق على ذلك واستمر المعرض مفتوحا أيام العطلات ، ومن الثامنة صباحا الى التاسعة مساء كل يوم ..

وكان المعرض موضوع دراسة تفصيلية لطلبة قسم الوثائق والمكتبـات بآداب القاهرة .

وكذلك موضع دراسة فنية لطلبة الفنون الجميلة ، ومعهـم أستاذهـم الدكتور طه حسين ــ وهو غير عميـد الأدب العربى ــ الذين تـرددوا على المعرض خمسة عشر يوما ، لنقل هذا الفن الاسلامى الرائع ودراسته .



مصحف قايتباى ٨١٥ — ٩٠١ هـ

وقد بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم كما سبق أن ذكرنا (١٩/٨٧٢) ، ويضاف اليهم مثل هذا العدد من رواد دار الكتب ، ولم يقيدوا اسماءهم فى دفتر زيارات المعرض كما يقول لى المسئولون .

مع النماذج المعروضة

ومن بين النماذج القرآنية المعروضة .. كانت مصاحف نادرة يقول لى المشرف على المعرض ، انها لا توجد الا فـى دار الكتب فقط .. وأن المعروض منها قليل ، ولكنه يمثل أولا النادر منها .. ويمثل أيضا هذا الطابـع التاريخى المرتبط بالقرآن الكريم .. ويمثل ثالثا تطور الكتابة القرآنية ومنهـا الكتابى والزخرفى ..

اول المصاحف

ومصحف سيدنا عثمان بن عفان ، هو أول ما يلقاه زائر المعرض ، وهو بالخط الكوفى ، وكل الذى كتب عليه أنه مصحف عثمان بن عفان الذى كان يقرأ فيه لحظة مقتله ، ويشرح لى قصته الأستاذ نصر الله الطرازي الذى تفضـل مشكورا بصحبتى ، شارحا أن هذا المصحف نسـخة مصورة عن المصحـف الحقيقى الموجود حاليا بطشقند ، وقد أتيح له أن يراه فعلا هناك ، وعليه آثار دم سيدنا عثمان ، ومكتوب بجواره هناك نبذة تاريخية تقول : انه كان موجودا فى جامع خواجه عبد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركسـتان ، ونقل الى



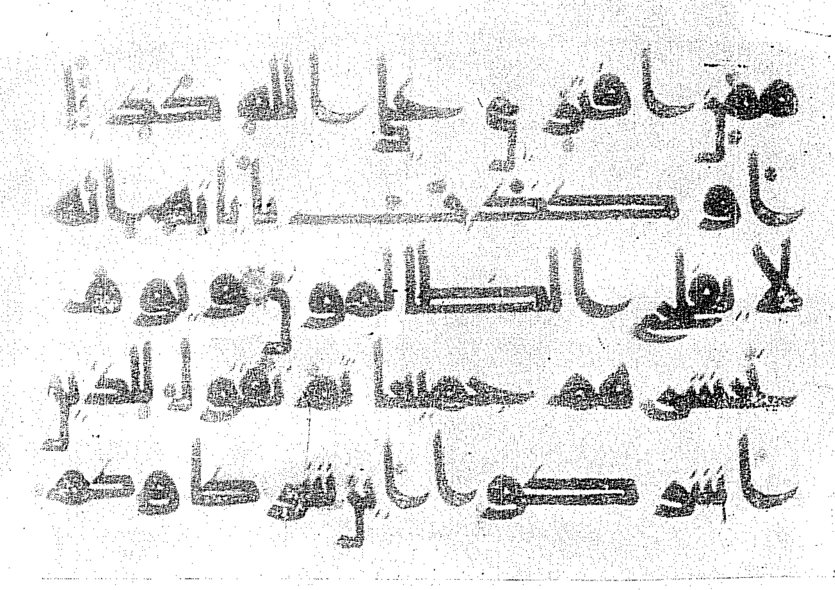
مصحف جعفر الصادق مجلد بقطع خشب الصنوبر وفى اوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية

بطرسبرج ، فوضع فى دار الكتب القيصرية ، حتى قامت ثورة ١٩١٨ الروسية . فنقل في حراسة مشددة الى النظارة العربية ، حتى عام ١٩٢٣ وبعدها نقل الى تركستان ، حيث ظل مدة طويلة فى سمرقند ، حتى حوالى الأربعينيات من هذا القرن ، فنقل الى طشقند ، حيث يكون الآن بناء على طلب المسلمين هناك .

ومرة اخرى يؤكد لى السيد نصر الله الطرازى ان آثار الدم باقية الى اليوم على المصحف الأصلى . . دم الخليفة الثالث عندما قتل رضى الله عنه .

ومصحف حسن البصرى

وثانى المصاحف المعروضة . . مصحف بقلم كوفى على الرق ، ومن غير شكل ولا نقط ، وبه بداية سورة النساء . . وفى آخره انه كتب بخط سيدى حسن البصرى عام ٧٧ هـ .



اول مصـــــحف على طريقـــــة (ابو الاسود الدؤلى)

ومصحف جعفر الصادق

ومصحف ثالث .. وهو الثالث فى الترتيب .. مفتوح على صفحة واحدة ومكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية ، ومكتوب فى آخره انه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

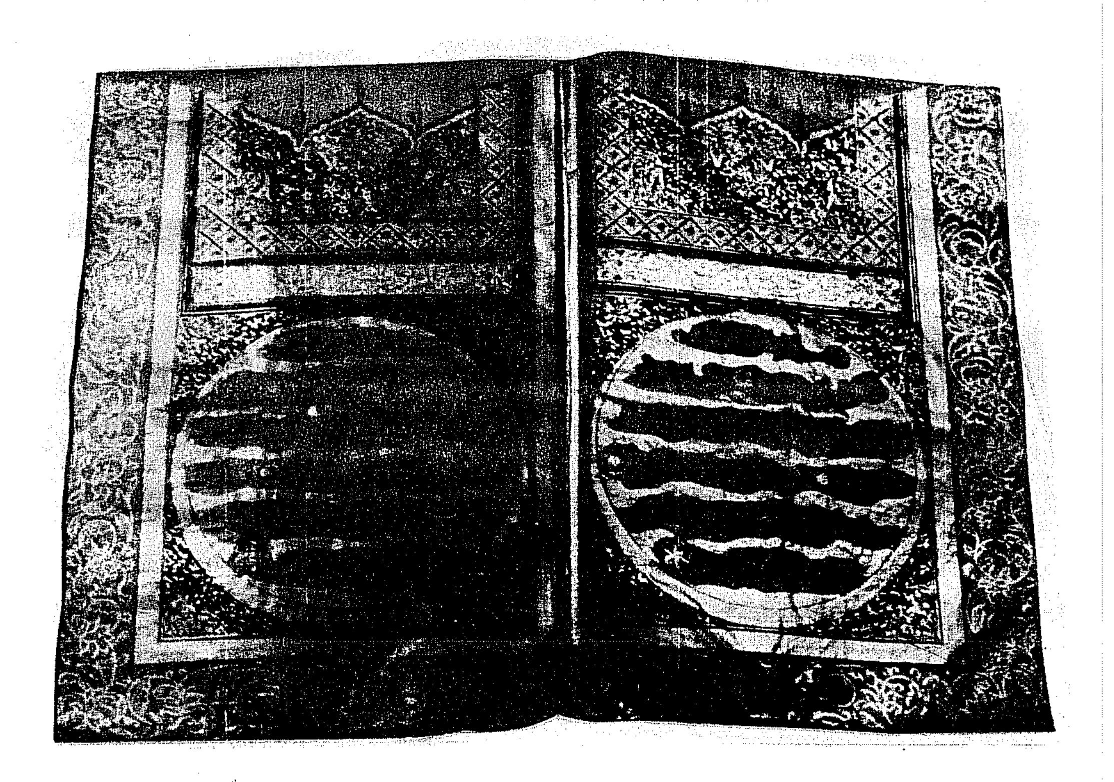
وبــدايـــة تطـــور

ومع بداية القرن الثالث الهجرى وطوال شهوره مع القرن الرابع الهجرى ايضا يرى المشاهد تطورا فى كتابة القرآن ومحاولات فنية رائعة ، تستعين بالذهب والحليات ، وان استمرت الكتابة على الرق وبالخط الكوفى ، وعـــدم التقيد بأن يكون المصحف فى مجلد واحد بل وجد مصحف فى ١٣ جزءا .

ويقدم المعرض فى مقدمـــة المصحفين او الثلاثة المعروضـــة تعبيرا عن القرنين الثالث والرابع الهجرى .. اول مصحف يظهر فيه النقط والتشكيل على الكلمات .

وبعدها يجمع المعرض المصاحف بدون تحديد زمنى .. وانما يضعها تحت اسم الدولة التى كانت مسيطرة على الحكم فى مصر كل فى جانب .

- فمصاحف من الدولة الفاطمية .
- ومصاحف من الدولة الأيوبية .
- ومصاحف من عصر المماليك .. وما أكثرها .



مصحف السلطان قلاوون مكتوب بالذهب الخالص ـــ وصحائف ذهبية

وتقف جميعها عند القرن العاشر الهجرى .. وجميـــع مصاحف هـــذه العصور تتشابه الى حد كبير ولكن تتنافس فى روعة الفن والبذخ .. والتحليـــة بالذهب .. واختلاف الأحجام ما بين مستطيل ومربع .. وكبير وصغير . .

ووضعت نماذج للمصاحف الخاصة تعبيرا عن أرقى ما وصل اليـــه الفن الكتابى للمصاحف ، ممثلة لمصاحف السلاطين وهى بالتحديد :

- مصحف السلطان محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ
- مصحف الأمير ارغون شاه ٧٥٠هـ
- مصحف السلطان شعبان ٧٦٤هـ
- مصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ
- مصحف السلطان المؤيد ٨١٥هـ
- مصحف السلطان خشقدم ٨٦٥هـ

ومن أجمل المصاحف خطا مصحف قايتباى ٨١٥هـ ـــ ٩٠١هـ وهو بخط جانم السيفى جانى بيك الدودار الكبير .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط

ومن أروع ما زخر به المعرض في العصر المملوكي مصاحف «خوندبركة» أم السلطان شعبان ٧٧٥هـ

واربع ربعات مملوكية ، تمثل تقدم الخط فى القرن العاشر الهجرى ، وقد كتبها بخطه الخطاط الشهير حمد الله المعـروف بابن الشيخ خطاط السلطان با يزيد .

ومصحف السلطان برقوق ٨.١ه الذى يذكر ان كاتبه قد استغرق فى كتابته ستين يوما .. وبقلم واحد لم يتغير .

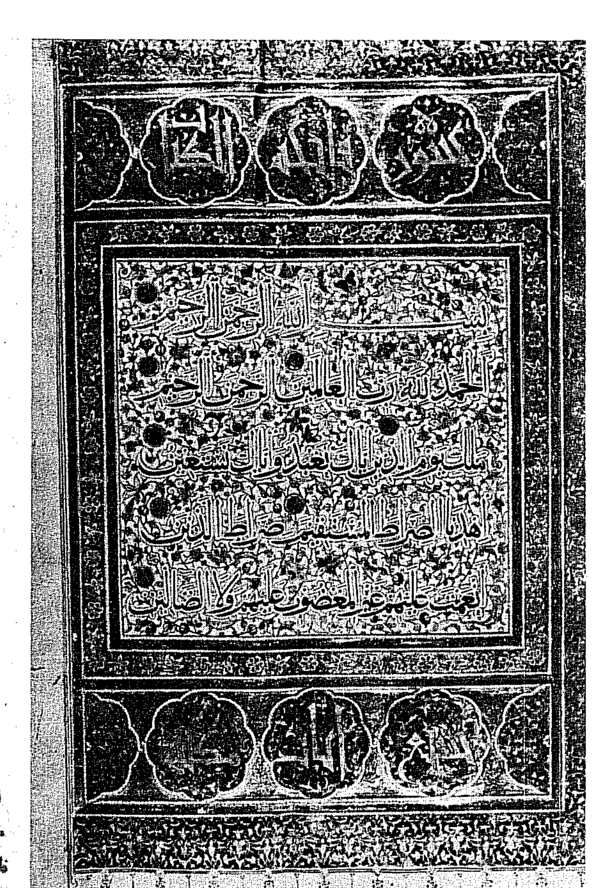
ومصحف الامير برغتمش ٧٧٦ هـ الذى التزم الكاتب فيه أن يبدأ كل صفحة بكلمة قرآنية تبدأ بحرف ا .

وقد بلغ الروعة مصحف قلاوون الذى كتب بالذهب الخالص وعلى صحائف ذهبيـــة .

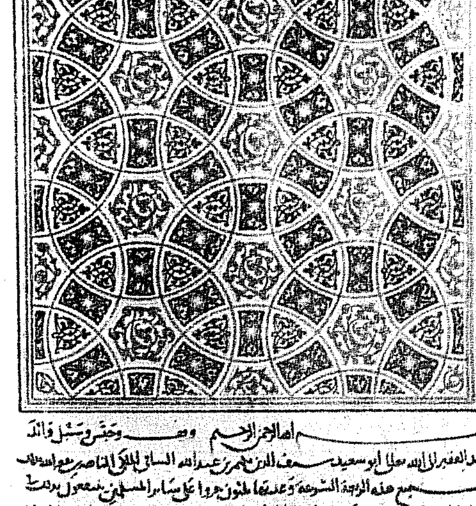
ومن بلاد اخرى

وبعدها يقف المعرض عند هذا الحد من المصاحف المصرية ، ليبدأ جانبا آخر من المعرض ، يمثل نماذج من الفن العالمى الاسلامى متخذا اربعة اقطـار اسلامية لا تزيد .

● تبدأ بالخطوط العثمانية .. وهنا تبدأ المصاحف في الصغر التي أحيانا تصل الى حجم الكف الواحد ، وتختلف أوراق الكتابة من [illegible] والورق ، مع الالتزام المستمر باستعمال الذهب والزخارف المختلفة .. ويعرض



اضخم مصحف فى العالم يزن ٢ طن
مهدى من نواب بهوبال
الغلاف من الفضة والماس
مكتوب فى القرن الحادى عشر



من الدولة الفاطمية

٤. مصحفا عثمانيا ، ومن أروعها ما كتبه الى صدر الصدور بروسلى محمد باشا فقد كتب القرآن كله فى ٣٠ صفحة مقاس ٢٥ سم x ٣٠ سم وبخط نسخ والمصحف كله محلى ومجدول بالذهب .

و ٣ مصاحف كتبت فى ايران ، وكلها بخط ياقوت المستعصمى ، وهو كما ذكر لى مرافقى من أكبر أساتذة الخط فى التاريخ .. ومن المدرسة النظامية فى القرن السابع الهجرى ، وقد كتب أكثر من ١٠٠٠ مصحف وقال عنه الامام ـ عبد القادر الجيلانى : (كان فى يده سر من اسرار الله) وعلى أحد هذه المصاحف بعض التفسيرات باللغة الايرانية .

وثالثة البلدان الاسلامية التى انتقى المعرض بعض مصاحفها الهند .. ومن بين مصاحفها القليلة التى عرضت واحدا بخط محمد روح الله بن محمد

حسين اللاهورى ١١٠٧ هـ وهو فى ٣٠ ورقة تزيد عن حجم (الوعى الاسلامى) قليلا ، والتزم فيه بأن يكتب فى أول سطر من كل صفحة كلمة تبدأ بحرف ا .

وآخر البلاد الاسلامية .. المغرب وقد اختير منها ٣ مصاحف طومار .. للحرب .. حيث كان صاحبها يلفها حول وسطه ، وهو يحارب ، ولا يزيد طول المصحف عن مترين × ٢٠ سم فقط .. ومن الجلد .. ومكتوب عليه بخط النسخ ..

وقبل النهاية : نموذجان

وقبل النهاية .. وفى مكان متقابل يقع نظر المشاهد للمعرض على نموذجين غريبين .. أولهما .. المصحف بطريقة بريل وهو أحدث ما كتب عام ١٩٦٧ .. ويقابله النموذج الثانى ٣٠ جزءا من مصحف السلطان المغولى (سلطان الجاتيو مغل همذان ٧١٣هـ ، وهو مزخرف بطريقة هندسية مختلفة ، بحيث لا يتشابه جزء مع الآخر وقد آل الى الناصر قلاوون) .

ومخطوطات أخرى

والى جانب المصاحف عرضت دار الكتب رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

و ١٠٠ كتاب مخطوط صغير فى التفسير والقراءات من بينها :

- الحجة فى القراءات لابن خالويه فى القرن الثالث الهجرى .
- وايضاح الوقف والابتداء لابن الانبارى .
- وتحبير التيسير فى قراءات العشر لمحمد بن الجزرى .

وقبل النهاية

ومع نهاية المعرض يودع الزائر أكبر مصاحف العالم — كما يقولون لى — اذ تبلغ زنته طنين وحجم الصفحة منه ١٧٥ × ١٢٠ سم ، ويقع فى ٧ أجزاء ، ومكتوب بالخط النسخ ، وعلى الجلد ، ومستعمل فيه الذهب فى أجزاء مختلفة من صفحاته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الروعة والفن ، يتسع للأجزاء السبعة ، وهو من الفضة الخالص ، ومحلى بالياقوت ، وقد أهداه الى مصر نواب بهوبال (أمير بهوبال) فى وسط الهند وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ومع نهاية المعرض يبدأ حديث العالم كله عنه ، بعد أن جاءته وفود .. وبعد أن طلبت أخباره وكالات أنباء العالم والجامعات الكبرى .

أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم في جامعاتها

للأستاذ: سليم طه التكريتي

اخذ الكثيرون من علماء أوربا ومؤرخيها فى الآونة الأخيرة . يتحررون من التعصب ويعترفون في كتبهم وابحاثهم العلمية والتاريخيــة بفضل الحضـــارة الاسلامية على النهضة الأوربيـــة . ويوردون الأمثلة الدامغة التى تؤكــد ان الحضارة الاسلامية هى أم الحضارة الغربية الحاضرة ؛ وان ما ابدعته العقول الاسلامية كانت المعين الفياض الذى استقى منه علماء الغرب فى عصر الانبعاث الأوربى علومهم ومعارفهم وحتى فنونهم وصناعاتهم .

ولقد كانت الأندلس أول المسالك التى سلكتها الحضارة الاســلامية فى انتقالها الى الغرب واخطرها اثرا فى نقل التراث العربى الاسلامى الى أوربـــا ووضع اسس الحضارة الأوربية الراهنة .

ذلك ان الشهرة التى بلغتها الأندلس فى مضمار التقدم والازدهار قــد حفزت العديد من ملوك أوربا وأمرائها فى ذلك العهد الى محاولة محاكاة العرب والمسلمين الأندلسيين فى تقدمهم وتمدنهم فلم يجدوا امامهم من سبيل سوى ان يبعثوا بالبعثات العديدة من ابنائهم الى الأندلس للدراسة فى معاهدها وجامعاتها الكثيرة .

يقول المؤرخ الفرنسى « فالبير FALIER » فى كتابه « اســترداد الأندلس Raprisa oaindeloussia » ان البعثات العلمية كانت قائمة فى أوربا على قدم وساق لارسالها الى الأندلس الاسلامية لتلقف العلوم والفنـــون والصناعات فى معاهدها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التى انتشرت فى قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية فى ذلك الوقــت كانكلترا وفرنسا والمانيـــا وهولندا وتوسكانيا » .

اخذت البعثات الأوربية تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة بســنة بعد اخرى حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ (٢٩٣م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة .
وكانت احــدى هذه البعثات من فرنســا برئاســـة الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا .

وراست الأميرة « دوبان » ابنة الأمير جورج مالك مقاطعة ولز الانكليزية احدى البعثات من بريطانيا واقبلت بعثات اخرى من سافوى . وبافاريا . والرين وسكسونيا وغيرها .

وبعث فليب ملك بافاريا الى الخليفة هشام الأول بكتاب يطلب اليه ان ياذن له بارسال بعثة من بلاده الى الأندلس للاطلاع على احوالها وانظمتها وشرائعها وثقافتها وذلك لاقتباس المفيد المثمر منها لبلاده .

ووافق الخليفة هشام على هذا الطلب وعندئذ ارسل الملك فليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو « ويلمبين » الذى يسميه المؤرخون العرب باسم وليم الأمين .

وسار ملوك آخرون من أوربا على المنوال ذاته . فالبعثة التى اوفدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثمانى عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان وقد توجهت البعثة الى اشبيلية ورافقهن فى سفرهن النبيل « سفيلك » رئيس موظفى القصر فى ولز وكان سفيلك هذا يحمل رسالة من الملك جورج الى الخليفة هشام الثالث نشر المؤرخ الانكليزى الشهير « جون دوانيورث JOHN DOINBURTH » نصها فى كتابه الخطير « العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى Arabs : Element of Surerniacy in The Meadeuel Centuries

تقول الرسالة .

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من اربعة اركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة « دوبان » على راس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد ارفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع جورج م. ا.

وقد رد الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة الرقيقة البليغة التى تمثل كرم المسلمين وسماحتهم ولطفهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين .
وبعد .
الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل .
لقد اطلعت على التماسكم فوافقت . بعد استشارة من يعنيهم الامر من

أرباب « الشونة » (١) ، على طلبكم وعليه فاننا سنعلمكم بأنه سيتم الانفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكي .
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة أبعث اليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهو من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس
هشـــام .

ويقول المؤرخ التركي عبد الرحمن شرف أن هدية ملك ولز الى الخليفـــة هشام كانت تتألف من شمعدانين من الذهب الخالص طول الواحد منهما ثلاثة أذرع ، واثنان وعشرون قطعة ذهبية من أواني الطعام .

أما بعثة ملك بافاريا التي راسها ويلمبين فكانت تتألف من مائتين وخمسة عشر طالبا وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لدراسة الفلسفة والعلوم وصناعة النسيج والنقش والتطريز ، والطبابنة والتمريض وصناعة الاسلحة . والزجاج ، والورق ، وبناء السفن وصنع البارود وبناء القلاع ، بالاضافة الى دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها ولقد اعتنــق ثمانية من أفراد هذه البعثة الدين الاسلامي ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة الى بلادهم . ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت وانجبن عددا من العباقرة كان منهم عباس بن مرداس الفلكي .

وهناك عدد آخر من الفتيات أقدمن في بعثات الى الأندلس من فرنســـا وهولندا وايطاليا والمانيا وبلجيكا اتمن في الأندلس واعتنقن الاسلام وتزوجن من المسلمين من امثال الأميرة « ماري غوبيه » من بلجيكا ، وروبيكا ستارت مــن المانيا ، والراهبة جانيت سمبسون من انكلترا ، وشوتا ابنة الكونت سيرجاك من هولنــدا .

❋ ❋ ❋

وبالاضافة الى البعثات العديدة التي بعثت بها أوربا الى الأندلس . عمد بعض **ملوك أوربا وأمرائها الى استقدام** الأساتذة والخبـــراء والمهندســـين من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع ونشر الوية التنظيم والعمران .
ففي خلال القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات انكلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها على عقود مـــع حوالي تسعين من الأســـاتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم لانشاء مختلف المعاهد في أقطار تلك الحكومات . وقد اختير هؤلاء الأساتذة العرب من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والاسبانية الى جانب اللغة العربية .
ووقعت تلك الحكومات عقودا اخرى مع حوالي مائتي خبيـــر عربي في مختلف الصناعات ولا سيما انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبنـــاء وفنون الزراعة .

---

(١) يقصد بعبارة ارباب الشونة . اركان الدولة .

ولقد أقام بعض المهندسين العرب أعظم جسر على نهر التيمس فى بريطانيا هو جسر « هليشم Helichem » . وهذه الكلمة تحريف لكلمة « هشام » خليفة الأندلس الذى أطلق الانكليز اسمه على ذلك الجسر اعترافا بفضله لأنه ارسل اليهم أولئك المهندسين العرب .

وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس فى بافاريا . ولا تزال توجد بمدينة « شتوتغارت » بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى « أميديو Amedeo » وهو تحريف لكلمة « أحمد » اسم المهندس العربى الذى صنع تلك السقاية .

وكان الأسطول الهولندى الذى قهر الأسطول الانكليزى فى لشبونة سنة ١٥١٢م من صنع العرب وكان قائد ذلك الأسطول الهولندى يسمى نفسه « أميرال البحر طارق » .

* * *

كان من بين الذين درسوا فى معاهد الأندلس العلمية وساهموا بقسط كبير فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا الراهب الفرنسى « غربرت » المولود سنة ٩٤٥م . فقد رحل غربرت هذا الى الأندلس فأمضى فيها ثلاث سنوات درس فى معاهدها بأشبيلية وقرطبة الرياضيات والفلك والعلوم الأخرى ثم عاد الى بلاده واخذ يبشر فيها بالثقافة الاسلامية فرماه بعض قومه بالكفر والسحر واذ ذاك رحل الى أوربا فعين مستشارا لقيصر روما ثم ما لبث أن أصبح كبيرا للأساقفة هناك وأخيرا ارتقى سنة ٩٩٩م كرسى البابوية وسمى بالبابا سلفستر الثانى . وكان هذا البابا أول من ادخل الأرقام العربية ونظامها الى أوربا والتى لا زالت سائدة فيها .

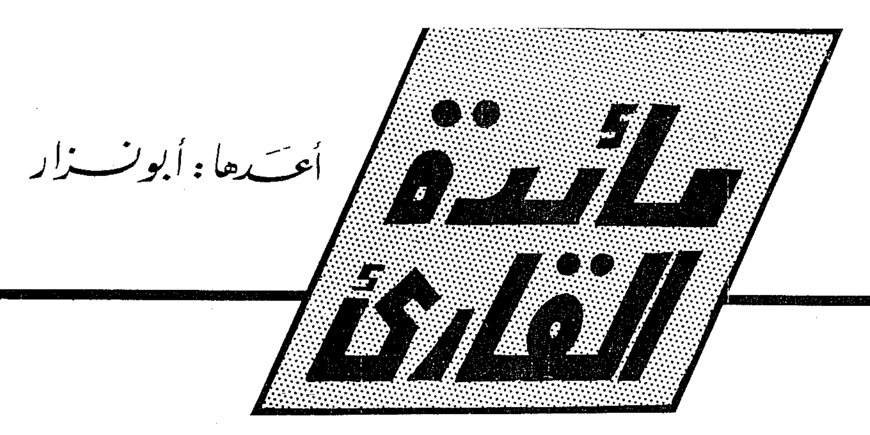
وهناك راهب فرنسى آخر يدعى « أبيار » تفقه فى الفلسفة والعلوم الأخرى على المصادر العربية الاسلامية واشتهر بها فى القرن الثانى عشر الميلادى .

وممن درس فى قرطبة وتخرج على أيدى علمائها المسلمين « شانجة » ملك ليون واستوريا فى شمال اسبانيا .

ومنهم « هرمان » الكسيح ابن أمير والماسيا الذى نقل مآثر الحضارة الاسلامية فى ألمانيا ودول البلطيق عن الطلاب الأوربيين العائدين من الأندلس والذين كانوا يمرون بدير « ريخناو » الذى يمكث فيه هرمان ويقضون فيه أياما عديدة قبل تفرقهم الى أهليهم . وعن هؤلاء نقل هرمان كل ما جلبوه من الآلات الفلكية العربية وفى مقدمتها الاسطرلاب الذى صنع أول واحد منه فى أوربا على الأسس العربية فى القرن الرابع الميلادى .

ومن المعاهد الطبية فى مدن اشبيلية والفوصة وزردقة وقرطبة فى الأندلس تخرج ما لا يقل عن عشرين طبيبا أوربيا كان من بينهم الراهب الانكليزى « سبيرومان » الذى اتخذه البابا يوس الثالث طبيبا خاصا له .

ولقد ظلت الأندلس تلعب دورها الفعال هذا فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا حتى بعد أن قضى على الحكم العربى فيها وأجهز على المسلمين تقتيلا وتجهيزا وتنصيرا فى عصر محاكم التفتيش الفظيعة . فلقد تفرق فطاحل العلماء من المسلمين الأندلسيين فى مختلف الولايات الاسبانية وفى فرنسا وايطاليا وغيرها يحملون معهم علومهم وفنونهم التى لم يضنوا بها حتى على الكفار الذين انزلوا بهم وباهليهم سوء العذاب مما كان له أثره فى ازدهار حركة البعث الأوربى ونشوء الحضارة الأوربية الراهنة .



الرسالة المهاجرة

ان الرسالة الاسلامية التى هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة . هاجرت غالبة من الشرق الى الغرب . بفضل مبدئها الالهى الذى قامت عليه . ودعت اليه . وفازت به . وهو توحيد الله ، وتوحيد الكلمة ، وتوحيد القوى ، وتوحيد الغاية .

أين عمر ؟

سمع عمر بن الخطاب بكاء طفل آخر الليل . فأتى أمه فقال : انى لأراك امرأة سوء . مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ! قالت : يا عبد الله : انى أمرنه على الفطام . قال : ولم ! قالت : لان عمر لا يفرض للرضيع . وانما يفرض للفطيم . قال : وكم له ! قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجليه وذهب . فصلى الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤسا لعمركم قتل من اولاد المسلمين . . ثم امر . فنادى : الا تعجلوا اولادكم عن الفطام فاننا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب الى الآفاق كافة .

مؤول الأحلام ؟

كان سعيد بن المسيب من أعلم الناس بتعبير وتفسير الرؤيا . جاءه رجل فقال له : انى ارى كأنى ابول فى يدى فقال له : اتق الله فان تحتك ذات محرم . فنظر فاذا امراته بينها وبينه رضاع .

وقال الحسين بن عبد الله بن نوفل : طلبت الولد . فلم يولد لى فقلت لابن المسيب : انى ارى [illegible] فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج اعجمى . فاطلب سببا الى العجم . قال : فتسريت فولد لى .

امسلم هو ؟

مما يذكر من سرعة جواب المتنبى أنه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة . وفيه ابو على الامدى الاديب المشهور . فأنشد المتنبى أبياتا جاء فيها :

انما التهنئات للأكفاء

فقال أبو على : التهنئة مصدر . والمصدر لا يجمع .
فقال المتنبى لآخر بجنبه : امسلم هو ؟
فقال : سبحان الله . هذا استاذ الجماعة ابو على الامدى .

قال المتنبى : فاذا صلى المسلم وتشهد اليس يقول : « التحيات »
فخجل أبو على وقام .

عظامي عصامي

يروى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختبـــاره ، فقال له : اعظامى أم عصامى ؟ يقصد : اشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما ، أم بنفسك .

فقال الرجل : عظامى عصامى ، فقال الحجاج : هذا افضل الناس ، ثم تبين له بعد ذلك من مناقشته أنه أجهل النـــاس ، فتعجب الحجاج ، وســـأله : كيف أجبتنى بما أجبتنى به حين سألتك .

فقال الرجل : لم اعلم اعصـــامى خير أم عظـــامى ، فخشيت أن أقـــول احدهما ، فقلت كليهما ، فان اضرنى احدهما نفعنى الآخر .

فقال الحجاج : المقادير تصير العيى خطيبا .

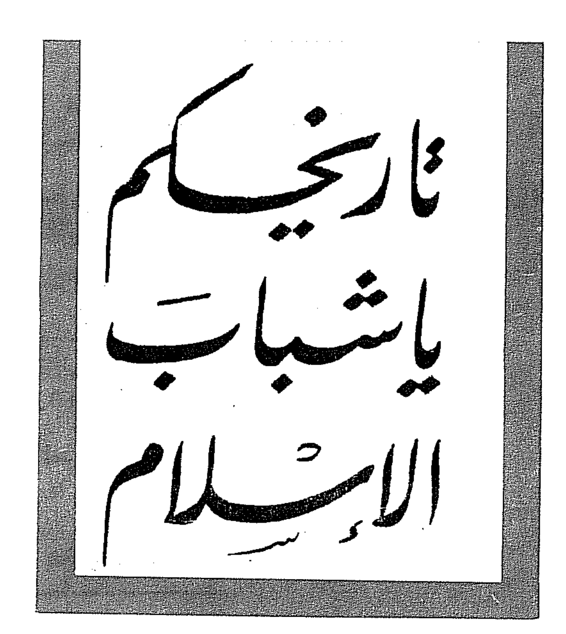
ساعة هارون الرشيد

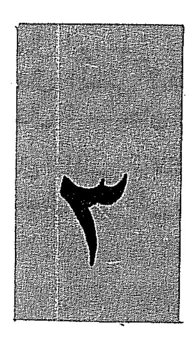
ذكر فولتير المؤرخ الفرنسى أن أول ساعة عرفت فى أوربا هى الساعة التى اهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ . وكانت بدعا فى ذلك العصر ، حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .

كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت ســـاعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحـــاس صـــغيرة تقع على جـــرس فيطن بعـــدد الساعات ، وتبقى الابواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل تدور على صفحة الساعة .

لا نتركه يبرد !!

قيل لاعرابى : ما تسمون المرق ؟
قال : السخين
قال : فاذا برد ؟
قال : لا ندعه يبرد





للأستاذ: أحمد محمد جمال

نواصل الحديث عن (سوابق) الفكر العربى والاسلامى فى المجالات المختلفة للحضارة الانسانية . فنذكر نظرية « العقد الاجتماعى » للمفكر الفرنسى جان جاك روسو — التى يتحدث عنها كثير من الكتاب العرب ، المفتونين بكل ما هو (أجنبى) أو (غربى) على أنها نظرية حديثة وابتكار غربى !

لقد كنت أقرأ بعض رسائل النبى صلى الله عليه وسلم ، التى يزود بها بعض عماله وولاته ، ويرسم لهم فيها منهج الحكم وكيفية سياسة المحكومين . فوقعت على كتابه الذى كتبه عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حيث بعثه واليا على اليمن ، فاذا فاتحته تقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم — يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ..) ثم مضى الكتاب يفصل لعمرو بن حزم مسؤولياته كحاكم مسلم : من التقوى ، والأخذ بالحق ، وأمر الناس بالخير ، وأن يلين لهم فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، وينهاهم عن التعصب للعشيرة ، وأن يعلمهم أمور دينهم من وضوء وصلاة وجمعة وحج ، وأن يفقههم فى القرآن الخ (١) .

وفى افتتاح الرسول عليه الصلاة والسلام كتابه عن موضوع الحكم ومسؤولية الحاكم بهذه الآية القرآنية : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) اشارة تغنى عن عبارة — الى نظرية العقد الاجتماعى التى طلع بها جان جاك روسو خلال القرن الثامن عشر الميلادى ؛ أى بعد نحو اثنى عشر قرنا من نزول القرآن بهذه الآية ، واستدلال الرسول بها فى موضوع الحكم وواجبات الحاكم ،

---

(١) ألقى الكاتب محاضرة بعنوان (مهمة الحاكم المسلم) فى أحد المواسم الثقافية بمكة المكرمة — تحدث فيها باسهاب عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .. وهى تحت الطبع .

كاشارة بليغة وجيزة الى أن الحكم انما يقوم على اساس التعاقد والاتفاق بين الحاكم والأمة — وهو مضمون نظرية روسو عن العقد الاجتماعى .

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الاسلامى الى نظرية العقد الاجتماعى — ما تواتر من احاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة : من ان (السمع والطاعة) من المحكوم للحاكم انما هما (فى المعروف) . وما يشترط الناس على الحاكم حين مبايعته : أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

فبذلك يتضح أن (الحكم) فى الاسلام عقد اجتماعى يتم بين الحكومة والأمة .. على أن تكون طاعة الأمة رهنا بقيام الحكومة على العدالة والمعروف .

* * * * * *

وفى مجال التشريع :

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف اسماه (افضل سنوات المرأة) تحدث فيه عن الطلاق ، واقتراح أن تبذل محاولة للشورى والتوجيه بين اهل الزوجين ، قبل اقدام الرجل على توقيع الطلاق ، أو قبل عزم المرأة على طلب الانفكاك من زوجها . ويرى الكاتب الغربى أن يكون الذى يتدخل بين الزوجين المقبلين على الفراق خبيرا محنكا ، أو صديقا للطرفين ، أو رجلا من رجال الدين ، أو محاميا ، أو عالما نفسيا .. فاذا رئى بعد ذلك انه لا جدوى أو لا مصلحة فى استمرار الحياة الزوجية بينهما . فان الطلاق عندئذ يكون هو الدواء الشافى والحل الوحيد ..

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الاسلامى قد سبق الى هذا الرأى الاصلاحى منذ اربعة عشر قرنا .. اذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم احداهما تقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » والثانية تقول : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

ان الدكتور بيران وولف يرى الرأى نفسه الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس الى بذل محاولة مخلصة ، فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين ، قبل ايقاع الطلاق ، وما يترتب عليه من تشريد أطفال وترميل نساء ..

وفى مجال التخطيط العمرانى :

تظن أجيالنا الناشئة او الصاعدة أن ما يسمونه « تخطيط المدن » من مبتدعات العصر الحديث ، وانه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية . ويعتذر لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد حتى يقرأه الجيل الصاعد ، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية ..

ان تخطيط المدن .. الذى يعنى تنظيم العمارات والشــوارع والطرقات والميادين والحدائق العامة . والذى يظن بدعة غربية عصرية — قد عرفته عهود الصحابة رضى الله عنهم ،كما يروى القــاضى أبو يعلى فى كتابه (الأحكــام السلطانية) اذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلوها خططا لقبائل أهلها . وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعا . وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع . وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيلهم .

وبتحويل الأذرع الى امتار نجد ان عرض الشارع العــام كان منذ ذلــك العهد السحيق نحوا من اربعين مترا ، والشارع الفرعى خمسة عشر مترا ، والزقاق خمسة امتار أو اربعة امتار . وذلك ما لم يتحق فى عصرنا الحاضر .. فى كثير من الشوارع والدروب والأزقة ، فى عدد من البلدان العربية المتطورة ، بل وفى البلاد الأوروبية ايضا :

ويلاحظ ان الرحبة الفسيحة ، التى ذكرها أبو يعلى فى تخطيط البصرة ، هى (الميدان) فى تخطيطنا الحديث . وهو ما يخصص جزء منه موقفا للسيارات وما بقى مدارا لحركة المرور .

ويتحدث الأستاذ حيدر بامات فى كتابه (دور المسلمين فى بناء المدنيــة الغربية) عن الهندسة المعمارية الاسلامية ، التى اقتبس الغربيون جمالهــا وجلالها ونفسها العربى ، ويشير الى مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمــن الناصر ، فى الأندلس ، والى قصر الحمراء بها . ويقول : ان الفــن الاسلامى المقدس الذى يتجلى فى المساجد ، هو الذى يشهد بعظمة الماضى الاســلامى وجلاله فى مضمار الهندسة المعمارية . ويؤكد فى نفس الوقت تأثير العــرب الفنى على الفن الايطالى نتيجة لاقامة العرب فى صقلية . ويشير الأستاذ بامات الى اقتباس الهندسة والزخرفة الاسلاميتين فى كنائس بعض دول أوربا .

. . . . . .

وفى الحضارة الاسلامية سوابق اقتصادية كثيرة ..

فابن خلدون — مثلا — سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التى تدعو الى حرية التداول التجارى ، وعدم ايغال الدولة فى التدخل والتسلط والتوجيــه ، وعدم الاسراف فى فرض الضرائب .

فهو يقول : ان واجب الدولة ان تتأكد من ان الضرائب لا تثمــر اذا هى فرضت فرضا تعسفيا ، وان الضرائب المعتدلة أعظم حافز على العمل .

ثم يتحدث ابن خلدون — باسهاب — عن المصادرة ، والاحتكار ، وعــن اشراف الدولة على شؤون التجارة .. حتى ينتهى الى القول : بأن الدولة انمــا تقوم على الشعب وعلى روح الاقدام والمغامرة التى يتحلى بهــا ، وعلى مدى انتاجه . ويؤكد : أن المبالغة فى تدخل السلطات الحكومية تعيق التطور الطبيعى للاقتصاد والتجارة ، وتسبب نقصا فى الثروة وضعفا فى الانتاج ...

.. وهذا ما حدث ويحدث فى تجارب بعض المذاهب الاقتصادية الجديدة .. اذ تنقص الثروة ويضعف الانتاج .

. . . . . .

والطب العربى القديم :

وننتقل الآن الى ميدان آخر ، ميدان الطب العربى وسوابقه . حيث نجد الشباب العربى والاسلامى لا يكتفى باهماله مطالعة صفحات التاريخ الاسلامى عن سوابق المسلمين الطبية ـ بل يضيف الى جهله بحضارة الاسلام انكارا لها واستهزاء بها ، ويخوض فى حديث الطب العربى القديم ، فيقف منه ذلك الموقف الذميم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة :

ولقد كان « الطب » خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الاسلامية العامة .. وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال فى تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، اذ ظلت كتب الرازى ـ وابن زهر ـ وابن سينا ـ وابى القيس اساسا للدراسات الطبية فى المدارس الغربية خلال قرون عديدة . ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب (الحاوى) وكتاب (المنصورى) للرازى ، وكتاب (القانون) فى الطب لابن سينا ، الذى نشر بالعربية فى روما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذ اساسا لتدريس الطب فى جامعات فرنسا وايطاليا خلال ستة قرون كاملة .

وقد تحدث الرازى فى كتابه (الحاوى) عن الحميات الطفحية ، كالجدرى والحصبة . واستحدث الرازى فى الصيدلية استعمال المسهلات الخفيفة ، والحجامة فى حالات الفالج ، والماء البارد فى حالات الحمى المستعصية واستعمال فتيلة الكى .

كما تحدث ابن سيناء فى كتابه (القانون) عن علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وعلم الأمراض ، وعلم المواد الطبية . والف ابن سينا ـ ايضا ـ كتابا فى علامات امراض القلب ، ونظم قصائد فى الطب وبلغت علاجاته الطبية (٧٦٠) علاجا .

ويعترف العالم الفزيولوجى (هاللر) بأن ابا القاسم خلف بن عباس القرطبى كان اهم جراح عربى ، وكانت مؤلفاته مصدرا ومرجعا لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر .

ويقول جوستاف لوبون : ان مدرسة سالون أول مدرسة فى أوروبا ، مدينة بكثير من شهرتها للطب العربى .

وقد سبق المسلمون الى « الطب الوقائى » الذى كان معروفا يومذاك بعلم الصحة ، وهو علم يبحث فى طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها . كما سبقوا أيضا الى تدريس الطب فى المستشفيات نفسها ، حيث يدرس الطلاب المعارف الطبية بالقرب من أسرة المرضى . وهو ما يتبع الآن فى تدريس الطب الحديث ، حيث يقضى الطلاب بعد خروجهم من الكلية عاما فى بعض المستشفيات للتمرس بشؤون الفحص ، وطرق العلاج الى جانب الأطباء السابقين المتفوقين ، وقريبا من المرضى الذين يعالجونهم .

كما سبق الطب العربى الاسلامى الى افراد كل نوع من المرضى بمصح خاص كالمجانين ـ والمجاذيب . وكانت عندهم جمعيات للبر والاحسان تقوم بعلاج المرضى الفقراء فى أيام معينة من كل أسبوع . وارساليات طبية فى الأماكن البعيدة لمداواة المرضى فيها ، وتوزيع الأدوية عليهم .

وهذا ما يجرى عليه الطب الحديث ، حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرضى .. كمرض السل ، والجنون ، والعيون الخ .. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة ، أو السيارة ، التى ترسل الى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها .



للأستاذ : أحمد العنانى

كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفتنى طويلا .. طويلا ..
واحسست بها راحة هانئة عميقة .. عميقة
ونقلتنى من متاهة نكراء موحشة الى درب امم . صراط سوى
واستشعرت روحى هادئة فى جسدى
وقلبى مستقرا مستريحا فى صدرى
وعينى وجدتهما أهالا دمعتين ثم تحررتا من كرب محتبس كدمعتى طفل ضل عن أهله فى سوق مزدحمة بالناس
ثم فجأة عثر عليهما . وتعلق بأهدابهما . من بعد أن ظن ألا تلاقى

□□□

كلمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
كانت المفتاح الرئيسى العميد ، الذى يفتح كل الابواب فى عمارة كثيرة الحجرات ، متعددة الابواب .
أو الطاقة الصغيرة الخفية ، يتسرب منها النور فى سفح جبل ، فاذا اهتدى اليها عابر سبيل فنظر منها كشفت له من ورائها ومن تحتها عن عالم من الآثار ، وعمائر الحفائر لم تكشف نفسها لكل سائر ..

□□□

أرحنا بها يا بلال
بلال بن أبى رباح الحبشى الذى كان قبل سنوات من هذه الكلمة عبدا حبشيا أسود يجرجره فى وحول المهانة كما يشاء رجل من قريش يسمى أمية ابن خلف .
بلال بن بى رباح الذى كان مولى مهانا ، فأصبح اليوم فى مركز صدارة ، بين احرار مكة والمدينة المؤمنين ، ثم أذن للصلاة ، لندخل فى فترة من الحياة ، ليس فيها شىء من هذا الذى يزعجنا فى دنيانا ، وبذلك ننتشى ، وننسى وننشط ونتجدد .

□□□

كأنما رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لبلال بن ابى رباح : هذه الحياة متعبة يا بلال .

متعبة لأن نفوس الناس من داخلهم تتعرض لوساوس تحبب اليهم الكسل وقلة العمل ، وتغريهم مع ذلك بسريع المغنم ومفاجىء الربح .

لأن نفوس الناس من داخلهم نزقة هشة ملولة يصعب عليها ان تصبر وتنتظر حتى مطلع الحق ، ويشق عليها ان تجانب الهوى فى الحكم ، وتحتمل عبء النزاهة فى الرأى .

لأن نفوس الناس هلوعة جزوعة ، وعقولهم مشاكسة مجادلة ، وهواهم لجوج ، وقلوبهم حارة قلقة تغاديها الغيرة ، والحيرة ، ويداخلها الحسد ، والحسرة ، وتسارع الى القنوط للتافه التافه ، وتضج بالغرور للعارض الزائل .

واذا فالمخرج المخرج .. ومخرج المسلم من ذلك هو الصلاة .

وليس التخدير مثلا بالخمر ، ولا اللهو الشرود بالقمار ، ولا ما دخل فى باب الخمر أو اندرج تحت فصيلة القمار .

وانما هى الصلاة يا بلال .
واذا كانت الصلاة كان بالله اتصال

وهناك يكون الصبر الجميل بغير ضجر
واسلام الروح لهداية غراء لا تضل ولا تغدر .

□□□

من لى ببلال يريح المؤمنين بها وهم جماعة !

يصفون لدى التهيؤ لتلك الراحة الى تقى منهم يعلن حلول موسمها .

تقى لا هو ناظر بحسرة الى لونه الاسود أو الاحمر

ولا الذين يسمعونه فى أنفسهم شىء له غير الاعجاب والمحبة

كلهم خالصون من الكبرياء والحقد

وهل افسد دنيا الناس اليوم الا كبرياء القوة ، وحقد الضعف ؟

□□□

من لى بالصلاة تؤدى على وجهها حقا ، فتوفر على جيل الضياع الحائر كل هذا الضجيج الذى لا يولد الا ضجيجا مثله واقسى .

توفر هذه الموسيقى المحمومة الثملة فى حفلات النفاق ، واهتزاز الاجساد الرعن فى حركات كحركات القردة البلهاء .

وهل مسخ الناس الضالون الا قردة بغير اذناب ، وهم فى رقصهم المختلط المجنون ، يفرون من أوصاب الضمائر الملطخة بمظالم النفوس ، فاذا هم فى اسوأ مما فروا منه يرتكسون .

يناديهم لموسيقى « الجاز » رجال أكثرهم من العبدان السود لأن هـذه الموسيقى أصلا انفجرت من مظالم المنبوذين فى حضارة الانانية والفساد .

والعبدان يعزفون وهم حاقدون ، يتميزون غيظا على الوافدين والعابثين الراقصين .

والعابثون يفرون من فراغ الكبرياء والنفاق الى كؤوس يشربون فيها مع الخمر دماء المستذلين السوداء .

□□□

وكأنما يقول محمد صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال

أى انقل انفسنا بهذا التغيير المسعد من رتابة الحياة الى الاتصال بالله

انقلها من حالة الاجهاد ، من الصراع ضد الشر والظلام ، الى واحة نغتسل فيها بالضياء ، فنعود أحد عزما ، وأعظم مضاء ، لنستأنف المعركة تحت لواء الحق .

فترة تجدد وتأهب واستعداد

لاستئناف المعركة ، لا للفرار كما يفعل أولياء الشيطان
لأن صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا لله رب العالمين .

□□□

لكن واضحا من كلام الرسول عليه السلام أن الصلاة اذا لم توجد راحة فلا تكون صلاة .

فمن حيث الشكل والاسلوب والاداء ــ كما نقول اليوم ــ ثبت أن الرسول عليه السلام قال ــ وهو يرى مصليا معجلا ينقر فى صلاته نقرا ــ عن ذلك الرجل « كأنه لم يصل »

ومن حيث الموضوع والمحتوى فان صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست ابدا بصلاة .

وانما هى تماوت يميت على المسلمين دينهم كما أشار عمر بن الخطاب عليه رضوان الله . .

□□□

ولكى نستطيع ان نجد الراحة بالصلاة يجب أن نهيىء اسباب الاداء الصحيح لها شكلا وموضوعا . . ففى نطاق الفرد طهارة لا تتقبل الاثم ، ولا تسيغه أن يستمر اذا وقع ، ولا تلبث ان تغسل آثاره بالتوبة ونفس لا تستمرىء الكسب الا حلالا ، ولا تعيش على النـاس عالة ، وقلب اذا احس القوة لم يجنح الى الكبرياء ، وان استشعر الضعف لم يرتكس فى المذلة او الحقد .

واستعداد دائم لأداء الحساب أمام الله عن النفس والاسرة ، وكل ما دخل فى نطاق المسئولية ضاق ذلك أم اتسع .

وفى نطاق الامة تباعد عن الشح والانانية ، والترف والتبذل ، وتاهب لمال الجهاد والتضحية ، وبث الحقيقة وحمل الرسالة ولو الى أقاصى الارض ، فى محبة مطلقة للمؤمنين ، وشدة شديدة على المقاومين والمحاربين .

□□□

وبلال يرفع الاذان قرير العين ساكن البال

يقف فى صف كأنه صف الملائكة حيث ينتهى به المكان

لا يدافع عن موقف لأنه فقير ، ولا عن منزلة كرامة لأنه اسود

ولا عن حق لأنه ضعيف

لو عمل لأخذ اجره على تمامه قبل أن يجف عرقه

ولو استأذن على عمر لدخل بسابقة الايمان قبل ابى سفيان

ولو اقعده ضعف أو شيخوخة فله فى بيت المال سبيل الى الامان

أما بعد أيها الناس فنحن عبيد الله لا محالة

نعيش أطوارا محتومة بقضائه ونتتهى الى حساب عنده

وليس لنا مفر من الله الا اليه

ولذلك يرحمنا ويشرفنا باستقبالنا خمس مرات اليه ، يؤتينا من نوره مانجدد به العزم ، ونستأنف النضال والصيال .

فمن كان سبيله غير هذا السبيل ، فانما فراره من صعوبة الى مصيبة ، ومن قلق الى هم وداهية

واذا سألتم لماذا تظلم دروب الحياة كل هذا الاظلام

فان لكم جوابا لبقا حسيفا من مدرسة فى جامعة ميلانو

هى الدكتورة الدارسة فاجليرى التى تقول :

لقد اشتد الظلام بهجران القرآن

وهل آلة الصلاة ومادتها غير القرآن ؟

□□□

ليت شعرى هل تنهض العدالة فى الارض كما نهضت ذات يوم ؟

هل تعلو كلمة الحق كما علت فأضاءت الارض فى ذلك العهد ؟

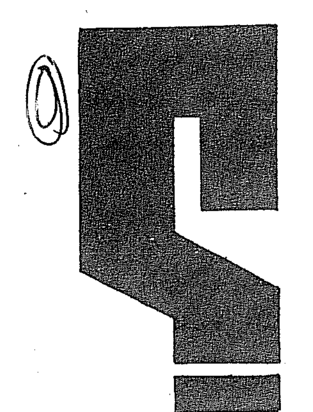
هل تصبح الموازين هى العمل والتقوى والفداء فى الله ؟

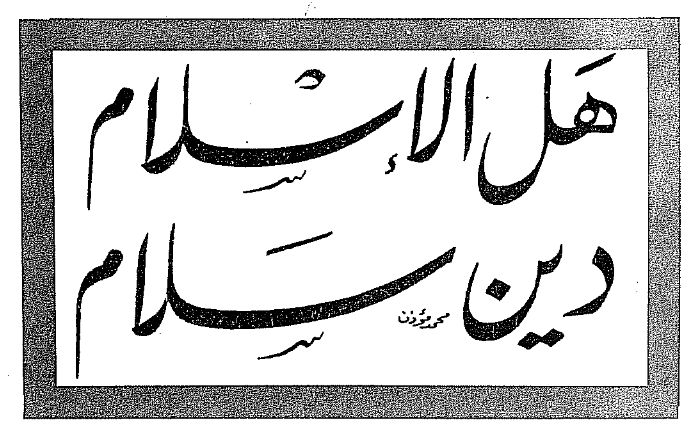
هل يرتفع فى الآفاق صوت صادق الاداء كصوت بلال ؟

فتجد الانسانية المعذبة تلك الراحة الحقة دون راحة القرار القلقة الملتمسة فى حمأة الشيطان . .

ونسمع صوت الرسول الكريم ونحس أبعاد كلمته المنيرة الخالدة

« ارحنـا بهـا يا بلال » !





للشيخ : محمد محمد أبوخوات
المدرس الاول بالازهر — الاسكندرية

كلما احتفل المسلمون بذكرى الهجرة النبوية ، ثارت ، تساؤلات تتناول اسباب الهجرة ، وما حدث فيها من أحداث معجزة ، وقد تتفرع عن هذا أحاديث تتناول حقيقة هذا الدين ، أدين حرب أم دين سلام ؟ .

واذا كان هذا الدين دين سلام — كما يصفه دعاته ، وكما يبدو من حادث الهجرة — فلماذا حمل المسلمون السلاح ؟؟ .

ونحن من جانبنا — انطلاقا من حادث الهجرة وبمناسبته — نعطى هذا التساؤل حقه من البحث ، اسهاما فى تجلية أمره للمتسائلين ، وردا مقنعا — ان شاء الله — على المتحاملين ، فنقول وبالله التوفيق ..

أولا : الاسلام دين سلام ، سواء فى دعوته ومبادئه ، أم فى واقع اعتناقه ونشره ..

أ) الدعوة والمبادىء .

فأما الدعوة فهى بطبيعتها دعوة الى السلام ، وذلك لان أكثر ما يثير الخلافات بين البشر ، شعور الجماعة بوضع متميز ظالم يفرض عليها لصالح فرد أو أفراد .... ودعوة الاسلام تجردت عن هذا المعنى تجردا كاملا سواء فى ذات المدعو له سبحانه وتعالى ، أم فى شخص الداعى ..

فأما ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فقد دعا الاسلام للايمان به ، على أساس من العدل يلجىء كل ذى عقل غير معاند الى الايمان به ومحبته والخضوع له ، .. فعن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى خلق السموات وما فيها من أجرام ، وخلق الارض وما فيها من معادن وماء وزروع وثمار ، وخلق الانسان نفسه وما يميزه عن غيره من أسباب التكليف والتكريم ، وذلك كله من غير ان يزعم احد — سواء من الداعى أم المدعوين — بأنه هو الذى خلق ، أو

بأن شيئا من هذه المخلوقات ، هو الذى خلق غيره ، مع اعتبار حب الانسان للعدل والشعور به فى نفسه لدرجة ان يسأل . افمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

اقول . عن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى ذلك كله وغيره ، مما زخرت به صفحات الكتاب الكريم ، يشعر المدعو الى الايمان ، بأن المدعو له حقيق بالايمان به ، جدير بالخضوع له ، وبأن من الظلم العظيم سلب حقه فى العبادة واعطاء هذا الحق لغيره من شمس أو قمر ، أو نبات أو انسان أو حجر ، ومن هنا اعجب المشركون بأسلوب القرآن فى دعوته للخالق ، وأخذوا به وتحيروا فقالوا . « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ؛

واعتمدت الدعوة على تأثير القرآن فى نفوس العرب حتى جعلت مجرد سماع المشركين لآياته الباهرات هدفا من اهدافها . « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » . . . ولقد بلغ من تأثرهم به أن تواصوا . « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . . .

وهذه الطريقة فى الدعوة الى الله طريقة سلام ما فى ذلك شك ، لانها تعتمد على الاقناع العقلى ، والايقان النفسى دون تقلد قوس او امتشاق حسام ، ولكن أصحاب الزعامة الدينية ، والأغنياء السادة المستغلين للتجارة والزراعة والناس من العبيد والفقراء ، تصوروا فى الدعوة الجديدة سلبا لزعاماتهم وقضاء على استغلالهم ، فوقفوا ضد الدين الجديد يحاربونه بكل ما يملكون ، على أن هناك طائفة ثالثة تحجرت عقولها وعميت بصائرها فلم تعرف الى الحق أى سبيل . . .

هذا ما سلكته الدعوة بالنسبة الى ذات الله والايمان به . وان شئت فاقرأ الآيات من أول سورة الرعد ، أو آيات سورة النمل من قوله تعالى . (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أم ما يشركون ؟ . . الى قوله تعالى . (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . . بل ان شئت فاقرأ القرآن كله تجد الدعوة الى الله قد تجردت عن كل ظلم وقسر ، فهى كما ترى تطلب من المدعوين — بالحق وبالعدل — الايمان والخضوع لمن يستحق الايمان والخضوع . . .

وأما شخص الداعى ، فقد حرص على ابراز عبوديته وخضوعه لمن يدعوهم للايمان به والخضوع له ، وعاضده القرآن فى ذلك ايما معاضدة فلم يطلب لنفسه ، ولم يطلب له القرآن وضعا متميزا على غيره من المدعوين . « ان عليك الا البلاغ . . ان انت الا نذير . قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . . .

ولئن كانت نشأة النبى وحياته نشأة الفقراء وحياتهم ، مما جعل المعاندين يأنفون أن يؤمنوا برسالته ، لقد كان لهم من مقام أرومته وأصالة محتده ومنزلة آبائه ، ما يجمعهم عليه ان كانت دوافع ايمانهم بصدقه ترتبط بعراقة الاصل ومجد الآباء والجدود . . .

وبهذا ثبت أن طبيعة الدعوة ، من حيث ذات المدعو اليه وهو الله سبحانه ، ومن حيث صفات الداعى الأصلية ، وما تحلى به بعد تكليفه بالرسالة ، طبيعة سلام ، لأن سلاحها الحق والعدل .

وأما المبادىء التى دعا اليها داعية الاسلام ، فهى مبادىء امن وسلام ، واصول حياة تقوم على المحبة والنظام ، ونحن اذا استعرضنا قدرا من أهم المبادىء والأصول التى قام عليها هذا الدين ، على أنه علاقة بين العبد وربه ، وتنظيم اجتماعى وسياسى واقتصادى بين البشر تبين لنا صدق دعوانا حتى لكأن المقصود بكل مبادىء الاسلام وأصوله وقضاياه الكبرى هو تحقيق السلام والأمن والنظام ، برغم ما يلقيه بعض النـــاس من أحجـــار فى هـــذا الخضـــم الواسع ، فمهما يلقوا فى البحر يغرق ..

فتنظيم العلاقة بين العبد وربه ، من صـــدق الايمان وكامل الايقـــان ، والصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه المطلوب كما قررته الدعوة فى كتابها وعلى لسان الداعى ، أمر يملأ نفس المؤمن معـــرفة للحق ـــ وانفعـــالا بمعانى العدل ، وحبا للخالق يدعوه لطاعته ، فيأتمر بما أمر وينتهى عما نهى ، وهذا كله يصنع من المؤمن انسانا يتخلق بأخلاق الله من العدل والرحمة والأمن والسلام ، مع استحضار حصر الدعوة كلها فى رحمة الله بالخلق ، وما ارسلناك الا رحمة للعاملين ...

وهذه المعانى تنعكس على علاقة المؤمن بغيره من المخلوقات كلها ، علاوة على مافى الصلاة والزكاة والحج والصيام ، من تجسيد هذه المعانى فى علاقة كل مؤمن بغيره من المخلوقات ، وهذا شىء واضح . ، وكذلك تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الناس ، لم يكن له من هدف فى الاسلام الا أن تقوم هذه العلاقات على العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، مع ما يغرسه فى نفوس معتنقيه من المحبة والاخاء والايثار .

وبهذه العجالة نستطيع ان نحكم ـــ مستريحى الضمير ـــ بأن الاســـلام فى دعوته ومبادئه دين سلام يكره العنف والاذلال والاعنات ، لانه يكره الظلم ويقيم للحق والعدل أعلى الدعامات ...

ب) تاريخ الاسلام وواقع نشره واعتناقه .

أما أن الاسلام ـــ من واقع نشره ، وتاريخ اعتناقه ـــ دين سلام ، فذلك باب واسع ، يطول بنا البحث لو قصصنا الاحداث التاريخية والوقائع المروية عن الثقات من الرواة ، التى تدل عليه ..

فالاسلام عقيدة يمتلىء بها القلب والوجدان فيندفع الانسان ـــ بها ومن اجلها ـــ الى القيام بمختلف العبادات التى تدل على صدق المعتقد فى اعتقاده ، ولئن كانت العبادات الظاهرة صالحة للمراقبة البشرية والحساب الدنيوى ، فان العقيدة القلبية لا يمكن أن تكون محلا للمراقبة والملاحظة ، لأن عقيدة أى شخص سر من اسرار نفسه ، لا يعرفها على الحقيقة سواه ، ومن هنا لم يكن من الممكن كشف المنافقين الا عن طريق الوحى .. ولننظر . بماذا تكون نجاة المسلم ؟ أبقيامه بالعبادة الظاهرة دون ايمان وايقان ، أم الايمان بالخالق وما يجب له من العبادة والخضوع ايمانا يدفع صاحبه راغبا للعبادة والخضوع ؟..

وهذا الايمان المطلوب لا تمكن مراقبته ، لانه أمر نفسى . كما لا يمكن القسر عليه ، لان العقائد لا تكتسب بالقوة ولكن تتحقق بالاقتناع .. والا فماذا صنعت قريش حين لجأت الى تعذيب من آمنوا بمحمد وبرسالته بأقسى أنواع التعذيب ؟ . . .

هل ردوا أحدا بالقوة وعن طريق القسر عن ايمانه ؟ وهذا جانب من البحث له دلالته على ما نحن فيه .. وفرق بين رجلين يقفان فى صف واحد . احدهما يؤمن بأن عقيدته تستحق أن يبذل فى سبيلها نفسه ، لأن بقاء عقيدته أسمى واعز عنده من بقاء نفسه ، والآخر يأتى الى الصف بلا عقيدة ، فان تحقق النصر فهو مع المنتصرين ، وان راى الهزيمة فر وتولى لا يلوى على شىء . فعلى مثل الاول قام الاسلام ونهضت مبادئه ، وعلى مثل الثانى تضيع المبادىء والمنادون بها جميعا . . .

واذا كان معنى الدعوة الى الاسلام غرس عقيدة مكان عقيدة ، فهل باشر محمد مع من آمن به فى اول الامر شيئا من اساليب الضغط او الاكراه ، وهو الفقير الذى لا يستطيع أن ينثر الذهب على تابعيه ، البعيد عن مجالس الحكم والرياسة والجاه ، بحيث لا يطمع طامع ان ينال من آثار هذه المجالس أدنى نصيب ؟؟ . . . وحين يحدثنا رواة التاريخ عن الحقبة التى قضاها النبى فى مكة قبل الهجرة ، لا نجد فى حديث واحد منهم ، سواء المسلم وغير المسلم ، ما يدل على ان محمدا اكره أحدا على الايمان بالله وبرسالته ، بأى نوع من أنواع الاكراه . .

وبعد الهجرة ، يثبت التاريخ ان الدعوة الى الله لم تأخذ صورة العنف ابدا ، فقد دخل الرسول يثرب وما يكاد يوجد فيها بيت فيه مسلم ، وقبل الانصار وجود المهاجرين معهم ، واوسعوا لهم فى السكن وفى العمل وفى القلوب جميعا ، واحلوا الرسول من ذلك كله محل الكرامة والعزة والمنعة ، ومع ذلك لم يقاتل اليهود الموجودين بها ، بل عقد معهم المعاهدات التى تجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما صارت للمسلمين بالمدينة دولة أصبح عليهم — كما تقضى بذلك سنة العمران — ان يحافظوا على حدود دولتهم ، وعلى حقوق مواطنيها من المسلمين وغير المسلمين ، وان يمنعوا عنها بالقوة — اذا لزم الامر — كل من يحاول ان يعتدى على حرماتها او يخترق حدودها ، وذلك شىء من طبيعة العمران لا شأن للدعوة الى الله او لغير الله فيه . ونخلص من هذه النقطة ، بأن الدعوة الى الله فى المدينة هى نفس الدعوة اليه فى مكة وفى كل مكان ، سبيلها الاقتناع بالحق وبالعدل .

ورغم الغزوات التى خاضها المسلمون بقيادة الرسول الكريم ، والتى اضطروا فيها لحمل السلاح دفاعا عن دولتهم ومواطنيها ، فاننا لا نعدم فى كل غزوة منها روح السلام تبدو من جانب المسلمين ، وروح الاعتداء والغدر والتفاخر بالقوة تبدو من الجانب الآخر . . .

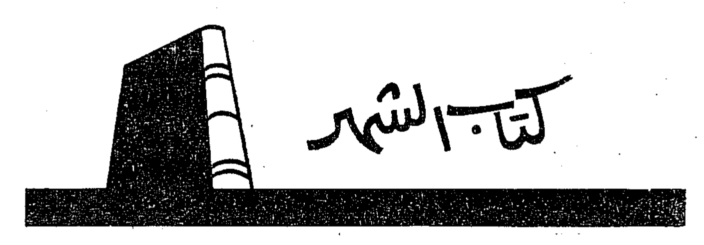
ويروى التاريخ أن من كان يبعثهم الرسـول لاسكات من يشغبون على الدولة ؛ كان يأمرهم بألا يقاتلوا الا المقاتلة ؛ أما المسالمون والشيوخ والنساء والمستضعفون ، فعلى قادة البعوث الا يتعرضوا لهم بسوء ، ومن هذا القبيل قول الله تعالى : « فلا عدوان الا على الظالمين » . .

ويروى التاريخ بمداد من نور موقف النبى والمسلمين فى الحديبية ، ففى سبيل حقن الدماء ، ورغبة فى السلام للجميع قبل النبى شروط الصلح التى عرضها اهل مكة ، رغم ما فيها — فى ظاهر الامـر — من اجحـاف بالمسلمين الذين كانوا يستطيعون القتال لو كانوا يريدونه ، فقد كانوا الفا واربعمائة ، كل رجل منهم يحب الموت اكثر من حب غيره للحياة . . .

كما يروى التاريخ ان النبى يوم فتح مكة أوصى خالدا بعدم القتال ، وكان خالد قد قاد جزءا من جيش المسلمين عن طريق أسفل مكة (المسفلة) ؛ وقاد النبى سائر الجيش من طريق أعلى مكة (المعلاة) ، وعزل سعد بن عبادة لما بلغه عنه انه تكلم بلسان الحرب فى موكب السلام ، وأمر ابا سفيان أن ينادى بالأمن والسلام لكل من يفعل اى فعل يدل على رغبته فى السلام ، فمن القى سلاحه ومن دخل المسجد وحتى من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، وقال لمن اخرجوه منذ ثمانى سنوات بعد أن دبروا قتله ، وقد كانت حياتهم وموتهم على كلمة منه يومئذ ، قولته الخالدة . اذهبوا فأنتم الطلقـاء ، وعاتب خالدا عتابا شديدا لما بلغه انه قاتل ، حتى اعتذر خالد بأنه لم يقاتل الا من بدءوه بالقتال .

وبعد الفتح زال الحرج الذى كان مسيطـرا على أكثر قبائل العـرب ، الذين لم يريدوا أن يغضبوا قريشا ، ولا يودون محاربة الرسول ، فدخل الجميع — دون قتال — فى دين الله أفواجا . . .

ثم لنقف هنا وقفة لنسأل الذين يرمون الحديث من أفواههم ، ترديدا لمن سبقوهم به ، أو انفعالا ببعض المواقف دون بحث ظروفها وأسبابها ، فيقولون . ان هذا الدين فـرض على المؤمنين به بالسيف والقـوة ، لنسأل هؤلاء . أى الاوقات بعد الهجرة وبدر كان أخصب فى ظهور الدعوة وكثرة المؤمنين بها ؛ أوقات التربص والخوف أم أوقات الصلـح والامن والسـلام ؟؟ . ان التاريخ الصادق يحدثنا أن عدد من آمن بهذه الدعوة فى ظل الامن والهدوء والحرية والسلام فى سنتين بعد الحديبية يفوق اضعافا مضاعفة من آمن قبل ذلك فى خمس سنين فى ظل التربص والحذر والخوف — . . . افبعد هـذه الحقيقـة الواقعة الدامغة ، يكون هذا الدين من واقع نشره والايمان به دين حرب واعنات واكراه ؟؟ . . وهل تصلح هذه الصفات وسائل لتثبيت عقيدة أو تخليد مبادىء أو تأسيس حضارة ، اللهم ان العقيدة ثابتة والمبادىء خالدة والحضارة قائمة ، ولا يمكن أن ينهض هذا كله على الاكراه والاعنات . . . وصدق الله العظيم . «لا اكراه فى الدين» . « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . . أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . . . ومن هذا القصص التاريخى المختصر يتبين لنا أن هـذا الدين من واقع نشره واعتناقه ، لا تزدهر مبادئه ، ولا يربو عدد تابعيه الا فى ظل الامن والسلام . . .



كتاب "ميلاد الفرق في الإسلام" أو مدخل إلى دراسة الدين الإسلامي

تأليف ... هنري لاووست

عرض وتلخيص الدكتور محمد غلاب

مؤلف هذا الكتاب استاذ شهير فى الكليج دى فرانس ، وقد الف قبل هذا الكتاب دراسات عن الاسلام كـ « محاولة على المذاهب الاجتماعية والسياسة لابن تيمية » و « رسالة عن الحق العـــام عند ابن تيمية » وهى ترجمة مهمشـــة لـ « السياسة الشرعية » تأليف ابن تيمية . و « عقيدة ابن بطة » و « الخلافة فى رأى رشيد رضا » وهى ترجمة مهمشة ايضا لكتاب « الخلافة » لهذا الاخير .

وغاية هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن ـــ كما يقول المؤلف فى تمهيده ـــ هى أن يقدم الى الطلاب الجامعيين الغربيين ، والصفوة العقلية المتطلعة الى التثقف ، سفرا أكثر شمولا وتعمقا فى الفروع المتباينة ، وانواع الثراء الداخلى للاسلام الذى اصبح دوره عظيم الاهمية فى العصر الراهن ، الذى صار من الضرورى فيه أن تتبادل الاديان الكبرى فيما بينها علائق التفاهم والاحترام .

موضوع هذا الكتاب اذن هو تقديم عرض واف للاختلافات الداخلية التى وقعت بين مدارسه وشيعه التى يطلق عليها اسم « الاسرة العقلية العظمى » والتى اختفى كثير منها على مر الزمن ، ولكن عددا منها ـــ ولا سيما أقدمها ـــ قد برهن على حيوية قوية قمينة بمقاومة الزمن .

ولمـــا لم يكن من الممكن وجود عامل أقوى فى ابراز النشاط ، واستحقاق الاجلال والخلود من عامل التباين فى الآراء والاختلاف فى الفكر ، فقد كان من الطبيعى أن يكون موضوع هذا الكتاب الذى يهدف الى الكشف عن الثراء العقلى فى الاسلام ، هو ابانة هذه الاختلافات .

ولمـــا كانت هذه المذاهب وتلك الشيع أبعد ما تكون فى الاختلاف بينها ، فقد صح لدى المستشرقين أن يطلقوا عليها عنوان « الانشقاقات الداخلية أو التشققات فى الاسلام » .

نبذ المؤلف منهج دراسة هذه الفرق مستقلة بعضها عن بعض ، بمعنى انه لا يعنى فيها الا بالتحليل وحده وسبر اغوار كل فرقة على حدة سائرا على النظام التالى : اى السنية ، والخوارجيــة ، والشيعية ، والاعتزالية ، والفلسفية ، والصوفية ؛ لأن من عيوب ذلك المنهج الذى نبذه انه لا يسمح للدارس بابراز علائق كل منها بالاخريات ولا بفهم الظروف التى احاطت بها ، ولا بايضاح الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما ؛ ولا بتحليل الاحداث السياسية والاجتماعية التى احدقت بها . واذن فقد فضل المنهج التاريخى الذى سمح له بالنجاة من هــذا المأزق ، وأن كان قد الجأه الى تخصيص مكان واسع للتاريخ . ولذا يشير الى ان كل مذهب من تلك المذاهب الاســلامية له جوانب سياسية واقتصــادية واجتماعية ، لا يمكن فصلها فى سهولة عن مظاهره المذهبية . وهذا ناشىء عن أنه لا ينبغى الاغضاء عن أن الناحيتين الروحية والمادية فى الاسلام مرتبطتان ارتباطا غير قابل للانحلال .

ولكى يكون هذا المنهج نزيها ومحايدا ــ كما يحدثنا المؤلف ــ يجب الا يصدر مبتدئا من مدرسة معينة يدرس الباقيات على ضوئها ولو كانت أكثرية او ظافرة بالرجحان ، بل هو يقتصر على دراسة الظروف والاوقات والبيئات التى نشأت فيها هذه المدارس وتطورت عبر التاريخ ، كما يعول فى دراسته على المؤيدات السياسية التى سندتها ، والخصوم الذين شوهوها او هاجموها ، فاذا فرغ من هذا ، شرع فى تحليلها ، ووضع طوابعها التى تميزها عن سوابقها ولواحقها ، وأبان زعماءها وعلماءها .

يتألف هذا الكتاب بعد التمهيد الذى أشرنا اليه آنفا ــ من احد عشر فصلا وخاتمة علمية تحليلية طويلة . فأما الفصول العشرة الاول ، فقد خصصها لدراسة الشيع والفرق مقترنة بتاريخ الخلفاء وآرائهم ، منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى نهاية القرن الثامن عشر . وأما الفصل الحادى عشر ، فانه يهجر فيه التاريخ نهائيا ويخصصه لتلخيص واف يحتوى اهم الحركات الدينية والسياسية والاصلاحية او التطورية . وأما الخاتمة فهى تعنى على الاخص بالنقاط البارزة التى يحدث فيها الجدل من كل مذهب ، والتى تسفر المناقشات فيها عن اتفاقات جامعة ، او اختلافات مفرقة . وقد اعتمد فى هذا كله على آراء علماء المسلمين الادقاء التى وردت فى كتبهم المعتمــدة . ولم يعول فى هــذه المناقشات على الباحثين الغربيين الا قليلا وفى كثير من التحفظ والاحتياط .

عرض سريع :

يبدأ مؤلفنا هذا العرض السريع بانه لا يكاد النبى صلوات الله عليه يلتحق بالملأ الاعلى حتى تبدو مسوغات الانشقاقات ، وسر هذا كله هو اولا اختلاف الامزجة والاهواء والغايات بين الصحابة الذين انبجست منهم منابع الخلاف . ثانيا : سخط الذين آمنوا فى مبدأ الرسالة على من آمنوا اخيرا !! وكان الاولون يتهمونهم بالانتهازية ، بل وصل بعضهم الى حد القول بأن عددا من المسلمين الاخيرين لم يؤمنوا الا للفوز بالغنائم والمناصب ، ورغم هذا وضعوا فى صفوف السابقين ، وعلى نفس مستواهم بلا تفريق ولا تمييز !! ثالثــا : تمرد البدو والمنقسمين على أنفسهم فى الشمال والجنوب ، والذين كانوا حديثى عهد بالاسلام من جهة ، وساخطين على تقدم قريش عليهم فى الرياسات من جهة اخرى . غير أن قوة الخليفتين الاولين ، وحزمهما وايمانهما وشجاعتهما قد قضت على هذه الفتنة الاولى فى مهدها . على ان هذه الجهود الجبارة التى بذلها ذانك الخليفتان العظيمان لم تمنع بعض متأخرى الشيعة من مخــالب الهررة التى حاولوا ان

يخدشوا بها تصرفاتهما الحكيمة فيما نقله مؤلفنا عن ابن تيمية وابن كثير ، كان اخذوا على ابى بكر مثلا انه غاصب للخلافة فرضه عمر بن الخطاب على المؤمنين فرضا ، وانه اعتبر منع الزكاة ردة يستحق عليها فاعلوها القتل ، وقتلهم فعلا ، وانه ارتكن على حديث آحادى لم يروه الا هو ، فمنع فاطمة من ميراث ابيها . وأسندوا الى عمر عدم تطبيق الحدود كما وردت عن الله ورسوله ، وانه منح عائشة وحفصة ابنته نفقات أكثر مما تستحقانه .

ولكن التشققات الحقيقية الاولى ، قد بدأت تكشر عن انيابها فى عهد عثمان وانتهت بقتله . ذلك الحادث الجلل الذى تسببت الاحكام المتباينة عليه — فيما بعد — فى اختلافات جسيمة من جانب أهل السنة والشيعة والخوارج . وعلى أثر ذلك فتحت مسألة خلافة الامام على كرم الله وجهه ابواب الانشقاق الاول ، وهو وجود عصبة الخوارج والاحكام التى صدرت عليها فى القرون التالية ، ونشأة الشيعة المغـالية التى رمى مؤسسوها الاولون بالزندقة ، ثم انتشار الشيعة بوجه عام وفى شىء من العنف بعد فاجعة كربلاء .

ثم يتابع المؤلف بعد ذلك دراسة نشأة الفرق الشيعية المختلفة على مر الزمن مع أحكام علماء الاكثرية لها أو عليها كالكيسانية ، والحربية ، والبيانية ، والباقرية ، والمنصورية . وكذلك نشأة المرجئة . ثم يستمر فى دراسة الخوارجية بأفرعها الثلاثة : الصفرية ، والاباضية ، والازارقة ومناضلاتها السياسية والدينية ضد الامويين . ثم يحدثنا كيف أن خلفاء بنى امية — بعد ان حطموا الشيعية والخوارجية — يهاجمون القدرية التى اسسها معبد الجهنى ، والجهمية التى اسسها جهم بن صفوان . ثم يصل بعد ذلك الى المعتزلة فيحدثنا أنها نشأت فى أواخر حكم بنى امية ، وان مؤسسها هو واصل بن عطاء ، وانها كانت فى أول أمرها مذهبية محضة قبل أن تختلط بالسياسة وتظفر بالاهمية العظمى ، وتتأرجح بين عواصف أهواء الخلفاء فى العصر العباسى . ولم تكن المعتزلة وحدها هى التى قاست أهوال الخضوع للخلفاء ، بل ان الشيعة أيضا قد كان لها معهم مواقف عنيفة ، فلم يكد الخلفاء الاولون من العباسيين ينتهون من القضاء على الامويين حتى تفرغوا للعلويين فصبوا جام غضبهم واضطهادهم على الشيعة عامة ، والزيدية خاصة . وليس هذا فحسب ، بل ان الفروع الشيعية التى نشأت بعد جعفر الصادق كالناوسية ، والموسوية ، والخطابية وغيرها من المذاهب والفرق التى نشأت فى ذلك العهد ، والتى كان تعددها وتعارضها سببا فى تكون المذهب السنى وتسميته بهـذا الاسم أملا فى العثـور على الصراط المستقيم الذى يقتاد اتباعه الى أهداف الرسول التى لم تشوهها البدع ، ولم تنل منها الاغراض . وكان من بين المؤسسين الاولين لهذه الجماعة تحت اسم « أهل السنة » عدد من تلاميذ الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وابو قلابة ، وابو حنيفة ، ومالك بن انس .

ولـما ولى المأمون الخلافة اراد محو الشقاق بين العباسيين والعلويين بحجة أنهم جميعا هاشميون ، فدعاه ذلك الى رعاية الشيعيين وحمايتهم لانهم أنصار أهل البيت الهاشميين ، وقد سند الاعتزال ، وأيد المعتزلة بكل ما لديه من قوة ، بل صار هو نفسه معتزليا مقتنعا قوى الشكيمة ، ولكن هذه المناصرة للمعتزلة جعلتها تطغى وتضطهد زعماء أهل السنة ، وعلى الاخص الامام احمد بن حنبل الذى يحدثنا ابن الجوزى أن الخليفة المعتصم قد أمر بجلده وسجنه فجلد وسجن ، ولم يظفر بحريته الا بعد ثمانية وعشرين شهرا .

بيد أن هذا لم يدم طويلا ، اذ لم يكد الخليفة المتوكل يلى الحكم حتى جعل رد الفعل يظهر ويتجلى فى حياة اهل السنة فيستعيدون قوتهم ويكافحون ضد الشيعة والمعتزلة .

وليس هذا فحسب ، بل ان شأن هذه الجماعة جعل ينمو ويعظم . وفى ذلك العهد ظهر فيها عدد من العلماء حملوا لواءها بهيئة مشرفة ترفع الرؤوس ، وتسجل مواقف العقلية الاسلامية بأحرف الخلود كالترمذى ، والنسائى ، وأبى بكر الخلال ، وابى بكر السجستانى ، وعلى الاخص توجت أعمالها فى هـذه الحقبة بمنتجات أبى الحسن الاشعرى الذى كان مذهبه على قمة الاعتدال بين الحنابلة والمعتزلة ، والذى رفع نجاحه رأس أهل السنة خاصة ، وعلماء الكلام عامة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال من التقدم ووفرة الانتـاج حتى تم الامر لأسرة البويهيين فى سنة ٣٣٤ هـ وجعل الخلفاء السنيون يضعفون شيئا فشيئا ، ويهبط معهم حظ أهل السنة من التلألؤ . وكان الاشعرى قد توفى منذ سنة ٣٢٤ هـ .

وعند ذلك رفعت طوائف الشيعة رؤوسها لا سيما فرعى الاسماعيليين القرامطة . والفاطميين الذين كان لهم فيما بعد شأن عظيم فى مصر ثم فى أصقاع الدروز ، ومعنى هذا أن جماعتى السنية والشـيعية المعتدلة فى مطلع حكم البويهيين كانتا قد وقفتا على اقدامهما . وكذلك الصوفية كجماعة محددة ، والفلسفة التى ان كانت قد تأثرت بالعناصر الاغريقية ، فانها لا تزال اذ ذاك فى داخل المحيط الاسلامى .

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى استولى الفاطميون على مصر ونشروا فيها مذهبهم . وبهذا أحيط مذهب اهل السنة بعوامل المحاربة والاضعاف من كل جهة ، فالفاطميون فى مصر ، والبويهيون فى بغداد قد ضيقوا عليها الخناق ، ولم يبق لها ولى ولا نصير سوى السلطان محمود الغزنـوى . وفى أثناء هذا الاحداق الخانق من كل الجوانب هب السلاجقة السنيون واستولوا على بغداد فى سنة ٤٤٥ للهجرة ، فتنفس أهل السنة الصعداء ، وجعلت مدارسهم تنتعش . ولهذا كان القرنان الرابع والخامس ساطعين فى المعارف الدينية بأنواعها : فمن أهل السنة ظهر أبو بكر الآجرى ، وأبو حسين الملطى ، وابن بطة العكبرى ، وابو بكر الباقلانى ، والحاكم النيسابورى ، وأبو منصور البغدادى وامام الحرمين الجوينى ، والامام الغزالى . ومن المحيط الشيعى برز الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى ، وأبو جعفر الطوسى فى الشرق ، وابن حزم فى الغرب ، وكان فى عصره أقوى المدافعين عن المذهب الظاهرى .

وعندما هزم الايوبيون الفاطميين فى مصر وسوريا زادت قوة أهل السنة واخذ نجمها فى الصعود . فظهر ابن الجوزى الذى يعتبر كتابه « تلبيس ابليس » موسوعة جامعة لكل المذاهب المغالية والشيع المتطرفة التى نبذها أهل السنة وهاجموها مهاجمات تتفاوت عنفا ولينا بتفاوت ابتعادها فى رأيهم عن مبادىء الدين .

وفى أواخر ذلك العصر ازهر امام العارفين محيى الدين بن عربى ، وكان متمتعا برعاية الملك الاشرف الايوبى فى دمشق تلك الرعاية التى انبثق منهـا هدوؤه الصـافى الذى سمح له بتسـجيل تلك النفحات القدسية فى كتاب « الفتوحات المكية » .

بيـد انه لم يكد القرن السـادس الهجرى ينتهى حتى تغيرت الظروف والاجواء ، فجعل الخلفاء العباسيون الثلاثة : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر يحسون بشـدة الضيق من السـلاجقة ، ويفكرون فى التخلص منهم ، وقـد اضطرهم هذا الى الاستعانة عليهم بوزراء شيعيين دون أن يلتفتوا الى مذاهبهم الدينية ما داموا سيحققون لهم اغراضهم السياسية . ولما تولى الخليفة الضعيف المستعصم ، لم يستطع أن يقاوم غزو المغول الذى لم يكد يتم حتى اعتنق الغزاة

مذاهب الشيعة وتحولوا الى جانبهم ، فعلا نجمهم ، وقويت شوكتهم . ولكن سلاطين المماليك السنيين — بعد أن انتصروا على فلول الايوبيين فى مصر وسوريا — اخذوا يكافحون الشيعية المغولية المنتشرة فى بغداد ، وجعلوا يناصرون المذهب السنى حتى استعاد حيويته وانتعاشه فى القرون الاربعة : من السابع الى العاشر .

ومما ساد فى عصر المماليك بعث الحنبلية الذين كانوا مضطهدين فى بغداد فى عهد المغول ، وقد مثل هذا البعث على الاخص ابن تيمية الذى كافح — بمنتجاته القوية فى القاهرة ودمشق حتى وفاته — ضد اسلام المغول المشتبه فيه من اساسه ، وضد الشيعة والمبتدعة ، والباطنية ، وضد المتكلمين عامة ، والاشاعرة خاصة .

وفى نهاية الربع الاول من القرن العاشر الهجرى ، تم للعثمانيين الاستيلاء على مصر بعد أن شنقوا طومان باى آخر سلاطين المماليك ، وفى هذه الفترة عينها حاربوا الشيعة حتى هزموها فى شخص الشاه اسماعيل الذى كان قد جمع حوله الايرانيين والعراقيين والمغول . وبعد ان انتصر السلطان سليم على الشيعة من جهة ، والمماليك من جهة أخرى ، وفاز بسبب هذا ، بلقب السلطان السنى الاقوى فى العالم الاسلامى ، بل أعلن أنه أصبح الوارث العملى للخلافة غير أن النضال ضد اسرة الشاه اسماعيل قد استمر بحظوظ مختلفة ونتائج متباينة . ولم ينقطع الا فى القرن الثانى عشر الهجرى حين عقد نادر شاه معاهدة السلام مع العثمانيين سنة ١١٦٠ هـ .

وفى عهد المماليك والعثمانيين السنيين ، نلتقى بعدد من المتكلمين المتأخرين، والمؤرخين المحققين كعضد الدين الأيجى مؤلف كتاب « المواقف » الذى شرحه الجرجانى ، والدوانى ، وكتاب « العقائد العضدية » الذى همش عليه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكتاج الدين السبكى مؤلف « طبقات الشافعية » : وابن خلدون ، والمقريزى ، والسيوطى الاشعرى الشافعى الشاذلى المؤرخ المعروف ، وأبى البركات النسفى الماتريدى الحنفى مؤلف كتابى « العمدة » و « الكنز » . وقد اعتمد فى تأليف هذا الاخير على كتاب « الهداية » وسعد الدين التفتازانى شارح كتاب نجم الدين النسفى الماتريدى .

وبهذا ينهى مؤلفنا الفصول العشرة الاول من كتابه التى لخصناها تلخيصا عاجلا ، بل خاطفا ، ولم نكد نرسم منها سوى خطوطها العريضة التى دلت على سعة اطلاع داعية للاعجاب بهذا المؤلف المثقف الدقيق النزيه . .

غير أن هذا العرض السريع لم يمنعه من أن يخصص جانبا عظيما من الاهمية للسنية والشيعية المعتدلة ، ولكن ذلك التمييز من جانب المؤلف لم يكن بعنوان السلفية بل بسبب أهميتها من وجهة أن زعماءهما من أكبر علماء الاسلام . وان اتباعهما هم الاكثرية الغالبة من المؤمنين ، وأنهما كانتا دائما دين الدولة الرسمى على التوالى ، او متعاصرتين فى هذه المنزلة الرسمية فى امتين مختلفتين من الامم الاسلامية . وقد دفع هذا الاعتبار مؤلفنا الى الاحساس بهذه الضرورة العلمية ، وهى ابراز آراء اكبر علماء الاسلام من هاتين الطائفتين كل منهما فى الاخرى على التبادل ، ثم معرفة آرائهم فى المذاهب الباقية . ولما كانت كل طائفة من هاتين الطائفتين تضم بين دفتيها شيعا كثيرة وفرقا متباينة (تنقسم أمتى الى اثنتين وسبعين فرقة) فقد تباينت أحكام كل فرع من كل طائفة على الاخر من اتباعها وخصومها . وقد اعتمد مؤلفنا — فى فهمه وتحليله واحكامه — على أمهات كتب هذه المذاهب وأساسياتها الرئيسية ، وكتب التاريخ الموثوق بها مثل : (كتاب السنة) لاحمد بن حنبل و (منهج السنة النبوية) لابن تيمية ، و (تلبيس ابليس) لابن الجوزى ، و (أصول الدين) لعبد القاهر

البغدادى ، و (الفرق بين الفرق) لنفس المؤلف ، و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ، وكتاب (الفصل) لابن حزم ، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، و (الملل والنحل) للشهرستانى ، وكتاب (الخطط) للمقريزى ، و (الخطط) لابن الاثير ، و (تاريخ الامم والملوك) للطبرى ، وكتاب (الارشاد) للشيخ المفيد ، و (منهاج الكرامة فى معرفة الامامة) لجمال الدين الحلى ، و (فرق الشيعة) لحسن بن موسى النوبختى ، و (فهرست كتب الشيعة) لأبى جعفر الطوسى ، وكتاب (طبقات المعتزلة) لابن المرتضى . وكثير غير هذا من المصادر الاسلامية والاوروبية التى يعتبر مؤلفوها من أعيان الباحثين كـ (ماسينيون) و (هنرى كوربان) و (رينيه بلاشير) و (بروكيلمان) و (دونالسون) و (نادير) وما الى ذلك مما يؤلف مجموعة محترمة من المستندات المذهبية والتاريخية المعتمدة التى سمحت له بأن يجرى تحليلات دقيقة لعلماء المسلمين البارزين كالغزالى ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وجمال الدين الحلى .

ومما يلفت النظر فى هذه الدراسة أن المؤلف هنا قد عنى بمذهب اهل السنة عناية فائقة يبدو من خلالها امتياز هذه الطائفة ورجحانها على بقية الطوائف الاسلامية ، فخصص لها مكانا واسعا فى كتابه تناول فيه نشأتها وطرفيها : السلبى والايجابى اللذين وضعهما لها مؤرخو الحركة العقلية الاسلامية الذين وصفوها فى النظرة الاولى بأنها تنبذ جميع المذاهب التى شققت الاسلام قبل تكونها ، وصوروها فى النظرة الثانية مرتبطة بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة والاجماع المعتبر احكم انواع الارتباط . ويستنبط المؤلف من هذا أن من العناصر الرئيسية التى هيأت الانتصار الرائع للسنية على جميع الفرق عنصر ذلك الوضع المعتدل بين الشيعة والخوارج . ومن هذه العناصر أيضا الواقعية السياسية التى تأمر بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بعصيان الله ورسوله « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ومن ذلك ايضا الاغضاء عن جميع الانشقاقات التى وقعت بين الصحابة ، أو تصغيرها ، أو تصيد الاعذار لفاعليها بقدر المستطاع . ومن هذه العناصر كذلك اعتبار الخلفاء الراشدين الاربعة شرعيين ، وقبول من جاءوا بعدهم من خلفاء المسلمين وأمرائهم مهما قيل فى شأنهم . وقد جعل هذا العنصر الاخير أهل السنة جديرين حقا باسم مذهب (جمع الامة الاسلامية) . ولكى توفق هذه الجماعة بين الآراء الداخلية لدى طوائفها الفرعية اقرت مذهبى اهل الحديث واهل الراى ، ذلك الاقرار الذى لا ادرى لماذا يطلق عليه مؤلفنا — وهو دقيق معتدل — اسم الوسيلة التى تشوبها الصناعة قليلا . وكان ينبغى له أن يسميه بالوسيلة الحكيمة أو السياسة الرشيدة . ومن آيات استحقاق هذا الاقرار للرشاد والحكمة ما انتجه من ثمار مفيدة خالدة .

ومهما يكن من الامر ، فان الدور الذى مثله اهل الحديث واهل الراى وكل ما يتصل بهم على مر الزمن من قريب أو من بعيد والخلفاء او السلاطين الذين كانوا ينعطفون نحو المذهب السنى ، والاهمية التى ظفر بها مذهب اهل السنة ، كل ذلك قد فاز بنصيب الاسد من عناية مؤلفنا .

وتلى هذه المنزلة عنده منزلة الشيعة المعتدلة ، اذ يعنى بقيمة زعمائها العقلية والعلمية وبنضالهم القوى ضد غلاة الشيعة ، وضد جميع الفرق التى احدثت تشققات فى الصفوف الاسلامية ، أو فتحت ثغرات فى الامة .

وبعد هاتين المنزلتين العظيمتين ، وضع مؤلفنا المعتزلة الذين صاروا — منذ عهد المأمون وخلفيه المعتصم والواثق — على راس مدارس علم الكلام . وفى الحق أن هذه الطائفة من المتكلمين الممتازين ، قد طبعت العقلية الاسلامية بطابع قوى سواء اكان ذلك عن طريق التأثير المباشر أم عن طريق رد الفعل الذى تولد

من مجادلاتهم فيما بينهم من جهة ، وما وقع بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى .
وقد خصص المؤلف فى كتابه دراسة تحليلية هامة لمبدأ الحركة الاعتزالية ولمؤسسها واصل بن عطاء . وقد تتبع هذه الحركات عبر التاريخ الاسلامى مسجلا اهم الاحكام التى صدرت لهم أو عليهم من اعاظم العلماء السنيين والشيعيين ، وقد اهتم على الاخص بمبادئهم الاساسية وقواعدهم الخمس التى اتفقوا عليها والتى وصفها بأنها قد احتلت المنزلة الاولى فى المجادلات الاسلامية .
وبعد ذلك علق على هذه الدراسة التحليلية النزيهة بأن المعتزلة هم مع الفلاسفة ، ابرز فرق المسلمين التى استرعت انتباه الباحثين الاوروبيين وشغلت من مؤلفاتهم عددا وفيرا .
واخيرا خصص مكانا واسعا من كتابه للصوفية وابان كيف ان التصوف — بسبب انبثاق اصوله من الاسلام — كان موضع القبول الذى لا مشاحة فيه ، بل كان فى مرتبة الحب والرعاية والثقة والدعاية من أتقياء المسلمين وأذكيائهم .
ولكن هذه الخطوة قد تبدلت عندما خضع التصوف للتأثيرات : الهندية ، والفارسية ، والاغريقية . وقد عنى مؤلفنا — فى هذا الموقف كما فى غيره — بتسجيل الاحكام التى دانت التصوف عن دقة وتثبت حينا ، وعن سطحية وتشورية حينا آخر ، وعن اهواء نفسية ، واغراض فردية حينا ثالثا .

الحركات التطورية :

أسلفنا أن الفصل الحادى عشر قد عنى بالحركات التطورية منذ القرن الثامن عشر حتى الان ، فعرض للوهابية وابرز جانبا واضحا من حرص زعمائها على مزج الاسرة السعودية بالمذهب الوهابى حتى جعلوا منهما وحدة لا تتجزأ .
وكذلك لخص ما يدعى « بعصر التنظيمات » فى تركيا . ثم بسط الحديث عن السيد جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، ثم عرض للحركة المهدية فى السودان حيث يرى أثر الاستعمار البريطانى بارزا ملموسا ، ويشاهد انقلاب الفتن الانجليزية ضد صانعيها ، وانتصارهم حينا ، وانهزامهم أحيانا .
وبعد ذلك يقف هنيهة عند السنوسية فيشرح ميولها وحركاتها الدينية الممتزجة بسياسة الانعزال عن التيارات الاوروبية .

وعلى أثر انتهاء المؤلف من افريقيا يعود الى آسيا ، ويعرض للهند فيدرس فيها الحركات الدينية والسياسية التى لا يفوته ان يسجل انها لم تدرس كما ينبغى ، وان الباحثين الغربيين لم يمنحوها ما تستحقه من العناية . ومن هذه الحركات مثلا حركتا الفرائضية ، والمجاهدية ، وهما كلتاهما ضد الاستعمار الانجليزى ، وحركتا البهادرية التى يتزعمها السيد سيد احمد خان بهادر ، والاحمدية التى كان يقودها ميرزا غلام أحمد ، وكلاهما من مؤيدى الاحتلال الانجليزى . ولذا كان اكثر ابتداعاتهما خارجا على الاسلام السنى .
وبعد أن يفرغ من هذه الحركات يلقى نظرة فاحصة على حركات : الشيخية التى يتزعمها الشيخ الاحسائى ، والبابية التى يراسها السيد على محمد الشيرازى الملقب بالبابى ، والتى كان لها تاثير سياسى بارز ، وتركت وراءها انتاجا ادبيا رائعا ، والبهائية التى اسسها ميرزا حسين على نورى تلميذ البابى . وهذه الحركات الثلاث الاخيرة متفرعة عن الدوحة الشيعية .
ونحن نرى — بعد القراءة المتمعنة المستانية — انه كتاب قيم جدير بالتداول والتشجيع ، بل نرى وجوب ترجمته لا لنظرته العميقة فى الاسلام وتاييده اياه ، وتادبه الفائق مع علمائه الاقدمين فحسب ، بل لأن مجرد الاطلاع على المراجع الاصيلة التى يسجلها يشعر كثيرا من مثقفى المسلمين النزهاء الحساسين بالخجل العميق لأنهم لم يروها قبل استعراضهم هذا السفر الجليل .

قصة من التاريخ الاسلامي

السيدة أسماء

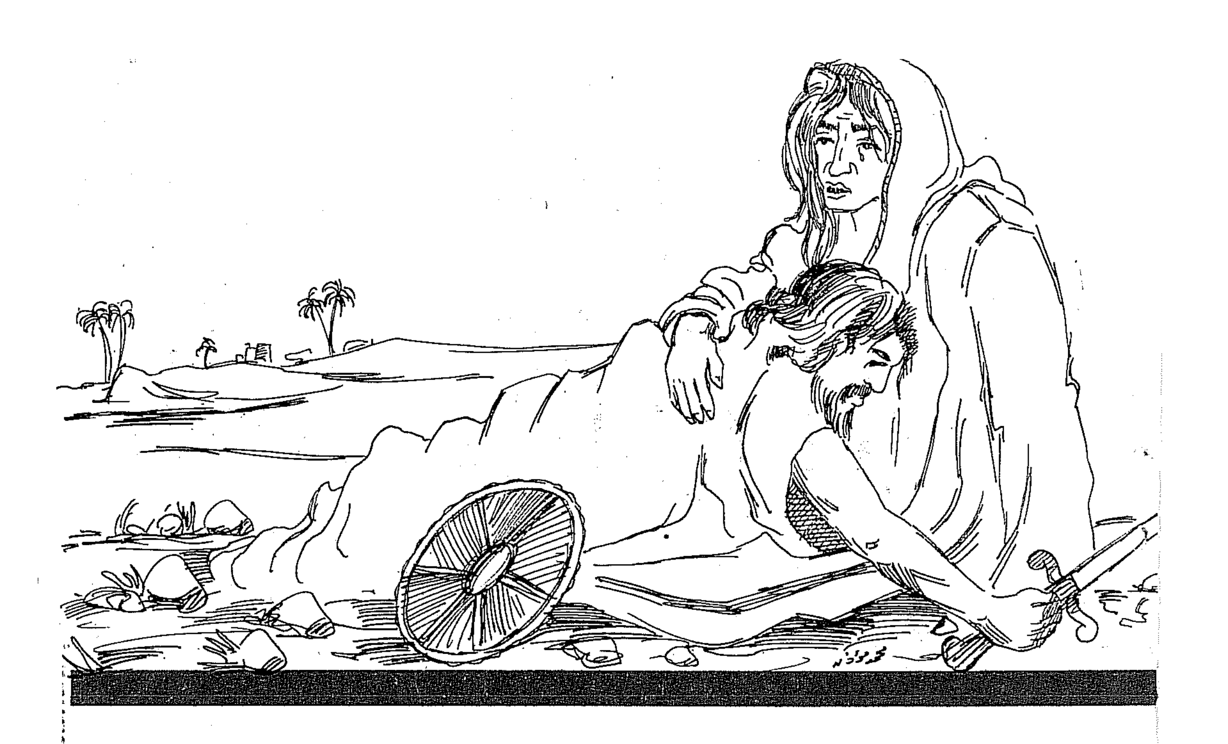
للأستاذ: محمد لبيب البوهي

دار دولاب الأيام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وقد اتم الله نعمته على الناس ، وارتضى لهم الاسلام دينا ، وأشرقت الارض بنور ربها ، وامتلأت عدلا وفضلا وعلما ، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار مولاه الكريم ، ولحق به بعد ذلك ابو بكر ، ثم عمر ، ثم بقية الراشدين ، وتقف بنا الأحداث عند سيدة مؤمنة فاضلة هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل المؤمنين والصالحين الى يوم تقوم الساعة .

ذات النطاقين

واسماء هى صاحبة القصة المعروفة يوم الغار ، اذ ضربت المثل الأعلى فى الشجاعة فى حادث الهجرة يوم كانت تحمل الطعام الى النبى صلى الله عليه وسلم وأبيها اذ هما فى الغار ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت بأن قدميها ستتركان أثرهما على الرمال حين تسير ، فيعرف المشركون المكان ، فكانت تأخذ معها خادما لها يرعى الغنم ، وتسير بحيث تجعل الأغنام من خلفها ، فتطمس الأغنام معالم قدميها ، وقد شدت الى كتفيها اناءين بحزام لها هو نطاق قد شقته ، فجعلته شطرين ، ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، وهى التى وضعت بعد الهجرة اول مولود يولد فى الاسلام هو عبد الله بن الزبير الذى حملته حين وضعته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتناوله بيديه الشريفتين ثم قبله ، ودعا له بالخير .

هذه مقدمة يسيره عن أسماء ، لندخل بعد ذلك الى بعض الأحداث التى أشرقت فيها فضائل هذه السيدة الكريمة ، فقد كانت قد نيفت على المائة من عمرها ، وما زالت تجلس لتعليم المؤمنين الذين كانوا يأتون الى حلقة درسها من كل فج عميق ، فقد كانت فى شيخوختها مصباحا منيرا من مصابيح العلم ، وامتحنتها بعد ذلك الأيام بأقسى ما تمتحن به امرأة وأم .



ذلك أنه لما تولى معاوية الثانى أمر الخلافة ، لم يرض عنه أهل الحجاز ، وأسرعوا الى عبد الله بن الزبير وهو ولد السيدة أسماء — يبايعونه فى مكة ، لما يعلمون من علمه وورعه ، وعجز الأمويون عن اخضاع عبد الله ، فحاربوه فأرسل عبد الملك بن مروان قائد جيوشه الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير ، فحاصر مكة ، وذهب يضربها بالمنجانيق ، وهى أشبه ما تكون بالقنابل تصنع من الحجارة ، فتوضع فى المقاليع الهائلة ، ويرمى بها الناس والدور ، وذهب الحجاج يلتمس من أنصار عبد الله ضعاف النفوس ، فيغريهم بالمال الكثير ، والجاه العريض ، والضعف فى كل زمان ومكان كائن فى الناس ، والشيطان يغوى هؤلاء بالعاجل من زينة الحياة وترفها ، ويهون لهم ما يكون من شأن الخيانة وعاقبتها ، ويلتمس لهم من ذات أنفسهم أسبابا ينيم بها ما قد يكون هناك من بقايا الضمير ، فانفض عن عبد الله أنصاره أو أكثرهم ، وبقى وحيدا أو شبه وحيد ، يلوذ بالحرم ، يسأل الله من هذه الفتنة النجاة .

وعلمت أمه العجوز أسماء بمأساة ولدها عبد الله ، وما هو فيه من شدة وبلاء ، وانصراف أعوان ، ووقوفه فى مواجهة الشر الكبير وحيدا .

وكانت الأم حينذاك فى المدينة ، فأسرعت بالسفر الى مكة ، تتحامل على ضعفها ، وفى قلبها ما يكون فى قلوب الأمهات من الهم والغم . والاشفاق على ولدها الذى لا تدرى أتصل الى مكة فتراه حيا ، أم تكون سيوف الفتنة قد ناشته من كل جانب ، وأذاقته كأس المنايا ، فلا يقدر لها أن تراه .

وأسرع اليها الحجاج يطلب اليها أن تطلب الى ولدها تسليم نفسه ، وسيضمن له حينذاك العفو والعافية ، وتركها على هذا الرجاء تذهب الى ولدها فى مكانه من داخل الحرم .

وشدت من قامتها حتى علت على الأحداث . وتصاغرت الدنيا تحت قدميها ، وتداخل بعضها فى بعض ، وتركت كل شىء جانبا ، وأمسكت قلب الأم بقبضة من حديد ، ونحت كل عاطفة جانبا لتشد من أزر ولدها بما يجعله يواجه الدنيا والأحداث والفتن بروح المؤمن الذى لا يساوم فى الحق ولا يلين .

لقد لقيها عبد الله قرير العين ، وأسرع فدفن وجهه فى صدر الأم الحنون ، وشعر بدفء الحياة والأمن فى أحضان الأمومة ، ثم أخذ بيدها ، وأجلسها الى جانبه ، وراح يلتمس منها نصحا ، فقال رضى الله عنه : « يا أماه لقد خذلنى الناس حتى من كان منهم من خاصة أهلى ، فلم يبقى معى الا الله ، وها هى ذى جيوش الحجاج تحاصرنى ، وان قوتى لن تقوى على مواجهة بأسـهم ، وان رسل الحجاج وعبد الملك يصلون الى تباعا يعرضون على أقصى ما يتمنى المرء من رغد ودنيا ونعيم ، ويضمنون لى الأمن والعافية والسلامة .

ونظرت الأم المحطمة القلب ، الملتـاعة الفؤاد الى ولدها ، واطرقت راسها ، وظن انه لمس وترا من قلبها ، وأنها ستوصيه بما توصى به كل أم فى مثل هذه الساعة ، وهى تتمنى لولدها العافية والنجاة .

وطال صمتها ، واربد وجهها ، وارتعشت شـفتاها ، وهبت بعد ذلك واقفة كالطود ، واخذت تمسح راس ولدها فى عطف ومودة ، فأسرع مـرة أخرى ، ولاذ برحاب حنانها وعطفها وبرها ، يلتمس آخر ما فى الوجود مـن قطرات الحنان ، وجاءه صوتها هادئا قويا وقورا مستأنيا تشرق كل حروفه بنور الايمـان ..

اى ولدى عبد الله . تلتمس منى الراى والمشورة !؟ انك اعلم يا ولدى بنفسك فان كنت على حق ، واليه تدعو فقد قتل على الحق أصحابك ، فلا تمكن من نفسك بنى أمية ، وان كنت انما تريد الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك .

وعاودت تمسح راسه في رفق ، ثم ودعته بنظرة تتصارع في وميضهـا اقصي ما عرفته البشرية من حنان وحـب ، وهي تدرك انها تودع أحب الناس فى الدنيا الى قلبها ، لا تودعه وداع السلامة والنجاة من الأحـداث ، وانمـا تودعه وهي تلقى بقلبها الى سيوف الطغيان .

لقد تصورت دماء الولد العزيز تترقرق تحت لحيته ، تحت ضربة منتظرة من سيف احمق مجنون ، فشدت من جفنيها حتى تحبس الدمع بارادة لم تعرف لها الدنيا مثيلا ، وانصرفت وهو ينظر اليها ، وكانها تعلو بقامتها ، وتعلو فوق هضاب مكة وفوق الدنيا باسرها ، واخذ ينظر اليها قبل ان يتوارى شبحها ، وفى اذنيه طنين يملأ عليه رحاب نفسه « لقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بنى امية ، وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت ...

وصرخ صرخة ارتجت لها أعماق نفسه ، وأسرع من خلفها يصيح بجماع قلبه وروحه وايمانه ، رحماك يا أمى رحماك ... لبيك ربى لبيك .. وحمـل سيفه وحيدا ، وتقدم ليلقى سيوفا ظامئة منذ بعيد الى دمه ، فتوقفت أمه لتراه فى معركة لا أمل له فيها . **توقفت الأم لترى السيوف تناله من جميع انحائـه حتى سقط امامها ، فانحنت تقبله ، ولم تزل تضمه الى صدرها حتى أمر الحجاج ان تنحى ، وان تعلق جثته اياما ثلاثة فى مكة عبرة للآخرين .**

وظلت فيمكانها أمامه لم تبرحه ، وكان حديثا صامتا تعجز عن فهمه الدنيا يدور بين روحه وروحها من وراء عالم الفتنة ودنيا الناس ..

كانت عيناه مفتوحتين ، وكأنه يريد أن يعبر بهما تعبيرا يلمس به قلبها ، ويلتمس رضاها ، ويشكرها على برها ونصيحتها ، ويطمئنها على ايمانـه ، ويبشرها بما لقى هناك .

تباركت يا أماه فهل أنت راضية ؟ لقد محضتنى خير نصح يا أماه ... فما دنيا الحجاج !؟ وما دنيا بنى أمية !؟ وما دنيا الناس جميعا بازاء ما يلقاه فى سبيل الحق شهيد ؟!!



في الايـــــلاء

قلت لزوجتى (تحرمى على لمدة أربعين يوما) ولا اقصد الطـــلاق ورجعت اليها وعاشرتها معاشرة الازواج بعد أسبوع من اليمين . فما حكم الشريعة .

(ن . ع — وزارة الكهرباء والماء — الكويت) .

الاجـــــابة :

الحلف على تحريم الزوجة المدة المذكورة يعتبره بعض الفقهاء من قبيـــل الايلاء وبعض الفقهاء يرى أن أقل مدة الايلاء أربعة أشهر ، وبناء على ذلك لا يكون قوله المذكور ايلاء .

وبما أن السائل قرر انه لا يقصد به طلاقا — فعلى رأى من يقول انه ايلاء فيكون حنثه فى يمينه خيرا قال عليه السلام : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ، وليأت الذى هو خير ، ويجب عليه كفارة اليمين . وهى اطعام عشرة مساكين يوما أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة وعلى رأى من يقول ان القول المذكور لا يعتبر ايلاء يكون قوله من قبيل الكنايات ، وحكم ذلك انه لا يقع به يمين الا بالنية وما دام لم يقصد طلاقا فلا يقع به شىء ولا كفارة عليه .

الحج عن الغير

شخص مقيم فى الاراضى المحتلة التى اغتصبتهـــا اسرائيل ولا يستطيـــع الخروج منها منذ مدة طويلة وهو مسلم بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما . فهل يجوز لابنه أن ينيب عنه فى الحج ويسقط عنه بذلك فريضة الحج .

(عبد الله قدوم) .

الاجـــــابة :

الحج من الاعمال التى تقبل الانابة عند الأحناف والشافعية والحنـــابلة ولا تقبل الانابة عند المالكية .

وبما أن الشخص المسئول عنه يعتبر زمنا لكبر سنه فضلا عن عدم تمكنه من تأدية فريضة الحج فيعتبر عاجزا عن أدائه ومن أسباب العجز كبر السن ومنها أيضا وجوده فى مكان لا يستطيع الخروج منه ، فيجـــوز لابنه أن ينيب عنه من يحج عنه ، باعتبار أن ذلك من قبيل البر بالوالدين والاحسان اليهما قال تعـــالى « وبالوالدين احسانا » .

واذا حج عنه فيسقط فرضه — ويرى الحنابلة انه لو قدر على الحج بعـــد ذلك فلا يلزم بأدائه مرة أخرى — ويشترط فى النائب أن يكون قد حج الفرض .

حج الصبى

رجل يريد الحج ومعه ابنه الصغير وعمره سنة . فماذا يفعل له من أعمال الحج وهل ينوى عنه الاحرام ويطوف عنه .

(ف — ق — الكويت) .

الاجـــابة :

من شروط وجوب الحج البلوغ فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة لقوله عليه السلام : (أيما صبى حـــج عشر حجج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام) . والصبى غير المميز لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعمال الحج ، ولكن الولى يحرم عنه ، وعليه أن يحضره المواقف ، فيطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة .

وفى الحديث : ان امرأة أخرجت صبيا من محفته وقالت يا رسول الله هل لهذا حج ، قال نعم ولك أجره .

ويتبين مما سبق أن مثل الطفل المذكور لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعماله ، ويحرم عنه الولى ويحضره المواقف ويطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة ولكن لا تسقط عنه الفرض حين يصل سن التكليف وهو البلوغ .

فى النكـــاح

زنا رجل بامرأة وولدت بنتا من مائه . فهل يصح للزانى الزواج من هـــذه البنت ؟

(حسين عبد الله حسين / قطر) .

الاجـــابة :

يقول ابو حنيفة : ان من زنى بامرأة أو لمسها أو نظر الى العضو المخصوص منها بشهوة ، ترتب على ذلك خرمات المصـــاهرة ، فيحـــرم على الزانى التزوج بفروع المزنى بها ، وبأصولها وتحرم المزنى بها على أصول الزانى وفروعه .

ويقول الشافعية : أنه يجوز للرجل أن يتزوج بنته المخلوقة من مائه زنا لأن ماء الزنا لا حرمة له ، ولكن يكره له نكاحها .

ويقول المالـــكية : ان البنت المتخلقة من ماء الزانى فى تحريمها خلاف ، والمعتمد الحرمة .

ويقول الحنابلة : ان وطء الزنا يثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها وحرمت على أبيه وابنه .

وواضح مما سبق أن الأحناف والحنابلة والمالكية يحـــرمون على الرجـــل التزوج من بنته المتخلفة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من بنته من الزنا .

فى الميراث

توفى شخص عن :
زوجتين ، وثلاثة أخوة لام ، وأخ من أب .
فما نصيب كل وارث ؟

(م . ع . ج ـــ طالب بمعهد الامامة بالكويت)

الاجـــابة :

بوفاة شخص عن زوجتيه وثلاثة أخوة لام وأخ لاب ، يكون توزيع التركة بينهم على الوجه الآتى :

للزوجتين الربع مناصفة بالتساوى بينهما فرضا لعدم وجـــود فرع وارث للمتوفى ، وللأخوة للأم الثلث فرضا مثالثة بالتســـاوى بينهـــم ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .



يا حـــاج

من أدى فريضة الحج فى ديارنا يضاف الى اسمه تشريفا وتعظيمـــا لقب (حاج) فيقال مثلا : يا حاج ، أو الحاج فلان ، أو الحاجة فلانة ، فهــل يجــوز هذا فى الاسـلام .

(رمضان ارسلان بابا) .
مفتى دارنده ــ تركيا

ونجيب الاخ الكريم بأن هذه عادة مستحـــدثة لم تكن معـــروفة فى عصر الرســـول الـكريم ، ولا فى عهـــد الخلفـــاء الـــراشـــدين ، ولا زمـــن الائمة الاربعة ، وانما درج عليها كثير من المسلمين فى العصور المتأخرة ، وقد ذاعت وشاعت ، فأصبحنا نسمعها فى لغة التخاطب بين الناس ، ونقرؤها فى الرسـائل ، ونطالعها فى الصحف فى اعلانات التهانى والوفيات ، بل نراها فى بعض البطاقات الشخصية ، وقد اتخذ بعض الناس هذا اللقب وسـيلة لتملق الحكام والرؤساء ، أو للتباهى والتفاخر وكثيرا ما نجد هذا اللقب متبوعا بالاسم منقوشا بخط جميل على الحجارة أو الواح الرخام فى واجهة بعض المساجد او المنشآت الخيرية ، أو القبور مثل : انشأ هذا المسجد ولى النعم جنـــاب الوالى الحاج .. أو افتتحت هذه المدرسة فى عهد السلطان الحاج .. أو انشىء هـــذا السبيل صدقة على روح الحاجة .. او هذا قبر المرحوم الحاج .. وهكذا .

وقد شاهدت بنفسى بعض الذين ادوا فريضة الحج يغضب على محدثه اشد الغضب اذا جرده من هذا اللقب ، ولم ينعته بهـــذا النعت ، بل انه ليذهب فى دفاعه عن لقبه (الحاج) وحرصه على أن يضاف الى اسمه ــ الى القول لمن جرده منه بأنه تكبد مشقة السفر الى الارض المقدسة ، وانفق اموالا طائلة فى اداء هذه الفريضة . كأنه انما سافر وانفق ليشترى لقبا لا ليؤدى فريضة من فرائض الله التى أوجبها على عباده القادرين .

وفريضة الحج كأى فريضة من فرائض الاسلام يؤديها المسلم طاعة لله عز وجل فى اخلاص ورجاء للقبول دون اعلان ولا مباهاة ، ومثل هذه الفريضة مثل سائر الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة ، فكما لا يقال يا مصل او يا مزك او ياصائم فكذلك لا ينبغى ان يحرص الحاج على أن يلقب بهذا اللقب .

المصاحف العثمانية

ويسأل الاخ أبو فارس من درعا ــ بسوريا ــ عن عدد المصاحف العثمانية ، وعن الموجود منها الآن .

وأحب قبل الاجابة عن سؤال الاخ ان اشير الى ان جميع المصاحف المعتمدة تداولة الآن فى جميع الاقطار ــ هى مصاحف عثمانية بمعنى انها موافقة تمام موافقة للرسم العثمانى الذى كتبت به المصاحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، واقره عليه جميع الصحابة الموجودين فى عصره .

والثابت أن هذا الخليفة الراشد جمع القرآن الكريم من الصحف فى مصحف واحد سماه المصحف الامام ، واحتفظ به لنفسه ، وأمر بنسخ عدد من المصاحف على نسقه تكفى حاجة الامة ، وارسل هذه المصاحف الى الاقاليم الاسلامية ، وانفذ مع كل مصحف حافظا ثقة يقرىء اهل الاقاليم ويلقنهم القراءة والنطق الصحيح الموافق لقراءة أمين الوحى جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سيدنا عثمان بارسال المصاحف فحسب اذ أن المعول عليه فى نقل القرآن الكريم هو السماع والتلقى ، لا مجرد القراءة والمطالعة .

وقد روى أنه رضى الله عنه استبقى بالمدينة المنورة مصحفا غير مصحفه الخاص ، وأمر زيد بن ثابت أن يتولى قراءة القرآن لأهل المدينة ، وبعث عبد الله ابن السائب مع مصحف الى مكة ، وانفذ المغيرة بن شهاب الى الشام مع مصحف الشام ، وارسل الىالكوفة مصحفا مع الحافظ أبى عبد الرحمن السلمى ،وسير عامر بن عبد الله القيس الى البصرة مع المصحف البصرى .

وبهذا يبلغ عدد المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان ستة : المصحف الامام الخاص به ، والمصحف المدنى العام ، والمصحف المكى والمصحف الشامى ، والمصحف الكوفى ، والمصحف البصرى .

وقيل أنه رضى الله عنه أرسل مصحفا سابعا الى البحرين ، وثامنا الى اليمن ، وينقل انه بعث مصحفا الى مصر .

ولا يوجد دليل قاطع على وجود شىء من هذه المصاحف الآن ، ويرجح العلماء أن المصحف الموجود ، الآن فى خزانة الآثار النبوية بالمسجد الحسينى فى القاهرة منقول عن المصاحف العثمانية وليس واحدا من المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان .

المساجد في الكويت

ويستفسر الأخ عبد الله العبد العزيز من الكويت فى رسالته عن عدد مساجد الكويت وتاريخ بنائها واسماء مؤسسيها ، وقد أجاب عن سؤاله فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير ادارة شؤون المساجد فقال :

عدد المساجد بدولة الكويت (٢٢٥) مسجدا منها (٥٣) مسجدا بمدينة الكويت (محافظة العاصمة) و (٣٩) مسجدا بضواحيها و « ١١ » بقراها .

و (٣٣) مسجدا بضواحى محافظة حولى ، و (٥٩) بقراها و (٩) مساجد بمدينة الاحمدى (المحافظة) و (٣١) بقراها .

وايمانا من الوزارة برسالة المسجد ودوره فى التربية فقد قررت انشاء مسجد (الدولة الكبير) على مستوى عالى وعالمى ، وتسمى المساجد بأسماء مؤسسيها أو بأسماء الصحابة والتابعين وتابعيهم من رجالات الاسلام الاعلام .

وقد طبعت الوزارة سجلا مصورا بأسماء المساجد ومؤسسيها وتاريخ بنائها ، وهو موجود بالمكتبة العامة للوزارة لمن شاء أن يستزيد من هذه المعلومات .

بأقلام القراء

الهند فى القرن ١٩ م

كتب الاستاذ حبيب ريحان الندوى المدرس بمعاهد الجامعة الاسلامية بليبيا تحت هذا العنوان يقول :

يعتبر القرن التاسع عشر فى تاريخ الهند الاسلامية قرنا مهما جدا . ففى هذا القرن بدأ الاستعمار الغربى يوطد أركانه بعد فشل الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ وبدأ المسلمون فى الهند يشعرون بكيانهم المستقل وبدينهم وشريعتهم وعلومهم ، فقام العلماء المسلمون المخلصون بواجبهم وقامت حركات عديدة من أهمها :

١ — حركة ديوبند . السلفية التى تدعو الى الكتاب والسنة ، ولكنها لا تؤمن بالتطور حتى فى وسائل التعليم .

٢ — وقامت (حركة عليكره) : الحديثة التى تؤمن بالتطور وتدعو الى الأخذ من الغرب فى كل شىء بدون قيد ولا شرط .

٣ — وقامت حركة ندوة العلماء الجامعة بين القديم والحديث التى تؤمن بالله المشرع وبمحمد خاتم الأنبياء وتؤمن بالدين الاسلامى وتؤمن بالتطور والأخذ من الغرب أيضا ولكن فى الحدود التى رسمها الاسلام وفى ضوء القوانين التى سنتها الشريعة السمحاء وتؤمن بأن العقيدة غير متطورة لأنها حقيقة أزلية طبيعية أصدق من الحقيقة الهندسية .

ولكل من هذه الحركات الثلاثة كيان مستقل ، فبتأثير حركة « ديوبند » قامت « دار العلوم ديوبند » لتعليم العلوم الاسلامية ، وقامت (جامعة عليكره) لتعليم العلوم الغربية ، وقامت (دار العلوم لندوة العلماء) لتدريس العلوم العربية والاسلامية بمنهج حديث مع البحث فى العلوم الحديثة أيضا .

دائرة المعارف : ولا يمكن لأية نهضة علمية أن تقوم على التعليم المدرسى فحسب ، بل لا بد لها من المقومات الثلاثة : وهى الترجمة والنشر واحياء التراث القديم ، فقامت فى الهند دائرة المعارف العثمانية سنة ١٨٨٨م بحيدر آباد لتقوم بهذه الأعباء الثلاثة الكبرى . وهى تعتبر هيئة علمية كبيرة .

النشر : ومن حيث النشر فعندها مطبعة عربية حديثة ومطبعة انجليزية كاملة ومطبعة اردية نشرت منها مئات الكتب فى اللغة الاردية .

ترجمة التراث الغربى : ومن حيث الترجمة فانها ترجمت كل التراث الغربى فى العلوم والرياضيات والاقتصاد والفلسفة والطب وغيرها الى اللغة الاردية ، وتترجم كل يوم جهود العباقرة من الغربيين الى اللغة الاردية ، وأدت دائرة المعارف بهذا العمل فائدتين عظيمتين . أولهما أنها أعطت للغة الاردية ثروة ضخمة لا يستهان بها . وثانيهما أن الجامعة العثمانية فى حيدر آباد كانت تدرس من قديم كل العلوم الغربية الحديثة فى اللغة الاردية مستندة الى كتب دائرة المعارف المترجمة واصطلاحاتها بينما الجامعات الأخرى تدرس العلوم الغربية الانجليزية ، وبهذا العمل المجيد أحيت دائرة المعارف اللغة الاردية ، وجعلتها صالحة للنمو والبقاء رغم كل الظروف ورغم كل الأعداء .

مجلة انجليزية : وتصدر دائرة المعارف العثمانية مجلة اسلامية فى اللغة الانجليزية من ٣٠ سنة ، تحت ادارة الدكتور عبد المعيد خان ، والدكتور نفسه رئيس دائرة المعارف الآن .

احياء التراث الاسلامى : ولكننا فى هذه المقالة القصيرة لا نريد تبيان اعمال النشر والترجمة من اللغة الانجليزية او الاردية وغيرها ، بل نتكلم على احياء التراث الاسلامى القديم ، فدائرة المعارف العثمانية لم تقتصر فى هذه الناحية بل تعتبر اعمالها فى هذا المضمار مشرفة للغاية فانها طبعت حتى الآن أكثر من ٤٠٠ من المخطوطات العربية القديمة مع تصحيحها وتنقيحها .

زرع قلب محل قلب آخر
ليس عمراً جديداً للانسان

ويتناول الأستاذ محمود سليم دوعر من الكويت هذا الموضوع فيقول :

نشرت وسائل الاعلام المختلفة أن أطباء بجنوب افريقيا زرعوا قلب انسان محل قلب انسان آخر ، وشغل الناس بهذا الحادث ، حتى ان بعضهم جعله من أبرز ما كان بعام ٦٧ وقالوا عن هذا المريض انه (أشهر مريض فى العالم) .. ولا شك أن هذا يدل على تقدم الطب وفنونه ، وهذه ليست الطفرة الأولى بالتقدم الانسانى ، بل الانسان هذه سنته ، يسير بتقدم كلما تقدمت به الحياة ، منذ آدم حتى تقوم الساعة بفضل ما أنعم الله عليه (بالعقل) .

ولكن .. ليس هذا هو الموضوع الذى اردناه ، بل اردنا أن نضع بعض النور على تساؤلات قسم من الناس حول زرع القلب ، هل هو عمر جديد للانسان الذى زرع به القلب الجديد .

والجواب ان عمر الانسان محدود واجله معلوم لا يتعداه ولا ينقص عنه لحظة واحدة ، وما مسألة وقوف قلب انسان ثم حركته بعد تدليكه وما وجود قلب محل قلب ، الا حالات للانسان وليست أسبابا للحياة .

وان زرع القلوب لا يطيل عمرا لا لانسان زرع له قلب ولا ينقص من عمر انسان اخذ منه قلب ، بل لا يجوز أن نعد الانسان ميتا الا بنهاية أجله .

فلا يستغربن مسلم من زرع القلوب ، وكل ما فى الأمر تقدم فى الطب لا ينكر دون اختصاص ذلك بالحياة أو الموت .

سأعود للأقصى

وتلقينا من الشيخ محمد على قطب — صيدا — لبنان — هذه الأبيات الملتهبة :

مزقت طرسى قد هجرت قصيدى	وسئمت لحنى بعد كل نشيد
أخفيت لحظى كى أوارى عبرتى	خجلا وعارا بعد كل مجيد
وجرعت كأسى مترعا بمرارة	كالسم يسرى أو دبيب صديد
وسفحت دن الحب فوق ربوعها	(قدسى) فديت ترابها بوليدى
لن أغبق اللذات .. أو نمسى معا	فالمجد ظلى والخفا لليهودى
سأهدم الأسوار عبر حدودها	سأغز فى الأعداء كل حديد
سأسعر النيران فى جوف الثرى	حمما تحطم فى (جنين) تيودى
سأثور بالقرآن فوق جبالها	سألقن التاريخ صدق وعودى
سأعود للأقصى أقبل ركنه	وأبث فى أفيائه تغريدى
فتشع من فوق المآذن هالة	ويرجع الناقوس لحن العيد

قالت صحف العالم

المقاومة العربية
ومصير اسرائيل

تتحدث صحيفة الشعب اللبنانية عن المقاومة العربية فى الأرض المحتلة فتقول :

ان اسرائيل باصرارها على احتلال أراضى الدول العربية وباصرارها كذلك على أعمال القمع والارهاب الجماعى للمواطنين العرب فى المناطق المحتلة ، لن تؤدى قط الى تحقيق حالة مستقرة من السلام والأمن فى منطقة الشرق الأوسط .

وان مخططات القادة والعسكريين الاسرائيليين العدوانية تحت زعم حماية أمن اسرائيل وسلامتها ، لن تجلب السلام أو الأمن للآلاف من الاسرائيليين بل سوف تقحمهم فى مؤامرات عسكرية لا يمكن الزعم قط بأنها تتعلق بالوجود الاسرائيلى ، ذلك أنها تتعلق فى الحقيقة بالمؤامرات العدوانية للاستعمار ضد شعوبنا المسالمة وتحقيق المخططات الاستعمارية فى محاولة القضاء على حركة التحرر العربى ، والقضاء على حركة التصنيع والتقدم العربية ، والقضاء على أى محاولة مقبلة من جانب العرب للسيطرة على مواردهم الخاصة التى تشكل جانبا أساسيا من بعض احتياجات العالم الغربى الاستراتيجية .

ولذلك فليس هناك من نتيجة تنتظر الاسرائيليين بسبب اصرارهم على احتلال أراضى الدول العربية بالقوة سوى المزيد من المقاومة وسوى المجابهة على الصعيد المسلح ، كذلك فان دورها العدوانى فى الوطن العربى سوف يزيد بشكل مطرد من نشاط المقاومة العربية وفى اتجاهها أكثر نحو اتحاد وتنظيم أوسع لصفوفها .

الى مؤتمر وزراء التربية العرب

ونشرت صحيفة الرأى العام الكويتية المذكرة التى رفعتها جمعية الاصلاح الاجتماعى الى مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت مؤخرا ، وقد تضمنت المذكرة المقترحات الآتية :

١ ــ تدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية ، واختيار مدرسى الدين من المتخصصين بهذه الدراسة ،

ن يكونوا قدوة حسنة ومثلا أعلى يقتدى بهم طلابهم ، ويكون لهم اسلوبهم
طلاعهم الواسع العميق الذى يمكنهم من عرض حقائق الاسلام عرضا يرى فيه
الجيل الحاضر طريقه الى السكينة والأمان .

٢ — العناية بدروس القرآن الكريم وتعميم التلاوة حتى ختم القرآن والاكثار من آيات الحفظ والاحاديث النبوية وتنظيم المسابقات لحفظ القرآن الكريم وزيادة حصص للدين تكفى للحفظ والتلاوة .

٣ — فصل التفتيش الدينى عن تفتيش اللغة العربية ، وتخصيص موجه دينى لكل مدرسة وانشاء مصلى فيها مهيأ بما يناسبه وتخصيص وقت يكفى للصلاة .

٤ — الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ، ودراسة الفتوحات الاسلامية وأعلام الفكر الاسلامى ورجالات التشريع وما لهم من مواهب متعددة وما ظهر لهم من انتاج اثار دهشة العلماء ، والعناية بالفقه الاسلامى وتوضيح مزايا التشريعات الاسلامية وافضليتها على غيرها .

٥ — تدريس الجغرافيا الاسلامية لتوضيح كيفية انتشار الاسلام فى العالم وحدود الوطن الاسلامى وثرواته وامكانياته والأماكن الاسلامية المقدسة ، وبيان ما لها من تاريخ مجيد فى نشر الدين وتدريس قضية فلسطين على أنها قضية اسلامية .

٦ — ربط المناهج الرياضية والكشفية والجوالة بمعنى الجهاد فى الاسلام .

٧ — يراعى فى وضع المناهج أن تكون مبنية على عقيدة الأمة .

٨ — تقوية الصلات الثقافية مع البلدان الاسلامية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين الشعوب والجاليات الاسلامية وتخصيص منح دراسية للدول الاسلامية وخاصة الافريقية .

٩ — فصل الطلبة عن الطالبات فى جميع مراحل التعليم باستثناء رياض الأطفال ، ويراعى فى المناهج اعداد الفتيات وتوجيههن الوجهة السليمة .

١٠ — الاهتمام بأخلاق الناشئة فى المناهج والتوجيه والاعتزاز بالتراث الاسلامى وبعث روح البطولة والعناية بالقصص والتمثيليات الاسلامية .

١١ — رفع المستوى العلمى بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين فى الشئون العلمية التى تمس حياتنا ، ولكى تكتفى أمتنا اكتفاء ذاتيا بخبراتها وعلمائها عن الخبراء الأجانب .

١٢ — العناية بتعميم الروح الدينية وجعلها تسرى فى كل مرافق الحياة ، وذلك عن طريق توثيق الصلة بين البيت والمدرسة ومجالس الآباء والمسابقات التشجيعية والنشرات والمحاضرات والحفلات وأجهزة الاعلام ودورها الكبير فى حماية المجتمع من وسائل الاغراء والأفكار المنحرفة .



موجز تفسير القرآن الكريم

كتاب صدر عن دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ، وهو الجزء الثانى من مجموعة اجزاء كتاب « موجز تفسير القرآن الكريم » من تاليف الشيخ عبد الجبار الأعظمى ، وقد أورد المؤلف فى هذا التفسير الآية فتفسير مفرداتها ثم التفسير العام كما ذكر المناسبة التى نزلت فيها كل آية ، والتفسير واضح الاسلوب مرتب المعانى بعيد عن الغموض والتعقيد ، والجزء الثانى من هذا التفسير يحتوى على (١٣٠) صفحة وثمنه (٢٥٠) فلسا .

تاريخ النظم القانونية

كتاب من تاليف الدكتور محمود سلام زناتى استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت تناول فيه بالبحث والدراسة حالة المجتمعات البشرية والوقوف على صور النظم القانونية فيها مقسما كتابه الى ثلاثة اجزاء خص الأول منها بالمجتمع البدائى والثانى بالمجتمع القبلى والأخير بالمجتمع المدنى .

والكتاب يقع فى (٤٤٠) صفحة والناشر دار النهضة العربية — ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت — القاهرة .

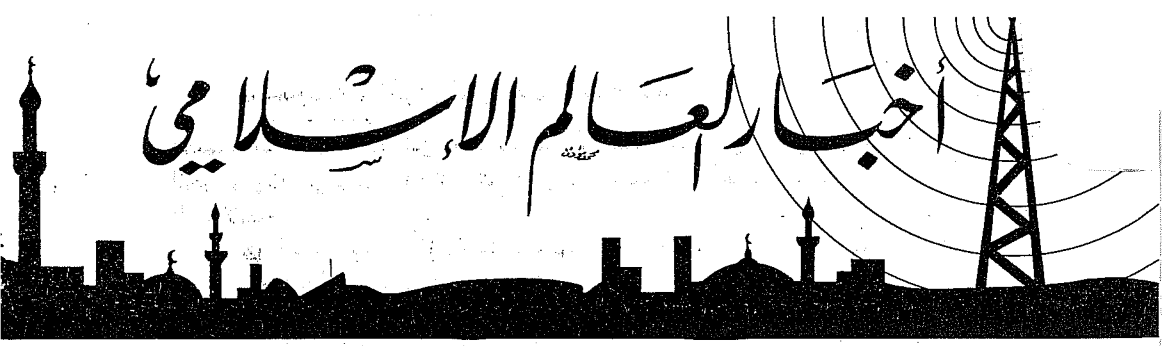
المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم

كتاب من تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ويقع فى جزاين شاملا لجميع المصطلحات العسكرية التى وردت فى القرآن الكريم . وقد فصل المؤلف كل مصطلح عسكرى ورد فى الذكر الحكيم فى ثلاث مواد فاورد فى المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كامثلة لاستعماله وذكر فى المادة الثانية مشتقاته ومعانيه اللغوية وسجل فى المادة الثالثة مقارنة بين المصطلح العسكرى الوارد فى القرآن الكريم ومثيله المستعمل فى الجيوش العربية هادفا من ذلك توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية .

والكتاب من طبع دار العلم للملايين فى بيروت وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ص . ب (٤٢٩٥) — بيروت — لبنان .

الأركان الأربعة فى ضوء الكتاب والسنة

للاستاذ السيد ابو الحسن على الحسنى الندوى وقد تحدث فيه مؤلفه عن اركان الاسلام الاربعة وعن وضعها السماوى وحقيقتها الشرعية ومكانتها فى الحياة الفردية كما قررها الكتاب والسنة وفهمها المسلمون فى مختلف العصور والأجيال ، والكتاب مطبوع فى مطابع معتوق اخوان — وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت — لبنان ويقع فى ٢٨٦ صفحة .



الكويت

● أكد سمو أمير البلاد المعظم ان الكويت تملك قوة دفاعية عصرية رادعة قادرة على صد أى عدوان يمكن أن يقوم به عدو ، وهذه القوة العسكرية ليست للكويت وحدها بل للعرب أجمعين .

● أدى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فريضة الحج وقد التقى هناك بجلالة الملك فيصل والمسئولين واجرى معهم محادثات حول الوضع الراهن .

● بعث ممثلو الدول العربية فى المجلس العربى لمحو الأمية المجتمعون فى دورتهم الرابعة بتونس يشكرون سمو أمير البلاد المعظم لتشجيع سموه للعلم وتبرعه للصندوق العربى لمحو الأمية .

● أقامت وزارة التربية فى مختلف معاهدها ومدارسها احتفالا بيوم المعلم ، وقد وجه سمو أمير البلاد المعظم تحية الى المعلمين والطلاب والآباء والأمهات حثهم فيها على مواجهة مسئولياتهم للحاق بركب العلم .

● طلبت بعض المدارس الاسلامية فى أمريكا من وزارة التربية تزويدها ببعض الكتب التى تدرس فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية للاستفادة بها .

● أكد سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أننا فى الظروف الراهنة أحوج ما نكون الى عقد مؤتمر قمة عربى جديد ، ودعا الى الوقوف صفا واحدا أمام التحديات التى تواجه الأمة العربية .

● سيزور البلاد فى الشهر القادم (مايو) رئيس وزراء ليبيا على رأس وفد ليبى وستستغرق الزيارة عدة أيام .

القاهرة : وجه الرئيس عبد الناصر كلمة الى الفرقة الكويتية على خط القتال فى السويس شكرهم فيها على مشاعرهم الطيبة كما وجه التحية الى شعب الكويت وأميرها المعظم .

● زار سماحة رئيس الاتحاد الاسلامى الصينى فى ماليزيا فضيلة شيخ الازهر وقد عبر الضيف عن أمانيه فى أن يتبوأ المسلمون العرب مكانة الزعامة ، كما كانوا فى الماضى .

● يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالاتصال بكبار المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد لاعداد بحوث ورسائل حول قضية فلسطين والعدوان الصهيونى .

● اشترك الازهر فى المؤتمر الدينى العالمى الذى عقد فى براغ فى الشهر الماضى وقد تضمن مناقشة قضية فلسطين وبعض القضايا العالمية وموقف الأديان منها .

● زار وزير التربية والتعليم فى جمهورية اليمن الجنوبية فضيلة شيخ الازهر وقد طلب الوزير مساعدة الازهر الثقافية والدينية ، فوعده فضيلة شيخ الازهر بذلك .

السعودية : أجرى أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة عدة اجتماعات هامة مع الزعماء والعلماء المسلمين الذين وفدوا لحج بيت الله الحرام وقد تركزت المحادثات حول وسائل انقاذ القدس ونشر الدعوة الاسلامية .

● اصدر وزير المعارف تعميما على جميع المناطق التعليمية بوجوب أداء صلاة الجماعة فى حينها والمحافظة على الاخلاق الاسلامية .

● ستتعاون السعودية مع باكستان على انشاء بنك مشترك بينهما فى نطاق التعاون الاقتصادى للدولتين المسلمتين .

● بلغ عدد الحجاج الذين وفدوا على الاراضى المقدسة هذا العام لأداء فريضة الحج قرابة ٤٠٠ الف حاج .

العراق : تركزت المحادثات التى أجراها سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت فى بغداد حول تأكيد عروبة الخليج ومستقبل التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وقد قال سعادة الشيخ صباح لقد وجدنا انفسنا متفقين حول كل النقاط .

● سيزور سمو أمير الكويت المعظم العراق قريبا .

الاردن : اصدرت اسرائيل عدة قرارات باعتبار المناطق العربية التى احتلتها فى الضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان مناطق غير عربية ، كما غيرت الاسماء العربية لهذه المناطق بأسماء اسرائيلية .

● وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة وثيقة دولية تثبت ملكية المسلمين لحائط المبكى فى القدس .

● تقدمت الاردن لمؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت فى الشهر الماضى وثائق تثبت تحريف الصهاينة للقرآن الذى يدرس فى الضفة الغربية بعد أن غيرت اسرائيل مناهج التعليم العربية .

السودان : انتقل الى رحمة الله الزعيم السودانى السيد على الميرغنى بعد عمر ناهز التسعين عاما قضاها فى خدمة الاسلام والعروبة . والوعى الاسلامى تنعى العالم العربى والاسلامى الفقيد العظيم وتسأل الله له فسيح الجنات .

● أكد الرئيس الازهرى فى افتتاح الندوة العلمية لأسبوع القرآن الكريم انه لا سبيل الى مواجهة الصهيونية والاستعمار الا باتحاد الأمة الاسلامية فى جميع بقاع الارض واعتصامها بكتاب الله الكريم .

الجزائر : سيوضع ميثاق جديد لحزب جبهة التحرير يعتمد على العقائد الاسلامية وعلى ميثاق الحزب .

باكستان : اصدر المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى روالبندى عدة قرارات باسترجاع مدينة القدس والمناطق العربية المحتلة والعمل على نشر التعاليم الاسلامية فى بقاع الارض .

موريتانيا : أصدر مؤتمر الشعب العام لتخطيط سياسة الدولة العليا قرارا بجعل اللغة العربية لغة رسمية لجمهورية موريتانيا الاسلامية بدلا من الفرنسية .

اندونيسيا : اعلن جنرال سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا بالوكالة عن تشكيل حزب اسلامى جديد شكل رسميا من ست جمعيات اسلامية مستقلة ومن المنتظر ان يكون الحزب الجديد من اقوى الاحزاب الاندونيسية .

اقرأ في هذا العدد

صفحة

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ ص.ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

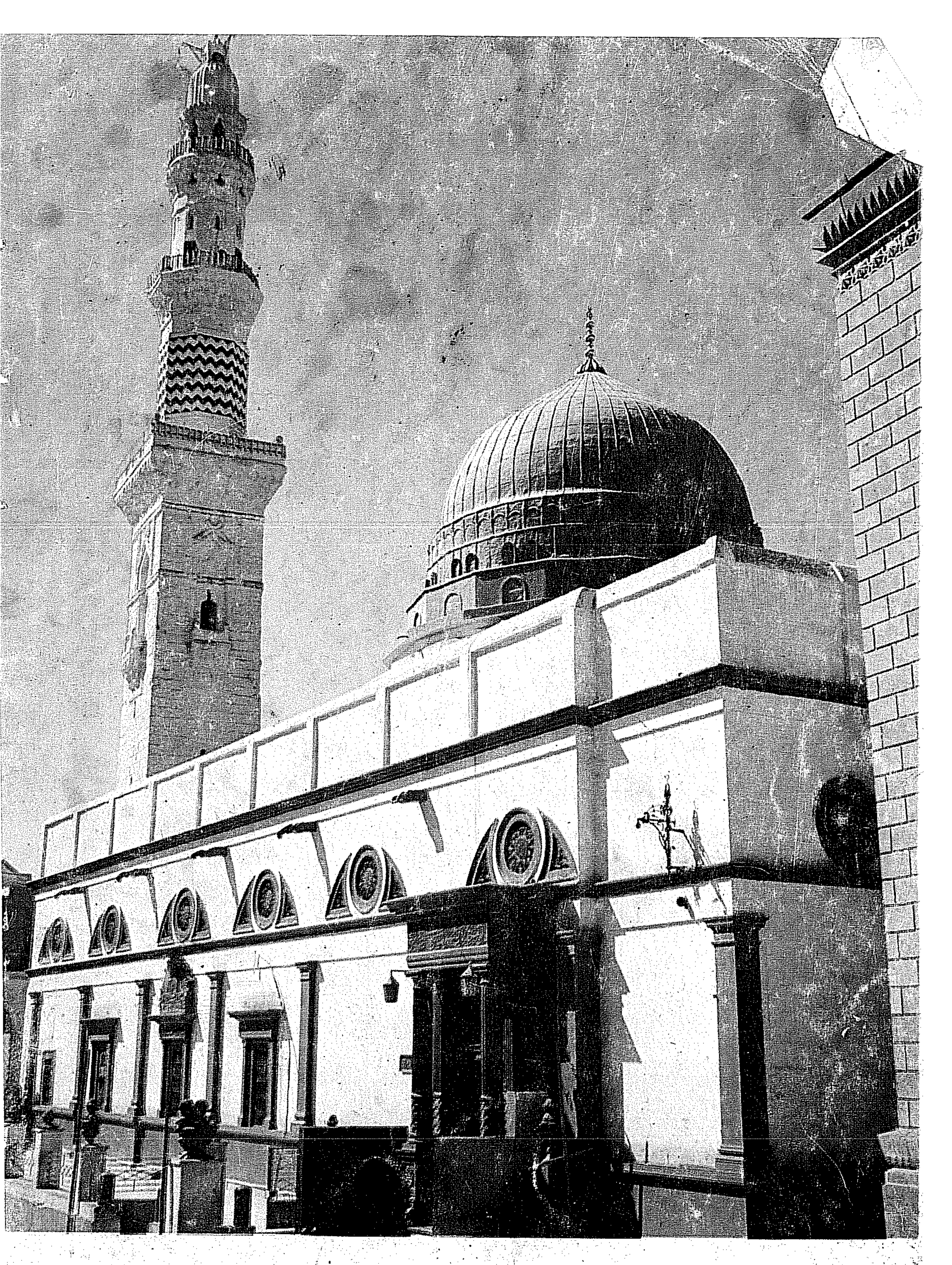
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر آخر للمسجد النبوى من الجهة الشرقية ويظهر فى الصـــورة باب جبريل عليه السلام .

تصوير : عظمت شيخ